أجاثا كريستي

تحريات بوارو

مجموعة قصصية

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

تحريات بوارو

مجموعة قصصية بوليسية

1924

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

- 1 -

مغامرة" نجمة الغرب "

كنت واقفاً بجوار نافذة حجرة بوارو ناظراً بلا اهتمام إلى الشارع أسفل منى.

ثم قلت فجأة:" شىء غريب".

سألنى بوارو بهدوء وهو جالس على كرسيه فى استرخاء:" ما الأمر يا عزيزى؟".

" استنتج بنفسك يا عزيزى بوارو من الحقائق التالية! فهناك شابة ترتدى ملابس غالية قبعة راقية وفِراء رائعاً. إنها تمشى فى الشارع ببطء، تنظر إلى البيوت أثناء سيرها، لكنها لا تدرى أن هناكَ ثلاثة رجال وامرأة فى منتصف العمر يتبعونها. وها قد انضم إليهم صبى صغير يشير بيده تجاه الفتاة ويومئ برأسه.

ما الذى يحدث هنا؟ هل الفتاة محتالة، وهل هؤلاء الثلاثة الذين يتبعونها محققون يستعدون لإلقاء القبض عليها؟ أم أنهم لصوص محتالون يخططون للهجوم على ضحية بريئة؟ ما رأى محققنا الرائع؟".

قال بوارو:" إن المحقق العظيم يا عزيزى يختار كعادته أسهل الحلول، وعليه أن ينهض ليرى بنفسه" ثم انضم إلى صديقه بجوار النافذة.

وبعد دقيقة ضحك باستمتاع قائلاً:" كالعادة يا صديقى، لقد خلطت بين الحقائق ورومانسيتك. إن هذه الفتاة هى السيدة مارى مارفل، الممثلة السينمائية، ويتبعها جماعة من معجبيها. وبالمناسبة يا صديقى هاستنجز، إنها على علم بتتبعهم لها!".

ضحكت بدورى.

" وهكذا تم تفسير الأمر! لكنك لن تحصل على أى تقدير على هذا يا" بوارو "، فالأمر كله يتعلق بتعرفك عليها لا أكثر ".

" هذا صحيح! لكن كم مرة شاهدت" مارى مارفل" على شاشة السينما يا عزيزى؟".

" حوالى عشر مرات".

" لقد رأيتها أنا مرة واحدة لا أكثر! ومع هذا فقد تعرفت عليها، بينما لم تستطع أنت".

قلت فى خجل:" إنها تبدو مختلفة كثيراً".

صاح بوارو:" عجباً لك! هل كنت تتوقع منها السير وسط شوارع لندن مرتدية قبعة رعاة الأبقار، أم تسير حافية القدمين عاقدة خصلات شعرها مثل الفتيات الأيرلنديات؟ فدائماً ما تفوتك التفاصيل! هل تذكر ما حدث فى قضية الراقصة فاليرى سانتكلير؟".

هززت كتفى وقد تضايقت قليلاً.

قال بوارو بهدوء:" لكن لا تنزعج يا صديقى، فلا يستطيع كل الناس أن يكونوا مثل" هيركيول بوارو!" وهذه حقيقة أعرفها جيداً ".

" إنك أكثر إنسان أعرفه يفتخر بنفسه!" هكذا قلت له شاعراً بالاستمتاع والضيق فى نفس الوقت.

" وماذا فى هذا؟ فعندما يكون المرء متفرداً، فهو يعلم ذلك قطعاً، ويشاركه الآخرون هذا الرأى كذلك، بمن فيهم إذا لم أكن مخطئاً السيدة" مارى مارفل" نفسها".

" ماذا؟ "

" إنها قادمة إلى هنا دون شك".

" كيف استنتجت ذلك؟ "

" الأمر بسيط جداً، فهذا الشارع يا عزيزى ليس بالشارع الراقى. كما أنه لا يوجد هنا طبيب أسنان أو طبيب بشرى مشهور وكذلك يُستبعد وجود مليونير مشهور! لكن يوجد هنا محقق شهير للغاية. نعم يا صديقى، هذا حقيقى. لقد أصبحت شهيراً، أحدث صيحة! حتى إنك تجد أحدهم يقول لآخر:" ماذا؟ هل ضاع منك غطاء القلم الذهبى؟ لابد أن تذهب للرجل البلجيكى الصغير. إنه رائع بحق! والكل يذهب إليه! هيا!" وهكذا يأتون إلىّ! واحداً تلو الآخر، يا صديقى، بمشاكلهم المتناهية فى الحماقة!". وهنا دق جرس الباب بالطابق السفلى فأضاف قائلاً:" ما الذى قلته لك للتو؟ هذه هى الآنسة مارفل".

وكالمعتاد، كان بوارو محقاً. فبعد فترة قصيرة دخلت الممثلة الأمريكية الشهيرة إلينا ونهضنا لاستقبالها.

كانت مارى مارفل دون شك واحدة من أكثر الممثلات شعبية. ولقد وصلت مؤخراً إلى لندن بصحبة زوجها جريجورى بى رولف، الذى يعمل ممثلاً أيضاً. ولقد تزوجا منذ عام تقريباً فى الولايات المتحدة الأمريكية وهذه هى زيارتهم الأولى لإنجلترا، وقد حظيا باستقبال عظيم.

فالكل كان مولعاً بـ" مارى مارفل"، بملابسها، بفرائها، بمجوهراتها، وبخاصة قطعة مميزة من الألماس كتب عليها لقبها" نجمة الغرب". ولقد كُتب الكثير من الكلام، بعضه صحيح وبعضه غير صحيح، عن هذه الجوهرة الشهيرة والتى يقال إنه تم التأمين عليها بمبلغ خرافى يبلغ خمسين ألف جنيه استرلينى.

مرت كل تلك التفاصيل برأسى بسرعة وأنا أصافح عميلتنا الجميلة مع بوارو.

كانت السيدة" مارفل" تملك جسداً صغيراً رشيقاً ولها مظهر جميل أشبه بالفتيات الصغيرات، وكانت لها عينان زرقاوان فى براءة عينى الطفل.

قدم لها بوارو كرسياً، وبدأت فور جلوسها الحديث قائلة:" ربما ستظن أننى فتاة حمقاء يا سيد بوارو، لكن اللورد كرونشو أخبرنى مساء أمس عنك وكيف أنك توصلت بمهارة إلى لغز مقتل ابن أخيه، ولهذا فكرت فى أن آتى إليك طالبة نصيحتك. يمكننى القول إن الأمر مجرد لغز أحمق وجريجورى يقول ذلك لكنه يقلقنى إلى حد كبير".

توقفت للحظات لالتقاط أنفاسها. وقال بوارو فى تشجيع: أكملى من فضلك يا سيدتى، فالأمر لايزال غامضاً بالنسبة لى".

" إنها تلك الخطابات" قالت ذلك ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها ثلاث رسائل ناولتها لـ" بوارو".

ألقى الأخير عليها نظرة متفحصة.

" ورق رخيص الاسم والعنوان مكتوبان بحرص. فلنر ما بالداخل". ثم فتح الخطابات.

اقتربت منه وانحنيت من فوق كتفه كى أنظر للخطابات. وكان كل منها يضم جملة واحدة لا أكثر مكتوبة بحرص، تماماً مثل الكلام المكتوب على الأظرف، وكانت الكلمات المكتوبة فى الخطاب الأول هى ما يلى:

"الجوهرة العظيمة، العين اليسرى للتمثال، يجب أن تتم إعادتها فوراً "

وكان الخطاب الثانى يحتوى على نفس الكلمات تماماً، لكن الخطاب الثالث كان أكثر تفصيلاً:

" لقد تم تحذيرك. لكنك لم تطيعى. والآن ستؤخذ الجوهرة منك. عند اكتمال القمر سيتم استعادة الجوهرتين اللتين تمثلان العين اليمنى والعين اليسرى للتمثال. هذا مقدر ومكتوب ".

قالت السيدة مارفل:" لقد اعتبرت الخطاب الأول مجرد مزحة. لكن عندما تلقيت الخطاب الثانى بدأت أتساءل عن مدى جدية الأمر. إلى أن تلقيت الخطاب الثالث بالأمس، ولقد بدا لى أن الأمر قد يكون أكثر جدية مما تصورت".

" أعتقد أن تلك الخطابات لم تأت بالبريد، أليس كذلك؟".

" نعم، لقد تم تسليمها باليد بواسطة رجل صينى، وهذا هو ما يخيفنى حقاً".

" لماذا؟".

" لأن جريجورى اشترى تلك الجوهرة من أحد الصينيين فى سان فرانسسكو منذ ثلاث سنوات".

" أفهمك يا سيدتى، وأنت تعتقدين أن الجوهرة المقصودة هنا هى. ..".

أكملت السيدة مارفل جملته قائلة:"" نجمة الغرب" بالفعل. إن جريجورى يتذكر أنه كانت هناك قصة مرتبطة بهذه الجوهرة حين اشتراها، لكن الرجل الصينى الذى باعها له لم يعطه أى معلومات. إن جريجورى يقول إنه كان مذعوراً وخائفاً بشدة، وكاد يسرع بالتخلص منها. ولقد طلب فقط ما يساوى عُشر قيمتها الحقيقية. ولقد اشتراها جريجورى لى هدية لزواجنا ".

أومأ بوارو متفهماً وقال:

" إن القصة تبدو صعبة التصديق. لكن من يعلم؟

أرجو يا" هاستنجز" أن تناولنى التقويم".

ناولته ما أراد.

قال بوارو وهو يقلب صفحات التقويم:" فلنر! متى يحين موعد اكتمال القمر؟ آه، الجمعة القادمة، حيث تكون فى فترة الأيام الثلاثة لاكتماله. حسناً يا سيدتى، لقد سألتنى النصيحة، وسوف أعطيها لك. قد يكون الأمر كله هراء لا معنى له، لكنه قد لا يكون كذلك! لهذا أرجو منك أن تعطينى الجوهرة لأحتفظ لك بها حتى ما بعد الجمعة القادمة. وبعد ذلك يمكننا أن نتخذ ما شئنا من خطوات".

تجهم وجه الممثلة للحظات ثم ردت بتحفظ قائلة:

" معذرة، هذا شىء مستحيل".

قال بوارو وهو يتفحصها عن قرب:" إنها معك، أليس كذلك؟ "

ترددت الفتاة للحظات ثم مدت يدها داخل صدر ردائها وأخرجت سلسلة طويلة رفيعة. ثم انحنت للأمام فاردة يدها. وعلى راحة يدها استقرت جوهرة بيضاء لامعة، قابعة داخل إطار من البلاتين، وطرفت بعينيها إلينا فى هيبة.

تنهد بوارو بصوت مسموع ثم تمتم قائلاً:" رائع! هل تسمحين لى يا سيدتى؟".

تناول الجوهرة بيده وتفحصها جيداً ثم ناولها إياها وهو ينحنى انحناءة خفيفة ويقول:" جوهرة رائعة، لا يعيبها شىء. لكن كيف لك أن تحمليها معك هكذا؟".

" كلا، كلا، إننى حريصة عليها للغاية يا سيد بوارو. ودائماً أحتفظ بها فى صندوق مجوهراتى الذى أتركه فى خزينة الفندق. إننا نقيم فى فندق" ماجنيفيسنت" ولكنى فقط أحضرتها هنا لكى تراها".

" سوف تتركينها معى هنا، اتفقنا؟ ستستمعين لنصيحة بابا بوارو، أليس كذلك؟".

" حسناً كما ترى يا سيد بوارو. لكننا سوف نذهب يوم الجمعة إلى ياردلى تشيسى لكى نقضى بعض الأيام مع اللورد ياردلى وقرينته".

أثارت كلماتها ذكرى بعيدة فى أعماقى. فهناك بعض الشائعات التى تقول إنه منذ عدة سنوات قام اللورد ياردلى والسيدة قرينته بزيارة خاطفة إلى الولايات المتحدة. وتقول الشائعات إن فخامته قام بهذه الزيارة تلبية لدعوة بعض أصدقاء السيدة قرينته، لكن بالتأكيد كان هناك ما هو أكثر من ذلك، حيث ربطت الشائعات اسم السيدة ياردلى بأحد نجوم السينما فى كاليفورنيا خطر هذا ببالى على غرة وبالطبع كان هذا النجم المقصود هو جريجورى بى رولف.

وتمضى السيدة مارفل فى حديثها قائلة:" سأخبرك بسر صغير يا سيد بوارو، هناك ترتيبات معينة تجرى الآن مع لورد ياردلى، ومن المحتمل أن يسمح لنا بتصوير فيلم هناك فى منزله الأثرى ".

قلت متعجباً:" فى ياردلى تشيسى؟ إنه من أهم الأماكن وأشهرها فى إنجلترا".

أومأت السيدة مارفل وقالت:" أعتقد أن التفاوض سيكون صعباً. فهو يريد مبلغاً باهظاً، ولا أعلم إذا ما كنا سنستطيع إتمام الاتفاق، لكن جريجورى وأنا دائماً ما نحب أن نمزج العمل بالمتعة".

" لكن واصفحى عن تدخلى يا سيدتى من الممكن بالطبع أن تزورى ياردلى تشيسى دون أن تأخذى الجوهرة معك".

هنا ظهرت فى عينى السيدة مارفل نظرة قاسية تناقضت مع ملامحها الطفولية. وصارت فجأة تبدو أكبر من عمرها.

" أريد أن أرتديها هناك".

قلت بغتة:" بالطبع هناك بعض المجوهرات الشهيرة فى ياردلى، وربما تجدين هناك ماسة كبيرة". قالت السيدة" مارفل" فى اقتضاب:" صحيح".

هنا سمعت بوارو يتمتم فى خفوت قائلاً:" هكذا إذن!" ثم تحدث بصوت عالٍ كما اعتاد بحظه الخارق فى إصابة الهدف (والذى يحاول أن يفسره على أنه يتعلق بالناحيةً النفسية) فقال:" لابد أنك على معرفة وثيقة بالسيدة ياردلى، أو ربما زوجك؟".

قالت السيدة مارفل:" لقد عرفها جريجورى عندما كانت فى الولايات المتحدة منذ ثلاث سنوات". ثم ترددت للحظة وسألتنا بغتة:" هل يقرأ أى منكما جريدة الفضائح سوسيتى جوسيب؟"

أقر كلانا بذلك فى خجل.

قالت لنا:" إننى أسألكما لأن فى عدد هذا الأسبوع مقالة عن المجوهرات المشهورة، والأمر الغريب حقاً. ..."، ولم تكمل الحديث.

قمت متجهاً إلى منضدة فى الطرف الآخر من الحجرة، ثم عدت ممسكاً بالمجلة المعنية لأعرف مكان المقالة. وبعد أن أخذتها منى تصفحتها حتى وجدت المقالة وبدأت تقرأ بصوت

عال:

". .. ومن المجوهرات الأخرى القيمة هناك" نجمة الشرق" وهى ماسة مملوكة لعائلة ياردلى. ولقد أحضرها أحد أسلاف اللورد ياردلى الحالى معه من الصين، ويقال إن هناك قصة رومانسية مرتبطة بها. وطبقاً لتلك القصة فإن تلك الجوهرة كانت تمثل العين اليمنى لتمثال فى الصين. كما توجد جوهرة أخرى تمثل العين اليسرى لنفس التمثال، وتقول القصة إن هذه الجوهرة، كذلك، سوف تتعرض للسرقة سريعاً. (ستذهب إحدى العينين غرباً، وستذهب الأخرى شرقاً، إلى أن تلتقيا ثانية، وتعودان إلى التمثال مرة أخرى). ومن المثير للدهشة أنه توجد الآن جوهرة ثانية مشابهة للغاية لتلك الجوهرة، وتعرف باسم" نجمة الغرب" أو" النجمة الغربية" وهى فى حوزة الممثلة الشهيرة السيدة " مارى مارفل". وكم سيكون رائعاً أن تتم المقارنة بين هاتين الجوهرتين".

ثم توقفت عن القراءة.

غمغم بوارو قائلاً:" غريب! إنها حقاً قصة رومانسية من الدرجة الأولى" ثم استدار نحو مارى مارفل قائلاً:" وأنت يا سيدتى، ألا تخافين؟ ألا تراودك أية شكوك أو مخاوف؟ ألا تخشين أن تجمعى جوهرتك بأختها التوءم ثم يظهر رجل صينى، ثم فى لمح البصر، يخطفهما عائداً الى الصين؟ "

كانت لهجته ساخرة لكنى رأيت أنها تحمل بين طياتها شيئاً من الجدية.

قالت السيدة مارفل:" لا أعتقد أن جوهرة السيدة ياردلى قد تقارن بجمال وروعة جوهرتى. وعموماً، سوف نرى ما سيحدث".

لا أعلم بماذا كان بوارو سيرد عليها ؛ إذ انفتح الباب فى هذه اللحظة وظهر منه شاب جميل الهيئة يخطو داخل الحجرة. ومن شعره الأسود المجعد، إلى أطراف حذائه الجلدى، كان يشى بأنه بطل يناسب القصص الرومانسية.

قال" جريجورى رولف":" لقد فكرت أن أتبعك يا" مارى"، حسناً، ما رأى السيد بوارو فى مشكلتنا الصغيرة؟ هل يرى أنها مجرد مزحة كبيرة لا أكثر، مثلما أرى أنا؟ "

ابتسم بوارو فى وجه الممثل الشهير، وكان التناقض واضحاً بينهما.

ثم قال فى برود:" سواء أكانت تلك مزحة أم لا يا سيد رولف، فلقد نصحت زوجتك بألا تأخذ معها الجوهرة إلى ياردلى تشيسى يوم الجمعة ".

" وأنا أوافقك الرأى يا سيدى، لقد قلت نفس الشىء لـ" مارى". لكن دون جدوى! فهى امرأة وأنت تعلم النساء، وأعتقد أنها لا تتحمل فكرة أن تتفوق امرأة أخرى عليها بما تملكه من مجوهرات".

قالت مارى مارفل بحدة وقد احمر وجهها، غضباً:" هذا هراء يا" جريجورى"!".

هز بوارو كتفيه وقال:

" لقد قدمت لك نصيحتى يا سيدتى. ولا يوجد لدىّ المزيد لأقدمه، هذا كل ما لدىّ".

ثم انحنى لهما مودعاً إياهما لدى الباب.

وقال لدى عودته للحجرة:" آه، ياللنساء! لقد كان زوجها طيبا حقًا. لكنه لم يكن حازما بما يكفى، بكل تأكيد".

صارحته بعدها بما تذكرته وأجابنى بإيماءة قوية وقال:

" كما توقعت، هناك فى الأمر أكثر مما هو ظاهر لنا. اسمح لى يا عزيزى، سوف أخرج لاستنشاق بعض الهواء. انتظر عودتى من فضلك، لن أتأخر".

كنت جالساً على كرسى شبه نائم حينما قرعت صاحبة المنزل على الباب وأطلت برأسها قائلة:

" هناك سيدة أخرى تريد رؤية السيد بوارو يا سيدى. ولقد أخبرتها أنه قد خرج لكنها قالت إنها سوف تنتظره حيث إنها قادمة من الريف".

" آه، أدخليها يا سيدة موركينسون، فربما استطعت أن أفيدها بشىء".

بعد لحظات دخلت السيدة. وفور رؤيتها قفز قلبى بين ضلوعى. فلقد كانت صور السيدة ياردلى المنشورة فى جريدة سوسيتى تجعل من السهل على أى إنسان أن يتعرف عليها.

قلت لها وأنا أسحب كرسياً:" تفضلى بالجلوس سيدة ياردلى. إن صديقى السيد بوارو بالخارج الآن، لكنى أعلم يقيناً أنه سيعود بعد وقت قصير".

شكرتنى وجلست. كانت امرأة من نوع مختلف عن السيدة مارى مارفل. كانت طويلة، ذات شعر داكن وعينين لامعتين ووجه شاحب معتدٍ بنفسه. لكن التجاعيد الموجودة حول فمها كانت تعطى شعوراً بالحزن.

وتولدت بداخلى رغبة أن أنتهز الفرصة. ولم لا؟ ففى وجود بوارو أجد صعوبة فى ذلك. ولا أستطيع إخراج أفضل ما لدىّ. كما أنه لاشك فى أننى أيضاً أمتلك حاسة المخبر السرى الناجح بدرجة كبيرة، وهكذا انحنيت نحوها بصورة مفاجئة.

ثم قلت:" أنا أعلم يا سيدة ياردلى سبب مجيئك إلى هنا. لقد تلقيت بعض خطابات الابتزاز بخصوص الجوهرة التى تملكينها ".

لاشك أن كلماتى أصابت كبد الحقيقة، حيث حملقت فىّ وهى فاغرة فاها وقد شحبت وجنتاها.

قالت بأنفاس متقطعة:" أنت تعلم؟ كيف؟".

ابتسمت وقلت:

" بالاستنتاج المنطقى، فطالما أن السيدة" مارى مارفل" هى الأخرى تلقت خطابات. ..".

" السيدة مارفل؟ هل أتت إلى هنا؟ "

" لقد رحلت لتوها. وكما كنت أقول، طالما أنها تحوز إحدى الجوهرتين، وتلقت العديد من التحذيرات الغامضة، فبالطبع لابد أنك، بصفتك المالكة للجوهرة الأخرى، قد تسلمت خطابات مماثلة. الأمر بسيط كما ترين، أليس كذلك؟ إننى محق، لقد تسلمت أنت الأخرى بعض المراسلات الغريبة، أليس كذلك؟".

ترددت للحظة وكأنها تشك فيما إذا كان عليها أن تثق بى أم لا، ثم أحنت رأسها وعلى وجهها ابتسامة خفيفة.

قالت مقرة:" هذا صحيح".

" هل تم تسليم الخطابات لك بواسطة رجل صينى أيضاً؟ "

" كلا، لقد وصلت عن طريق البريد. لكن أخبرنى، هل مرت السيدة مارفل بنفس الأمر تماماً؟".

حكيت لها ملخصاً لأحداث هذا الصباح، وقد استمعت إلىّ باهتمام.

" هكذا الأمر إذن. إن الرسائل التى وصلتنى مماثلة لتلك التى وصلتها. وعلى الرغم من أنها وصلت جميعا عبر البريد، إلا أن هناك عطراً مميزاً بها يشبه رائحة البخور ذكرنى بروائح الشرق. ما الذى يعنيه كل هذا؟".

هززت رأسى وقلت:

" هذا ما علينا اكتشافه. هل لديك الخطابات؟ قد نحصل على المزيد من المعلومات من أختام البريد".

" لقد قمت بتمزيقها مع كل أسف. أنت تفهم هذه الأمور، ففى ذلك الوقت كنت أعتبرها بمثابة مزحة سخيفة. هل من الممكن حقاً أن تكون هناك عصابة صينية تحاول استعادة الجوهرتين؟ الأمر يبدو صعب التصديق "

قمنا بمراجعة الحقائق ثانية، لكن لم نتمكن من استيضاح أى معلومات إضافية عن هذا اللغز. وفى النهاية قامت السيدة" ياردلى" من مقعدها وقالت:

" لا أظن أننى بحاجة لانتظار السيد بوارو. فلتخبره أنت بالأمر، هلا فعلت؟ أشكرك بشدة يا سيد. ..".

" كابتن هاستنجز".

" بالطبع! يالغبائى. أنت صديق عائلة كافنديش أليس كذلك؟ إن" مارى كافنديش" هى من أرسلتنى للسيد" بوارو" ".

حينما عاد صديقى، استمتعت بإخباره بالقصة التى حدثت إبان غيابه. ولقد سألنى العديد من الأسئلة عن تفاصيل المحادثة وكنت أشعر من حديثه هذا أنه غير سعيد لحدوث هذا الأمر وقت غيابه، بل أيضاً أعتقد أن صديقى العزيز كان يشعر بقليل من الغيرة منى. فلقد أصبح معتاداً مؤخراً على التقليل من قدراتى، وأعتقد أنه كان حانقاً لأنه لم تكن هناك فرصة لانتقادى هذه المرة. وكنت مسروراً بنفسى لكنى حاولت إخفاء هذه الحقيقة مخافة أن أثير ضيقه. فهو على أى حال صديقى العزيز الذى أستمتع بصحبته، على الرغم من فرط حساسيته للنقد.

قال أخيرا وعلى وجهه نظرة غريبة:" حسناً، إن القصة تتعقد. ناولنى من فضلك الكتاب الخاص بشجر العائلات والأنساب الشهيرة من ذاك الرف هناك"، ثم بدأ فى تصفحه وقال:" آه، ها نحن ذا!، ياردلى. .. الكونت العاشر، خدم فى حرب جنوب أفريقيا. .. هذا ليس ذا أهمية. .." متزوج منذ عام 1907 من هون مود ستوبرتون، الابنة الرابعة لبارون كوتريل الثالث. .." له ابنتان، مولودتان عام 1908و1910. .. النوادى، المسكن. .. حسناً، هذا لا يخبرنا بالكثير. لكن سوف نستكشف الأمر من اللورد بأنفسنا فى الصباح".

" ماذا؟".

" أجل، أخبرت اللورد بذلك تلغرافيًا".

" لقد اعتقدت أنك قررت التخلى عن القضية".

" إننى لا أعمل لصالح السيدة مارفل، طالما أنها رفضت الأخذ بنصيحتى. إننى أعمل الآن لمتعتى الخاصة لإرضاء هيركيول بوارو. لقد قررت أن أدس أنفى فى هذا الأمر".

" وهكذا تقوم بإرسال تلغراف للورد بكل هدوء لكى تخبره بتدخلك فى الأمر فقط لمتعتك الشخصية، لن يسره ذلك بالتأكيد".

" على العكس يا صديقى، فلو أننى سأحمى له جوهرة العائلة، فلابد أن يكون شاكراً لى".

سألته بشغف:" إذن أنت تظن أن هناك احتمالاً حقيقيا لسرقة الجوهرة؟ "

رد بوارو بهدوء:" الأمر شبه مؤكد. الأحداث كلها تشير إلى حدوث ذلك".

" لكن كيف. ..".

قاطعنى بوارو بإشارة من يده وقال:

" ليس الآن، من فضلك. دعنا لا نربك عقولنا. ولاحظ كيف وضعت كتاب الأنساب كيف وضعته هكذا! يجب أن يوضع أطول الكتب فى هذا الصف، ثم توضع الكتب الأقل طولاً فى الصف الذى يليه وهكذا. هكذا يتحقق لنا النظام، المنهجية، وكما قلت لك يا" هاستنجز". ..".

قلت بسرعة:" أعلم أعلم"، ثم وضعت الكتاب فى موضعه الصحيح.

2

كان اللورد ياردلى رجلاً رياضياً مرحاً ذا صوت مرتفع، وجهه أحمر اللون، لكن به وداعة مريحة تجذب الناس إليه وتعوضه عن افتقاده للذكاء الحاد.

" إنه أمر غريب يا سيد بوارو. ولا أستطيع تفهم أى شىء منه. يبدو أن زوجتى كانت تتلقى نوعاً غريباً من الخطابات، والسيدة مارفل قد تلقت خطابات مماثلة. ما الذى يعنيه كل هذا؟".

ناوله بوارو نسخة من مجلة" سوسيتى جوسيب".

" أولاً ياسيدى اللورد أود أن أسألك عن مدى صحة المعلومات المذكورة هنا".

تناول اللورد المجلة وكان وجهه يزداد حمرة فى غضب وهو يقرأ.

ثم انفجر قائلاً:" محض هراء! لم تكن هناك قط قصة رومانسية مرتبطة بالجوهرة. لقد جاءت من الهند فى الأساس على ما أعتقد. ولم أسمع مطلقاً بأمر ذلك التمثال الصينى".

" لكن الجوهرة لا تزال معروفة باسم" نجمة الشرق".

قال بغضب:" حسناً، وماذا فى هذا؟".

ابتسم بوارو قليلاً، لكنه لم يرد بصورة مباشرة، بل قال:

" إن ما أطلبه منك يا سيدى اللورد هو أن تضع نفسك بين يدىّ. وإذا ما التزمت بفعل ما أقول بدقة، فلدىّ أمل كبير لتجنب تلك الكارثة الوشيكة".

" إذن أنت تظن أن هناك بعض الحقيقة فى تلك القصص الحمقاء؟".

" هل ستنفذ ما أطلبه منك؟".

" بالطبع، ولكن. ..".

" حسنًا! اسمح لى إذن بأن أسألك بضعة أسئلة. إن الأمر الخاص بـ" ياردلى تشيسى" قد تم ترتيبه بينك وبين السيد" رولف"، أليس كذلك؟".

" أوه، لقد أخبرك بالأمر، أليس كذلك؟ كلا، لم يتم تسوية أى شىء"، ثم تردد وازداد وجهه احمراراً وهو يكمل قائلاً:" ربما يستوى الأمر. لقد جعلت من نفسى رجلاً أحمق يا سيد بوارو فأنا غارق فى الديون لكنى أريد الخلاص. إننى أحب طفلتىّ كثيراً، ولدىّ رغبة فى أن أسوى شئونى جميعها وأتمكن من العيش بسلام فى منزلى القديم. إن جريجورى رولف يعرض علىّ مبلغاً كبيراً مبلغاً يكفى لأن يجعلنى أقف على قدمى ثانية. ولا أريد فعل

ذلك فأنا أكره مجرد فكرة تواجد كل هذه الجموع من الممثلين فى تشيسى لكنى سأضطر لهذا، إلا إذا. ..."، ثم توقف عن الحديث.

نظر بوارو إليه بحدة وقال:" لابد أن لديك مخرَجاً آخر. اسمح لى أن أخمن. أن تبيع نجمة الشرق؟".

أومأ اللورد ياردلى قائلاً:" صحيح. لقد توارثتها عائلتى لأجيال عدة، لكنها ليست ضرورية بهذا القدر. غير أنها ليست من الأشياء التى يسهل بيعها أو إيجاد مشترٍ لها. إن هوفمبرج، ذاك الرجل من هاتون جاردن، من الممكن أن يبحث عن مشترٍ لها، لكن عليه أن يجد مشترياً بسرعة، وإلا فلن يفلح الأمر".

سؤال أخير من فضلك يا سيدى بخصوص السيدة ياردلى:" أى الحلين تفضل؟".

" أوه، إنها تعارض بشدة قيامى ببيع الجوهرة، أنت تعلم النساء. وهى موافقة تماماً على فكرة تأجير المنزل لتصوير الفيلم ".

قال بوارو:" أفهمك تماماً، ثم فكر لدقيقة أو اثنتين ثم هب واقفاً وقال" هل ستعود إلى ياردلى تشيسى الآن؟ حسناً، لا تتحدث بكلمة عن الموضوع لأى شخص، تذكر أى شخص، لكن انتظرنا هناك فى المساء. سوف نصل بعد الخامسة بقليل".

" حسناً لكنى لا أرى فى الأمر. ...".

قال بوارو بلطف:" لا تقلق نفسك، ألا تريد أن أحمى لك جوهرتك؟".

" نعم، لكن. ...".

" إذن افعل ما أقوله لك".

ثم غادر الغرفة ذاك الرجل النبيل فى حزن وحيرة.

وصلنا إلى ياردلى تشيسى فى الخامسة والنصف، ولقد تبعنا كبير الخدم الوقور نحو البهو القديم الذى تتوهج فيه نيران الأخشاب فى المدفأة. ثم ظهرت أمام عيوننا صورة جميلة للسيدة ياردلى مع ابنتيها، حيث تنحنى الأم بشعرها الأسود الجميل على ابنتيها الشقراوين، وبالقرب منهم كان اللورد ياردلى واقفاً يبتسم لهم.

قال كبير الخدم مقدماً إيانا:" السيد بوارو وكابتن هاستنجز".

نظرت السيدة ياردلى إلينا فى دهشة، أما زوجها فقد تقدم نحو بوارو فى ارتباك وكأنما يبحث عن تعليمات منه. وكان الرجل الضئيل عند حسن ظنه حيث قال:

" المعذرة يا سادة! الأمر هو أننى مازلت أحقق فى قضية السيدة مارفل. سوف تأتى إلى هنا يوم الجمعة القادم، أليس كذلك؟ وأنا هنا لكى أتأكد أن كل شىء آمن لزيارتها. كما أود أن أسأل السيدة ياردلى إذا ما كانت قد احتفظت بأختام البريد التى كانت مطبوعة على الخطابات التى تسلمتها".

هزت السيدة ياردلى رأسها بأسف وقالت:" معذرة، إننى لم أفعل. إنها حماقة منى. لكن، كما ترى، لم أكن أفكر فى أمر تلك الخطابات بجدية مطلقاً".

سألهما اللورد ياردلى:" هل ستبقيان معنا الليلة؟".

" أوه يا سيدى اللورد، إننا لا نريد إزعاجكم، ولهذا تركنا حقائبنا فى الفندق".

قال اللورد وقد فهم الإشارة:" لا بأس فى هذا، سأرسل فى طلبها من الفندق، كلا كلا، لا إزعاج فى الأمر".

سمح بوارو لنفسه بأن يقتنع بما طلبه اللورد، وجلس بجوار السيدة ياردلى وبدأ فى مصادقة الفتاتين. وسرعان ما وجدت الجميع يلعبون معاً، وأشركنى معهم فى اللعب.

قال بوارو وهو ينحنى انحناءة رقيقة بينما كانت مربيتهما تأخذهما بحزم بعيداً:" إنك أم رقيقة يا سيدتى".

عدلت السيدة ياردلى من وضع شعرها بحركة خفيفة.

قالت بصوت متحشرج قليلاً:" إننى أعشقهما".

قال بوارو وهو ينحنى مجدداً:" وهما يحبانك ولهما الحق فى ذلك!".

علا صوت الجرس فقمنا متجهين نحو غرفنا. وفى هذه اللحظة جاء كبير الخدم حاملاً برقية على طبق وناولها للورد ياردلى الذى فتحها متمتماً لنا بكلمات اعتذار، وبينما شرع يقرأها تصلب جسده فى توتر واضح.

ثم بحركة عنيفة ناولها لزوجته، ثم نظر إلى صديقى وقال:

" لحظة واحدة يا سيد بوارو. أعتقد أنك يجب أن تعلم بهذا الأمر، إنه هوفبرج. وهو يعتقد أنه قد وجد مشترياً للجوهرة شخصا أمريكيا سوف يبحر عائداً لبلاده غداً. وسوف يرسل لى شخصاً الليلة لكى يفحص الجوهرة. يا إلهى، آه لو نجح هذا الأمر. .." ثم قطع عبارته.

استدارت السيدة ياردلى مبتعدة، وكانت تمسك بالبرقية فى يدها.

ثم قالت بصوت خافت:" أتمنى ألا تبيعها يا جورج. إنها ملك للعائلة منذ وقت طويل ". ثم توقفت وكأنما تنتظر رداً، لكن عندما لم يأتها أى رد تصلب وجهها ثم حركت كتفها وأضافت:" لابد أن أذهب لتغيير ملابسى. وأعتقد أن علينا أن نعرض" السلعة جيداً"، ثم استدارت نحو" بوارو" وعلى وجهها ضحكة خفيفة وقالت:" إنها من أبشع القلادات التى صممت على الإطلاق! ولقد وعدنى جورج بإعادة تشكيل الجوهرة من أجلى، لكنه لم يفعل ذلك". ثم غادرت الحجرة.

بعد نصف الساعة اجتمعنا ثانية فى حجرة الرسم الكبيرة منتظرين وصول السيدة. وكان الوقت قد تجاوز وقت العشاء بدقائق قليلة.

فجأة سمعنا حفيفاً، وظهرت السيدة ياردلى من الباب بقامتها المشرقة مرتدية فستاناً ناصع البياض وحول رقبتها كانت هناك قلادة على شكل هالة من النيران. وقد وقفت أمامنا واضعة إحدى يديها على القلادة.

قالت بمرح وقد بدا لى أن سخريتها المريرة السابقة قد اختفت:" انظروا للتضحية. انتظروا حتى أضىء النور الكبير وسوف تتمتع عيونكما برؤية أبشع وأقبح قلادة فى إنجلترا كلها".

كان مفتاح النور خارج الحجرة. وبينما كانت تمد يدها نحوه، حدث أغرب شىء يمكن توقعه. فعلى حين غرة انطفأت جميع الأنوار وانغلق الباب بصوت مرتفع، وعلى الجانب الآخر سمعنا صوت صراخ امرأة.

صاح اللورد ياردلى قائلاً:" يا الهى! هذا هو صوت مود. ما الذى حدث؟".

أسرعنا كالعميان نحو الباب ونحن نتخبط فى بعضنا فى الظلام. واستغرقنا دقائق حتى وصلنا إلى مصدر الصرخة. ويالله من مشهد ذلك الذى رأيناه عند الباب! لقد كانت السيدة ياردلى ممددة فاقدة الوعى على الأرضية الرخامية، وعلى رقبتها كانت هناك علامة قرمزية اللون فى نفس المكان الذى تم انتزاع القلادة منه بالضبط.

وعندما انحنينا نحوها، لم نكن ندرى ما إذا كانت حية أم ميتة، فتحت عينيها، ثم همست فى ألم:" الرجل الصينى. الرجل الصينى. الباب الجانبى".

هب اللورد ياردلى واقفا متوعدا وتبعته وقلبى يخفق فى عنف. الرجل الصينى مجددا! وكان الباب الجانبى المعنى مجرد باب صغير موجود فى زاوية الحائط، ولا يبعد أكثر من عشر ياردات عن موقع المأساة. وحينما وصلنا إليه أطلقت صيحة. فهناك، عند عتبة الباب، كانت توجد قلادة لامعة، من المؤكد أن اللص ألقاها أثناء فراره هلعاً من المكان. انحنيت فوقها فرحا، وهنا أطلقت صيحة دهشة أخرى، جاوبنى اللورد ياردلى بمثلها حيث كانت هناك فجوة كبيرة فى منتصف القلادة. واختفت نجمة الشرق منها تماما!

قلت فى دهشة:" هكذا الأمر إذن. لم يكن مجرد لص عادى. لقد كان كل ما يريده هو الجوهرة فقط".

" لكن كيف دخل إلى هنا؟ "

" عبر الباب".

" لكنة مغلق دائما".

هززت رأسى وقلت:" إنه ليس مغلقا الآن كما ترى" ومددت يدى وفتحته بينما كنت أتحدث.

وبينما كنت أفعل هذا، وقعت عينى على شىء فوق الأرضية فالتقطه، كانت قطعة من الحرير، وكان التطريز واضحا لا شك فيه، لابد أنها اقتطعت من رداء ذلك اللص الصينى.

قلت مفسرا:" لابد أنها علقت بالباب أثناء خروجه منه. هيا،أسرع، لا يمكن أن يكون قد ابتعد عن هنا كثيرا".

لكن بحثنا انتهى دون جدوى. ففى ظلام الليل الحالك هذا، استطاع اللص الهروب بسهولة. وهكذا عدنا على مضض، وأرسل اللورد ياردلى أحد الخدم ليسرع بطلب الشرطة.

كانت السيدة قد استعادت وعيها الآن ومستعدة لإخبارنا بقصتها. وكان بوارو منتظراً معها ليكون فى عونها، حيث إنه لا جدوى منه فى تلك الأمور، تماما كالنساء.

قالت لنا:" كنت على وشك إضاءة النور عندما هاجمنى رجل ما من الخلف. ولقد انتزع القلادة من عنقى بشدة لدرجة أننى وقعت أرضا. وأثناء سقوطى رأيته وهو يتجه نحو الباب الجانبى. ولقد لمحت فيه شعره المعقوص ورداءه المطرز مما أكد لى أنه رجل صينى". ثم توقفت عن الحديث وهى ترتجف.

دخل كبير الخدم وتحدث بصوت خافت مع اللورد ياردلى.

" هناك سيد قادم من طرف السيد هوفبرج. وهو يقول إنك تنتظر قدومه".

صاح اللورد المرتبك:" ياللسماء! من المفترض أن أذهب لرؤيته. كلا، ليس هنا يا" مولينجز"، بل فى المكتبة".

وهنا انتحيت بـ" بوارو" جانبا وقلت له:

" حسنا يا صديقى، أليس من الأفضل لنا أن نعود إلى" لندن"؟".

" أتعتقد ذلك يا" هاستنجز"؟ لماذا؟".

تنحنحت برفق وقلت:"حسنا،. ..... إن الأمور لم تسر على ما يرام. أعنى أنك طلبت من اللورد ياردلى أن يضع ثقته فيك ووعدته أن الأمور ستسير على ما يرام لكن الجوهرة اختفت رغم إرادتك!".

قال بوارو وقد تأثر بكلامى هذا:" صحيح، إننا لم نحقق نجاحاً فى تلك القضية".

لطالما جعلتنى طريقته تلك فى وصف الأمور أبتسم، لكنى أصررت على موقفى وقلت له:

" حسنا، الآن وعذراً لتعبيرى هذا بعد أن أفسدنا الأمور هنا، ألا يجدر بنا الرحيل فورا؟ "

" ماذا عن طعام العشاء الذى من المؤكد أنه طعام رائع، خاصة و أن الذى أعده هو طباخ اللورد ياردلى بنفسه؟ "

قلت فى صبر نافد:" أهذا وقت الحديث عن العشاء؟!".

رفع بوارو يديه فى هلع وقال:

" يا إلهى! إنكم فى هذا البلد تعاملون الأمور المتعلقة بالطعام بإهمال شديد".

قلت له:" كما أن هناك سبباً آخر لعودتنا إلى لندن بأسرع وقت ممكن".

" وما هو يا صديقى؟ "

قلت وأنا أخفض من صوتى:" الجوهرة الأخرى. الخاصة بالسيدة" مارفل".

" آه، فهمت، وماذا بشأنها؟ "

قلت له وأنا أتعجب من بطء فهمه غير المعتاد ومتساءلاً فى نفسى عما حل بعقله حاد الذكاء:" ألا تفهم ما أعنى؟ لقد حصلوا على واحدة، والآن، سيسعون وراء الأخرى".

" رائع!" قالها بوارو وهو يتراجع للخلف خطوة وينظر لى فى إعجاب، ثم أضاف:" عجباً لك يا صديقى! هل خطر ببالك أننى لم أفكر فى هذا الأمر؟ عموماً لدينا الكثير من الوقت، فاكتمال القمر لن يحدث قبل حلول يوم الجمعة القادم".

هززت رأسى فى شك، فنظرية القمر المكتمل تلك لم ترُقْ لى من الأساس. ومع ذلك تمكنت من إقناع بوارو، ورحلنا على الفور تاركين خلفنا رسالة اعتذار وشرح للأمر للورد ياردلى.

كانت خطتى هى الذهاب على الفور لفندق ماجنيفسنت لإبلاغ السيدة" مارفل" بما حدث، لكن بوارو أجهض خطتى تلك بإصراره على أن الصباح هو الوقت المناسب لفعل ذلك. ووافقته على مضض.

وفى الصباح لم تبد على بوارو الرغبة فى الخروج. وبدأت أشك فى أن بوارو، بعدما أخفق فى البداية، بدأ يفقد حماسه تجاه تلك القضية. وعندما حاولت إقناعه بالأمر قال لى، بتعقله المعهود: إن خبر حادثة السرقة فى ياردلى تشيسى لابد أنها تملأ الجرائد، وبالتأكيد علم آل رولف كل التفاصيل التى قد نخبرهما بها". وهكذا استسلمت لمنطقه لكن على مضض.

لكن الأحداث أثبتت أن شكوكى كانت فى محلها، فقد رن جرس الهاتف فى حوالى الساعة الثانية ظهراً. ورد بوارو عليه، وبعد أن استمع للمتحدث لبضع ثوان، رد قائلاً:" حسناً، فهمت" ثم أنهى المحادثة واستدار ليحادثنى.

" ماذا تظن يا عزيزى؟" وكان يبدو عليه الخجل والانفعال فى نفس الوقت ،" لقد سُرقت الجوهرة الخاصة بالسيدة مارفل".

صحت وأنا أهب من مقعدى:" ماذا؟ وماذا بشأن نظرية القمر المكتمل الآن؟". نكس" بوارو" رأسه فأضفت قائلاً:" متى حدث ذلك؟ "

" هذا الصباح كما فهمت".

هززت رأسى بحزن وقلت:" لو أنك فقط استمعت لكلامى، لكنت قد علمتَ أننى محق".

قال بوارو بحرص:" يبدو أن الأمر هكذا يا عزيزى. إن المظاهر قد تكون خداعة كما يقولون، ويبدو أنهم محقون فى ذلك".

وبينما كان التاكسى يسرع بنا نحو فندق ماجنيفسنت كنت أتفكر فى تلك الخدعة التى تعرضنا لها. وأردفت قائلاً:

" إن فكرة" القمر المكتمل" تلك حاذقة للغاية. لقد كان الهدف منها أساساً هو خداعنا وجعلنا نركز على يوم الجمعة مما يجعلنا نتراخى فى حذرنا قبل ذلك. من المؤسف أنك لم تدرك هذا الأمر".

قال بوارو بهدوء وقد عاوده عدم الاكتراث الذى كان يتملكه:" لا يمكن للمرء أن يفكر فى كل شىء!".

كم شعرت بالأسف تجاهه، فقد كان يكره أى فشل من أى نوع.

قلت مواسياً:" ابتهج يا صديقى، سيكون حظك أفضل المرة القادمة".

توجهنا لدى وصولنا لفندق ماجنيفسنت نحو غرفة المدير. وكان جريجورى رولف هناك بصحبة رجلين من سكوتلاند يارد، ويجلس قبالتهم موظف شاحب الوجه من موظفى الفندق.

حيانا" رولف" بإيماءة من رأسه عندما دخلنا.

ثم قال:" إننا على وشك فهم كيف حدث ذلك. لكن ذلك لا يصدق. كيف واتت ذلك اللص الجرأة لفعل هذا الأمر؟".

وخلال دقائق كانت لدينا جميع التفاصيل، فالسيد رولف كان قد غادر الفندق فى الساعة الحادية عشرة والربع. وفى الساعة الحادية عشرة والنصف دخل رجل يشبهه بشكل كبير إلى الفندق وطالب بصندوق المجوهرات الموجود فى خزينة الفندق. ثم وقع على الإيصال قائلاً:" قد يبدو الخط مختلفاً عن خطى المعتاد، إذ إننى جرحت يدى أثناء الخروج من التاكسى". ولقد ابتسم الموظف قائلاً إنه لم يلاحظ اختلافاً كبيراً. فضحك رولف وقال:" حسناً، أرجو ألا تعتبرنى شخصاً محتالاً على أية حال. فلقد جاءتنى خطابات تهديد من رجل صينى، والأسوأ من هذا هو أننى أنا نفسى أشبه الصينين، خاصة لو نظرت إلى عينى".

قال الموظف الذى كان يحكى لنا القصة:" ولقد نظرت بالفعل إليه وأدركت ما كان يعنى، حيث كانت عيناه مرتفعتين قليلاً من الجوانب تماماً مثل عيون أهل الشرق. ولم أكن قد لاحظت هذا من قبل".

قال" جريجورى رولف" وهو ينحنى للأمام: " اللعنة يا رجل، وهل تلاحظ ذلك الآن؟".

نظر الرجل إليه وجحظت عيناه.

" كلا يا سيدى، لا أستطيع أن أدعى ذلك". وبالفعل لم يكن هناك أية علاقة لتلك العينين البنيتين الواسعتين بأعين أهل الشرق، لا من قريب ولا من بعيد.

قال رجل شرطة سكوتلاند يارد ساخطاً:" ذلك اللص الجرىء. لقد خشى أن يتم ملاحظة شكل عينيه، لهذا فقد وجه انتباه الموظف لها حتى يتجنب أى شك. لابد أنه قد رآك تخرج من الفندق يا سيدى ودخل فور ابتعادك عنه".

سألته قائلاً:" وماذا عن صندوق المجوهرات؟".

" لقد وجدته فى أحد ممرات الفندق. ولم يؤخذ منه إلا شىء واحد نجمة الغرب".

حملقنا فى بعضنا البعض، فقد كان الأمر غريباً حقاً، كان شيئاً لايصدق.

هب" بوارو" واقفاً على قدميه وقال بأسف:" معذرة، إن وجودى لم يُفد كثيراً. هل بإمكانى رؤية زوجتك؟ "

قال رولف:" أعتقد أنها منهارة من أثر الصدمة".

" حسناً، إذن ربما يمكننى التحدث معك أنت يا سيدى على انفراد".

" بكل سرور".

وبعد خمس دقائق عاد بوارو.

ثم قال بسعادة:" والآن يا صديقى، هيا بنا نذهب إلى مكتب البريد، فلابد أن أرسل برقية فوراً".

" إلى من؟ "

" لورد ياردلى" ثم منعنى من سؤاله عن أى شىء آخر بأن تأبط ذراعى وقال:" هيا، هيا يا عزيزى، أنا أعلم شعورك تجاه هذا الأمر البشع. إننى لم أُبْلِ بلاءً حسناً فى هذه القضية، وربما لو كنت أنت فى مكانى لكنت أبليت أفضل منى. حسناً! والآن وقد اعترفت بهذا دعنا لا ننسى تناول الغداء".

فى حوالى الرابعة دخلنا مكتب بوارو وكان هناك شخص جالس على كرسى بجوار النافذة، فنهض واقفاً. كان هذا هو اللورد ياردلى. وكان يبدو عليه الجزع والحيرة.

" لقد تسلمت برقيتك على الفور، اسمع، لقد ذهبت إلى هوفبرج، ولا أحد يعلم بشأن ذلك الرجل المزعوم القادم من طرفهم، ولا بخصوص البرقية التى وردتنى منهم. هل تظن أن. ..".

رفع بوارو راحتيه وقال:

" المعذرة يا سيدى، لقد كنت أنا من أرسل تلك البرقية، وأنا من قمت باستئجار الرجل المزيف".

قال اللورد فى عدم فهم:" أنت؟ لكن لماذا؟ ماذا تعنى؟".

قال بوارو فى هدوء:" لقد كانت خطتى هى أن أسرع بحدوث الأشياء قليلاً".

صاح اللورد ياردلى قائلاً:" الإسراع بالأشياء! يا إلهى!".

قال بوارو بابتهاج:" ولقد نجحت فى مسعاى هذا. ولهذا يا عزيزى اللورد، يسعدنى أن أعيد لك. .. هذه!" وبحركة مسرحية أخرج من جيبه ذلك الشىء اللامع، لقد كانت تلك الجوهرة العظيمة.

شهق اللورد ياردلى قائلاً:" نجمة الشرق. لكنى لا أفهم. ..".

قال بوارو:" ألا تفهم؟ حسناً لا يهم ذلك كثيراً. كان لابد أن تتم سرقة الجوهرة. لقد وعدتك أن أحميها لك، ولقد حافظت على وعدى هذا. وأرجو منك أن تسمح لى بالاحتفاظ بهذا السر الصغير. وأرجو أن توصل للسيدة ياردلى احترامى العميق وتخبرها أننى سعيد للغاية باستطاعتى استعادة الجوهرة لها. طاب يومك يا سيدى".

قاد الرجل الضئيل اللورد نحو الباب وهو يتحدث ويبتسم ثم عاد بهدوء وهو يفرك يديه.

قلت له:" بوارو، هل فقدت عقلى أم ماذا؟".

" كلا يا عزيزى، ولكنك، كالمعتاد، مشوش الفكر".

" كيف حصلت على الجوهرة؟ "

" من السيد رولف".

" رولف؟ "

" أجل، إن خطابات التحذير، والرجل الصينى، والمقال المنشور فى سوسيتى جوسيب، كلها نتاج سذاجة السيد رولف نفسه! أما عن الجوهرتين اللتين من المفترض أنهما متماثلتان! فإنهما غير موجودتين من الأساس. إن هناك جوهرة واحدة فقط يا صديقى! والمملوكة أساساً لعائلة ياردلى. لكنها ولمدة ثلاث سنوات كانت فى حوزة السيد رولف ولقد سرقها هو بنفسه من الفندق هذا الصباح، بمساعدة مسحة بسيطة من الشحم عند طرف كل عين! آه، لابد أن أشاهده وهو يمثل فى الأفلام، إنه حقاً ممثل رائع".

سألته فى حيرة:" لكن لماذا يقوم بسرقة الجوهرة الخاصة به؟ "

" لأسباب عدة: أولها هو أن السيدة ياردلى نفسها بدأت تسأم من الموقف".

" السيدة ياردلى؟ "

" أنت تعلم أن زوجها كان يتركها كثيراً وحدها وهما فى كاليفورنيا. وكان زوجها يسلى نفسه فى أماكن أخرى. وكان السيد رولف وسيماً، يجيد الرومانسية، وبدا مغرماً بها.

لكنه فى الحقيقة كان رجلاً عملياً للغاية، حيث تبادل مع السيدة مشاعر الحب، ثم بدأ يبتزها. ولقد واجهت السيدة بالحقيقة الليلة الماضية واعترفت لى بصحة هذا الكلام. لكنها أقسمت لى أنها لم تخن زوجها، فقد تبادلت فقط بعض كلمات الحب مع السيد رولف، وأنا أصدقها. لكن السيد رولف كانت لديه مجموعة خطابات منها تحمل كلمات قد يُساء تفسيرها. ولما كانت خائفة أن يتم طلاقها من اللورد، ويتم التفريق بينها وبين أطفالها فقد أذعنت لرغبات السيد رولف. ولأنها لم تكن تملك مالاً خاصاً بها، فقد سمحت له بأخذ الجوهرة، على أن يضع نسخة منها لديها. لقد لفت نظرى موعد ظهور ما يسمى بـ" نجمة الغرب". وسارت الأمور بشكل حسن للجميع. واستعد اللورد ياردلى للاستقرار. ثم ظهر فى الأفق احتمال بيع الجوهرة التى يملكها. وهذا يهدد بفضح عملية الاستبدال. وبدون أدنى تردد قامت السيدة ياردلى بإرسال برقية للسيد رولف والذى وصل لتوه إلى إنجلترا. ولقد هدأ من روعها بأن وعدها بحل تلك المشكلة وهكذا رتب لعملية السرقة المزدوجة. وبهذه الصورة سوف يهدئ من روع السيدة التي قد تنهار وتخبر زوجها بأمر تلك العلاقة العابرة، وهو ما لن يناسب ذلك المبتز على الإطلاق، كما أنه سيحصل على خمسين ألف جنيه قيمة التأمين (آه، يبدو أنك نسيت ذلك!) كما أنه سيحتفظ بالجوهرة كذلك! لكن فى هذه اللحظة، تدخلت أنا لتصحيح الأمور. حيث تم الإعلان عن وصول خبير المجوهرات. وقامت السيدة ياردلى تماماً كما كنت متأكد من أنها ستفعل بترتيب عملية السرقة، ولقد نفذتها بكل براعة! لكن هيركيول بوارو لا يرى سوى الحقائق. ما الذى حدث بالضبط؟ لقد قامت السيدة بإطفاء النور، ثم أغلقت الباب بعنف وألقت القلادة فى الممر، وأطلقت صرخة عالية. وكانت قد خلعت الجوهرة المزيفة من القلادة فى غرفتها بالدور العلوى".

قلت معترضاً:" لكننا رأينا القلادة حول عنقها!".

" اسمح لى يا صديقى، ولكن يدها كانت تخفى ذلك الجزء من القلادة الذى به الجوهرة المفقودة وذلك حتى لا نرى المكان الفارغ. وكان من السهل عليها أن تضع قطعة من الحرير بالقرب من الباب قبل ذلك! وبالطبع بمجرد أن قرأ رولف عن حادثة السرقة، رتب لتلك المسرحية الهزلية الصغيرة التى قام بها بكل مهارة!".

سألته بفضول:" ما الذى قلته له؟ "

" قلت له إن السيدة ياردلى صارحت زوجها بكل شىء، وإننى مخول باستعادة الجوهرة وأنه لو لم يسلمها لى على التو فسأتخذ ضده الإجراءات اللازمة. بالإضافة لبعض الأكاذيب الصغيرة التى خطرت على بالى حينئذٍ. ولقد أطاعنى فيما قلت دون أدنى اعتراض!".

تدبرت الأمر فى عقلى وقلت:" إن الأمر يبدو فيه إجحاف شديد بـ" مارى مارفل"، فلقد فقدت جوهرتها دون أدنى جريرة منها".

قال" بوارو" بجفاء:" كلا! بل حصلت على الضجة الإعلامية التى تحتاجها. وهذا هو كل ما يهمها، وليس الجوهرة! أما المرأة الأخرى فالأمر مختلف، يا للنساء!".

" أجل" هكذا رددت عليه فى تردد حيث كنت لا أتفق تماماً مع وجهة نظر" بوارو" بخصوص النساء ثم أضفت:" أعتقد أن رولف هو من أرسل إليها تلك الخطابات المضللة".

قال" بوارو":" ليس بالضبط، لقد أتت السيدة إلىّ بناءً على نصيحة مارى كافنديش، وذلك لتطلب مساعدتى فى محنتها تلك. ثم عرفت منك بأمر" مارى مارفل"، عدوتها اللدود، وأنها كانت هنا، فقامت باختلاق تلك القصة التى قدمتها لها أنت يا عزيزى. وبمجرد بضعة أسئلة بسيطة أصبح جلياً أمامى أنك أنت يا عزيزى الذى أخبرتها بشأن الخطابات وليست هى التى أخبرتك! فلقد استغلت الفرصة التى أتاحتها لها كلماتك أنت".

قلت مندهشاً:" لا أصدق هذا ".

" بل الأمر كذلك يا عزيزى، من المؤسف أنك لم تدرس علم النفس. لقد قالت لك إنها مزقت الخطابات، أليس كذلك؟ لكن هيهات! إن المرأة لا تمزق أى خطاب غرامى ورد إليها ما استطاعت لذلك سبيلاً! حتى لو كان فى هذا أذى لها".

قلت وأنا أشعر بالغضب:" هكذا الأمر إذن، لكنك جعلت منى شخصاً أحمق للغاية! من البداية للنهاية! كلا، ليس من اللائق أن تنتظر حتى النهاية لتوضح لى الأمر، لابد أن تراعى حدود اللياقة".

" لكنك كنت مستمتعاً بالأمر يا عزيزى، ولم تواتنى الجرأة أن أفسد عليك أوهامك".

" كلا، لا تحاول، لقد تماديت فى الأمر حقاً هذه المرة".

" يا إلهى! إنك تغضب بسبب شىء تافه يا عزيزى!".

"لقد فاض الكيل"، هكذا قلت له وأنا أخرج من الباب. لقد جعل منى" بوارو" شخصاً بالغ الحماقة، ولابد لى من وقفة حازمة معه ولن أسامحه إلا بعد مرور بعض الوقت، لقد شجعنى على أن أصنع من نفسى شخصاً بالغ الحماقة حقاً.

- 2 -

مأساة مارسدون مانور

قضيت بضعة أيام خارج المدينة لتدبير بعض الأمور، ولدى عودتى وجدت بوارو يشرع فى حزم حقيبة السفر الصغيرة الخاصة به.

" مرحى يا هاستنجز، كنت أخشى ألا تعود فى الوقت المناسب لتصحبنى".

" هل تم استدعاؤك فى قضية؟".

" أجل، على الرغم من أننى أجد نفسى مدفوعاً لقبولها إلا أن الأمور من ظاهرها تبدو غير مشجعة على الإطلاق. لقد طلبت منى شركة" نورثرن يونيون" للتأمين التحقيق فى ملابسات وفاة السيد مالترافرز، الذى قام بالتأمين على حياته لديهم منذ بضعة أسابيع بمبلغ كبير يقدر بخمسين ألف جنيه".

قلت مهتماً بالأمر:" أجل، وماذا بعد؟".

" بالطبع كان هناك ذلك الشرط المتعلق بالانتحار فى وثيقة التأمين. ففى حالة إقدام المؤمن عليه على الانتحار فى خلال عام فسوف تضيع أقساط التأمين على ورثته. ولقد تم فحص السيد مالترافرز بمعرفة طبيب الشركة جيداً ووجد أن المذكور، على الرغم من تخطيه ريعان الشباب، كان فى صحة طيبة. ومع ذلك، ويوم الأربعاء الماضى، أى منذ يومين، وجدت جثة السيد مالترافرز فى منزله فى مارسدون مانور بمقاطعة إسكس، وقد أرجع سبب الوفاة لحدوث نزيف داخلى. إلى هنا والأمر قد يبدو طبيعياً، ولكن الشائعات كانت تحوم حول حالة السيد مالترافرز المادية مؤخراً، كما أن شركة التأمين تأكدت أن المتوفى كان على حافة الإفلاس. وهذا قد غير من الأمر بصورة كبيرة. إن السيد مالترافرز له زوجة صغيرة السن، ويقال إنه قد جمع كل ما استطاع من مال من أجل دفع أقساط التأمين على الحياة، والتى ستستفيد منها زوجته، ثم أقدم على الانتحار. وهذا أمر شائع الحدوث. وعموماً فقد طلب منى صديقى ألفريد رايت، مدير شركة التأمين، أن أحقق فى ملابسات القضية، لكنى، كما قلت له، لا أتوقع أن أصيب فيها نجاحاً كبيراً. وإذا ما اتضح أن سبب الوفاة هو أزمة قلبية فلن أكون متفائلاً. إن تشخيص الوفاة على أنها أزمة قلبية يعنى أن الممارس العام الذى وقع الكشف على الجثة عاجز عن معرفة السبب الحقيقى للوفاة، لكن النزيف يعد سبباً أكثر تحديداً. ومع ذلك، لا يزال بإمكاننا إجراء بعض التحقيقات.

أمامك خمس دقائق لحزم حقائبك يا عزيزى هاستنجز، وسوف نأخذ سيارة أجرة إلى شارع ليفربول".

بعد حوالى الساعة كنا نترجل من قطار الشرق العظيم فى محطة مارسدون الصغيرة. وبعد الاستعلام فى المحطة علمنا أن مارسدون مانور كانت على بعد ميل واحد. وقرر بوارو أن نذهب إلى هناك مشياً، وهكذا مشينا عبر الطريق الرئيسى.

سألته:" ما هى خطتنا؟".

" سأذهب أولاً لمحادثة الطبيب. ولقد علمت أنه لا يوجد إلا طبيب واحد فقط فى مارسدون وهو الدكتور رالف برنارد. آه، ها نحن أمام منزله".

كان المنزل المقصود شيئاً أشبه بكوخ ضخم يبتعد قليلاً عن حافة الطريق الرئيسى. وعلى الباب حملت اللوحة النحاسية اسم الدكتور. وهكذا مشينا تجاهه ثم قرعنا الجرس.

كان قرار زيارتنا له فى هذا الوقت سليماً، حيث كان الطبيب يعمل فى منزله فى ذلك الوقت، لكن لم يكن هناك أى مرضى فى انتظاره. كان الدكتور برنارد رجلا عجوزا ذا كتفين منحنيين وروح طيبة ودودة.

قدم بوارو نفسه له موضحاً سبب الزيارة، مضيفاً أن شركات التأمين كافة عادة ما تقوم بهذا النوع من التحقيقات فى مثل هذه القضايا.

قال الدكتور برنارد:" بالطبع، أعتقد أنه بوصفه رجلا ثريا فقد قام بالتأمين على حياته بمبلغ كبير، أليس كذلك؟".

" هل تعتقد أنه رجل ثرى يا دكتور؟".

نظر لنا الطبيب فى دهشة وقال:

" ألم يكن كذلك؟ لقد كانت لديه سيارتان، كما أن ضيعة مارسدون مانور التى يملكها كانت كبيرة، بالرغم من أننى أظن أنه قد اشتراها بثمن بخس".

قال بوارو وهو يتفحص الدكتور بشدة:" أعتقد أنه قد مر ببعض الخسائر المالية مؤخراً".

" هل هذا صحيح؟ حسناً، أظن أن من حسن حظ زوجته وجود مبلغ التأمين على الحياة. إنها امرأة صغيرة وجميلة حقاً، لكنها الآن بائسة تماماً بسبب مصيبتها تلك. إنها عصبية وحساسة للغاية، يا للمسكينة. لقد حاولت التخفيف عنها قدر الإمكان ولكن، بالطبع، الصدمة كانت عنيفة".

" هل كنت تتولى العناية بالسيد مالترافرز مؤخراً؟".

" إننى لم أعالجه قط يا سيدى العزيز".

" ماذا؟".

" أعلم أن السيد مالترافرز كان عالمًا أو شيئا من هذا القبيل".

" لكنك أنت من فحص الجثة؟".

" بالتأكيد، لقد تم استدعائى بواسطة أحد العاملين فى الحديقة لديه".

" وهل كان سبب الوفاة واضحًا؟".

" بكل تأكيد. لقد كانت هناك دماء على الشفتين، لكن معظم النزيف كان داخليًا".

" هل كان راقدًا فى نفس موضعه عندما فحصته؟".

" أجل، فلم يلمس أحد الجثة. كان راقدًا بجوار أحد الحقول، وكان بالتأكيد يشرع فى الصيد حيث وُجدت بجواره بندقية صيد. ولابد أن النزيف قد حدث بصورة سريعة مفاجئة ؛ قرحة معدية دون شك".

" ألا يوجد احتمال أنه تعرض لإطلاق النار؟".

" وهل سيفوتنى شىء كهذا يا سيدى العزيز؟!".

قال بوارو فى هدوء:" المعذرة يا سيدى، لكن فى إحدى القضايا على ما أذكر أقر الطبيب بأن سبب الوفاة المبدئى هو الأزمة القلبية، ثم غير رأيه عندما لفت مفتش الشرطة نظره إلى جرح الرصاصة الموجود فى الرأس!".

قال الدكتور برنارد بجفاء:" لن تجد أى جروح فى جثة السيد مالترافرز. والآن يا سادة، إذا لم يكن هناك شىء آخر. .".

وبالطبع فهمنا ما يعنيه.

" طاب صباحك، شكرًا جزيلاً لك يا دكتور لإجابتك عن تساؤلاتنا. وبالمناسبة، ألا تعتقد أن هناك ضرورة لإجراء تشريح للجثة؟".

قال الدكتور ببرود:" مطلقًا. إن سبب الوفاة واضح، وفى مهنتنا هذه لا نرى سببًا لإضافة المزيد من التعاسة لأقارب المتوفى بتشريح جثته".

ولدى مغادرتنا أغلق الطبيب الباب خلفنا بشىء من الحدة.

سألنى بوارو ونحن فى طريقنا نحو مارسدون مانور:" ما رأيك فى دكتور برنارد يا هاستنجز؟".

" مجرد عجوز أحمق".

" بالضبط، إن حكمك على الشخصيات دائمًا ما يكون فى محله يا صديقى".

نظرت نحوه فى عدم ارتياح لكنه كان جادًا للغاية. ومع ذلك فقد التمعت عيناه وهو يضيف بخجل:

" هذا بالطبع طالما أن الموضوع لا يتعلق بامرأة جميلة!".

نظرت إليه ببرود.

ولدى وصولنا لمنزل مانور فتحت لنا خادمة فى منتصف عمرها الباب. وناولها بوارو بطاقته وخطابا من شركة التأمين موجها للسيدة مالترافرز. فأدخلتنا هذه الخادمة إلى حجرة صغيرة ثم ذهبت لتخبر سيدتها بشأن قدومنا. وبعد انقضاء حوالى عشر دقائق فُتح الباب وعلى عتبته ظهرت امرأة رشيقة ترتدى ملابس الحداد.

ثم قالت:" سيد بوارو؟".

هب بوارو واقفًا على قدميه ثم أسرع نحوها قائلاً: " سيدتى! لا أستطيع إخبارك كم أنا مستاء لإزعاجك بهذه الصورة. لكن كما تعلمين، العمل لا يرحم".

سمحت له السيدة مالترافرز بأن يصحبها نحو الكرسى. كانت عيناها حمراوين من فرط البكاء، لكن تلك التعاسة العابرة لم تستطع إخفاء جمالها غير العادى. كانت فى نحو السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من عمرها، وكانت ذات بشرة فاتحة وعينين زرقاوين كبيرتين، وفم جميل ذى شفتين مكتنزتين.

" لابد أن الأمر يتعلق بوثيقة التأمين الخاصة بزوجى، أليس كذلك؟ أكان لابد من إزعاجى بهذا الأمر وبهذه السرعة؟".

" تشجعى يا سيدتى العزيزة، تشجعى! لقد قام زوجك الراحل بالتأمين على حياته بمبلغ كبير، وفى مثل هذه الحالات عادة ما تقوم شركات التأمين بالتحقق من بعض التفاصيل. ولقد خولتنى الشركة للقيام بهذا. ولتكونى متأكدة من أننى سأبذل قصارى جهدى لكى أهوّن عليك الأمر ما استطعت. هلا قصصت علىّ باختصار الأحداث الحزينة ليوم الأربعاء الماضى؟".

" كنت أقوم بتغيير ملابسى استعدادًا لشرب الشاى حينما أتت الخادمة إلىّ وجاء أحد العاملين بالحديقة نحو المنزل يجرى، وكان قد وجد. ..".

ثم تقطع صوتها، وضغط بوارو على يديها بكل تعاطف.

" حسنًا، أنا أفهم، هونى عليك! هل حدث أن رأيت زوجك قبل ذلك، فى ظهيرة هذا اليوم؟".

" لم أره منذ الغداء. فقد ذهبت سيرًا نحو القرية لشراء بعض الطوابع، وأعتقد أنه كان بالخارج يتمشى قليلاً".

" كان يصطاد، أليس كذلك؟".

" نعم، هكذا كان معتادًا على أن يأخذ بندقية الصيد معه، ولقد سمعت طلقة أو اثنتين من بعيد".

" وأين بندقيته تلك الآن؟".

" فى البهو على ما أعتقد".

ثم خرجت من الحجرة وأتت بالسلاح النارى وناولته لبوارو الذى تفحصه بدقة.

قال وهو يناولها البندقية:" حسنًا، لقد تم إطلاق طلقتين منها. والآن يا سيدتى، هلا سمحت لى برؤية. ..".

ثم صمت قليلاً.

غمغمت وهى تشيح برأسها قائلة:" سوف يصحبك أحد الخدم إليها".

ثم استدعت خادمة الاستقبال والتى اصطحبت بوارو للدور العلوى. وبقيت وحدى مع المرأة الجميلة المكلومة. وكان من الصعب علىّ تحديد ما إذا كان من الأفضل أن أتحدث معها أم أظل صامتًا. ألقيت عليها ملاحظة أو اثنتين فردت عليهما بذهن شارد. وبعد دقائق عاد بوارو إلينا.

" أشكرك للغاية لكرمك الشديد يا سيدتى. وأظن أنه لا يجب إزعاجك بهذا الأمر. وبالمناسبة، هل تعرفين أى معلومات حول الموقف المالى لزوجك؟".

هزت رأسها نافية وقالت:

" لا شىء البتة. إننى حمقاء للغاية فيما يتعلق بشئون المال والأعمال تلك".

" حسنًا، إذن أنت لا تعرفين لماذا قرر فجأة التأمين على حياته، أليس كذلك؟ إنه لم يفكر بالأمر من قبل حسب علمى".

" حسنًا، لقد تزوجنا منذ ما يربو على العام. أما عن سبب قيامه بالتأمين على حياته فأعتقد أن هذا يرجع إلى اقتناعه التام بأنه لن يعيش طويلاً. لقد كان يشعر بدنو أجله. وأعتقد أنه كان قد أصيب بنزيف سابق وأنه كان يعلم أن إصابته بنزيف آخر كفيلة بالقضاء عليه تمامًا. ولقد حاولت أن أبدد تلك المخاوف الكئيبة لكن دون جدوى. وبكل أسف كان محقًا فيما توقع".

التمعت الدموع فى عينيها ثم ودعتنا بهدوء. وبينما كنا نسير على الممشى، قدم بوارو أحد تلميحاته المميزة فقال:

" حسنًا، هذا هو الأمر! فلنعد إلى لندن يا صديقى، لا يبدو أن هناك جدوى من بقائنا هنا، ولكن. ..".

" ولكن ماذا؟".

" مجرد تناقض بسيط، هذا كل ما هناك! هل لاحظته؟ ألم تلاحظه؟ ومع ذلك فالحياة مليئة بالتناقضات، وبالطبع لم يقتل الرجل نفسه، فلا يوجد سم يملأ فم متعاطيه بالدماء. كلا، كلا، لابد أن أقنع نفسى أن كل الأمور هنا سليمة ولا غبار عليها لكن من هذا؟".

كان هناك شاب طويل يمشى على الممشى متجهًا ناحيتنا. ثم مر بجوارنا دون أى إشارة، لكنى لاحظت أنه لم يكن يبدو عليه الحزن، بل كان له وجه نحيل لفحته أشعة الشمس كما لو كان قادما من منطقة مدارية حارة. كان البستانى الذى يكنس أوراق الشجر قد توقف عن عمله للحظات وأسرع بوارو نحوه قائلاً له:

" أخبرنى من فضلك، من هو هذا السيد؟ هل تعرفه؟".

" لا أذكر اسمه يا سيدى على الرغم من أننى سمعته من قبل. لقد أمضى يومًا معنا هنا الأسبوع الماضى. أجل يوم الثلاثاء".

" أسرع يا عزيزى، فلنتبعه بسرعة".

أسرعنا على الممشى خلف الرجل والذى انحرف فى مشيه عندما رأى تلك المرأة المرتدية الرداء الأسود والواقفة فى الشرفة الجانبية للمنزل. وبالطبع تبعناه لكنى نشهد هذا اللقاء.

كانت السيدة مالترافرز تترنح فى مكانها وقد شحب وجهها بصورة ملحوظة.

ثم قالت بأنفاس متقطعة:" أنت. كنت أعتقد أنك فى البحر الآن، متجهًا إلى شرق أفريقيا".

قال الشاب موضحًا الأمر:" لقد أتتنى بعض الأخبار من المحامى سببت تأخرى. لقد مات عمى العجوز فى اسكتلندا بصورة مفاجئة وترك لى بعض المال. وفى ظل هذه الظروف رأيت أنه من الأفضل لى أن ألغى سفرى. ثم طالعت الأخبار الحزينة فى الصحف وقررت المجىء لأرى إذا ما كان بوسعى المساعدة بشىء. وعلى الأرجح ستحتاجين شخصًا يعتنى بأمورك".

فى هذه اللحظة انتبه الاثنان لوجودنا. تقدم بوارو نحوهما واعتذر معللاً وجودنا بأنه قد نسى عصاه فى البهو. وبتردد، كما بدا لى، قامت السيدة مالترافرز بتعريفنا ببعضنا البعض.

" سيد بوارو، هذا هو كابتن بلاك".

تبع هذا دقائق من المحادثات الودية والتى علم بوارو من خلالها أن كابتن بلاك كان قاطنًا فى فندق" أنكور إن". وبعد أن بحث عن عصاه ولم يجدها (لا مفاجأة فى هذا بالطبع) تمتم بوارو ببعض كلمات الاعتذار وغادرنا المكان.

عدنا بعد ذلك للقرية بسرعة كبيرة ومنها اتجه بوارو بأسرع ما يمكن نحو فندق" أنكور إن".

ثم قال موضحاً لى:" سوف نبقى هنا بانتظار عودة الكابتن. هل لاحظت أننى أكدت على أننا سنعود إلى لندن على متن أول قطار؟ ربما تظن أننى قصدت هذا حقًا. لكن هل لاحظت وجه السيدة مالترافرز حينما رأت ذلك الشاب بلاك؟ لقد أجفلت. أما بخصوصه فقد كان مخلصًا حقًا، أليس كذلك؟ كما أنه قضى ليلة الثلاثاء اليوم السابق مباشرة لوفاة السيد مالترافرز هنا. لابد لنا من تحرى كل شىء يتصل بالكابتن بلاك هذا يا هاستنجز".

بعد نحو نصف الساعة وصل رجلنا إلى الفندق، وخرج بوارو للقائه ثم اصطحبه نحو الغرفة التى رتبناها لهذا الغرض.

ثم قال:" لقد كنت أخبر الكابتن بلاك عن المهمة التى من أجلها أتينا إلى هنا. وبالطبع أنت تفهم يا عزيزى الكابتن أننى أريد معرفة الحالة العقلية التى كان عليها السيد مالترافرز قبل وفاته. لكنى فى الوقت ذاته لا أريد إزعاج السيدة مالترافرز بسؤالها مزيدا من الأسئلة المؤلمة. والآن، وبما أنك كنت فى المنزل قبل الوفاة مباشرة، فيمكنك أن تزودنا بنفس القدر من المعلومات الضرورية.

رد الكابتن الصغير قائلاً:" سأفعل كل ما بوسعى لمساعدتكما فى هذا الأمر، لكن معذرة، إننى لم ألاحظ أى شىء غير عادى. فعلى الرغم من أن عائلة مالترافرز أصدقاء قدامى لى ولعائلتى، إلا أننى لم أعرف السيد مالترافرز جيداً".

" ومتى أتيت لمنزلهم؟".

" بعد ظهر يوم الثلاثاء، ثم ذهبت فى صباح الأربعاء الباكر إلى المدينة، حيث كانت السفينة" تيلبرى" التى ستبحر بى سوف تغادر فى نحو الساعة الثانية عشرة. لكن أتتنى بعض الأنباء التى جعلتنى أغير من خطتى، وأعتقد أنكما سمعتما بها أثناء تفسيرى الأمر للسيدة مالترافرز".

" لقد فهمت من حديثكما أنك كنت عائداً إلى شرق أفريقيا، أليس كذلك؟".

" نعم، لقد كنت هناك فى أوغندا منذ الحرب العالمية إنه بلد جميل".

" بالطبع، والآن، ما الذى تحدثتما بشأنه على العشاء فى ليلة الثلاثاء؟".

" آه، لا أعلم، فى موضوعات معتادة. لقد سألنى مالترافرز عن عائلتى، ثم ناقشنا أمر التعويضات الألمانية، ثم سألنى السيد مالترافرز العديد من الأسئلة عن شرق أفريقيا، وحكيت لهما قصة أو اثنتين، وهذا كل ما فى الأمر على ما أعتقد".

" أشكرك يا سيدى".

صمت بوارو للحظات. ثم قال برفق:" اسمح لى يا سيدى، أود القيام بتجربة بسيطة معك. لقد أخبرتنا ما يعرفه عقلك الواعى. وأنا أريد أن أستكشف عقلك الباطن".

قال الكابتن بلاك فى تحفز:" تحليل نفسى؟".

قال بوارو مهدئًا إياه:" كلا، كلا، الأمر بسيط للغاية. كل ما فى الأمر هو أننى سأقول لك كلمة، وستجيبنى أنت بكلمة أخرى، وهكذا. فقط أول كلمة تخطر على بالك. هلا بدأنا؟".

قال الكابتن بلاك بهدوء:" حسناً"، لكن كان يبدو عليه عدم الارتياح.

" فلتدون الكلمات من فضلك يا هاستنجز". قالها بوارو لى، ثم أخرج من جيبه ساعة الجيب الكبيرة الخاصة به ووضعها على المائدة بجواره وقال:" سوف نبدأ الآن: نهار".

مرت لحظة صمت ثم رد الكابتن قائلاً:" ليل".

ومع توالى الأسئلة أصبحت الردود أسرع.

قال بوارو:" اسم".

" مكان".

" برنارد".

" شو".

" الثلاثاء".

" العشاء".

" رحلة".

" سفينة".

" بلد".

" أوغندا".

" قصة".

" أسود".

" بندقية صيد".

" مزرعة".

" طلقة".

" انتحار".

" فيل".

" ناب".

" أموال".

" محامون".

" أشكرك يا كابتن بلاك. هل تسمح بأن تعطينى دقائق قليلة من وقتك بعد نحو نصف الساعة من الآن؟".

" بالطبع" قالها الكابتن الشاب وهو ينظر إليه بغرابة ثم قام من مجلسه وهو يمسح حاجبيه.

قال بوارو وهو يبتسم لى بعد أن أغلق الكابتن الباب خلفه:" والآن يا هاستنجز. لقد رأيت كل شىء، أليس كذلك؟".

" لا أعلم ماذا تعنى".

" هل تخبرك قائمة الكلمات هذه بأى شىء؟".

تفحصتها جيداً، لكنى هززت رأسى بعدها بالنفى.

" سأساعدك. بداية، لقد أجاب بلاك فى حدود الوقت الطبيعى، دون أى توقف، لذا يمكننا الافتراض بأنه ليس لديه نية سيئة للخداع والغش. إن ارتباط كلمة" نهار" مع" ليل" و" مكان" مع" اسم" كلها ارتباطات طبيعية، والبداية الحقيقية كانت بـ" برنارد" والذى قد يرتبط فى ذهنه باسم طبيب محلى ربما قابله من قبل، لكن من الواضح أن هذا لم يحدث. وبعد محادثتنا القصيرة ربط بين كلمتى" عشاء" و" الثلاثاء"، لكن إجابته على كلمتى" رحلة" و" بلد" بكلمتى" سفينة" و" أوغندا" توضح بجلاء أنه مهتم للغاية برحلته للخارج أكثر بكثير من الرحلة التى جاءت به إلى هنا. وكلمة" قصة" مرتبطة عنده بإحدى قصص" الأسود" والتى حكاها لهما على العشاء. لكن عندما قلت له" بندقية صيد" أجابنى بكلمة غير متوقعة تماماً وهى" مزرعة"، وعندما قلت" طلقة" قال على الفور" انتحار"، والارتباط هنا واضح. إن رجلاً يعرفه قد انتحر فى مزرعته بمكان ما مستخدماً بندقيته. تذكر أيضاً أن عقله لايزال مشغولاً بالقصص التى حكاها لهما على العشاء، وأعتقد أنك ستتفق معى أننى سوف أقترب من الحقيقة إذا ما استدعيت كابتن بلاك وطلبت منه أن يكرر قصة الانتحار التى حكاها لهما على العشاء ليلة الثلاثاء".

وبالفعل تفهم بلاك الأمر سريعاً.

" أجل لقد أخبرتهما بشأن تلك القصة العالقة بذهنى الآن. لقد أطلق أحد الأشخاص النار على نفسه فى إحدى المزارع هناك. لقد فعلها بأن أطلق النار من بندقية صيد فاخترقت الطلقة سقف حلقه، استقرت فى مخه تماماً. ولقد احتار الأطباء بشدة فى الأمر حيث لم يكن هناك أى شىء ظاهر، باستثناء بعض الدماء على شفتيه، لكن ما. ..؟".

" ما علاقة هذا الأمر بالسيد مالترافرز؟ يبدو أنك لا تعلم أنه قد وجد ميتًا وبندقية الصيد بجواره".

" أتعنى أن القصة أوحت له بأن. .. آه، لكن هذا شىء بشع!".

" لا تجزع لهذا الأمر، فلقد كان الأمر سيحدث بصورة أو بأخرى. حسنًا، لابد لى من الاتصال هاتفيًا بلندن".

أجرى بوارو مكالمة هاتفية طويلة، ثم عاد بعدها مستغرقاً فى التفكير. وبعد الظهيرة خرج وحده ولم يعد حتى السابعة مساءً، معلناً أنه لا يستطيع تأجيل الأمر أكثر من ذلك، وأنه مضطر إلى نقل الأخبار السيئة للأرملة الشابة. وكم شعرت بالتعاطف البالغ معها. حيث إنها تُركت مفلسة، تسيطر عليها فكرة أن زوجها قد قتل نفسه لكى يؤمن لها مستقبلها، يا له من حمل ثقيل يمكن أن تتحمله أية أمرأة. خالجنى شعور واهن بالأمل فى أن يعتنى بها كابتن بلاك الشاب، وأن يواسيها فى مأساتها تلك. فقد كان من الواضح أنه معجب بها للغاية.

كان لقاؤنا مع السيدة مؤلمًا للغاية حيث كانت ترفض بشدة أن تصدق الحقائق التى ساقها لها بوارو، وحينما اقتنعت أخيراً انفجرت فى بكاء مرير. فلقد تبين من فحص الجثة أن الشكوك كانت حقيقية. كان بوارو يشعر بالأسف الشديد للسيدة المسكينة، لكنه قد كُلف من قبل شركة التأمين للتحقق من الأمر، فماذا كان ليفعل؟ وبينما كان يستعد للمغادرة قال للسيدة مالترافرز بلطف:

" سيدتى، ينبغى أن تعلمى أنه لا يوجد أموات!".

قالت متعجبة وعيناها تتسعان:" ماذا تعنى؟".

" هل سبق لك أن شاركت فى أى جلسات تحضير أرواح؟ أنت تتمتعين بشفافية روحية، أتعلمين ذلك؟".

" لقد قيل لى هذا من قبل. لكنك لا تؤمن بالروحانيات، أليس كذلك؟".

" سيدتى، لقد شهدت بعض الأحداث الغريبة. أتعلمين أنهم فى القرية يقولون عن منزلك هذا إنه مسكون بالأرواح؟".

أومأت بالإيجاب. وفى هذه اللحظة أتت الخادمة لتعلن أن العشاء جاهز.

" هلا بقيتما معنا وتناولتما بعض الطعام؟".

أجبنا دعوتها، وشعرت بأن وجودنا معها قد يخفف عنها قليلاً من حزنها العميق.

وبينما كنا ننتهى من تناول الحساء، دوت صرخة عالية بالخارج، مصحوبة بصوت تحطم آنية فخارية. قفزنا واقفين وظهرت الخادمة وهى تضع يدها على قلبها.

" لقد كان هناك رجل واقف فى الممر".

أسرع بوارو بالخروج، ثم عاد مسرعًا قائلاً:

" لا يوجد أحد هناك".

قالت الخادمة فى وهن:" حقاً؟ آه، لقد أفزعنى حقًا!".

" لماذا؟".

قالت هامسة:

" لقد خُيل لى. . خُيل لى أنه السيد، لقد كان يشبهه".

شاهدت السيدة مالترافرز وهى تصدر عنها شهقة رعب وتذكرت تلك الخرافات التى تقول بأن روح المنتحر لا تستريح أبداً. لابد أنها فكرت فيها كذلك، وبعد دقيقة أخرى أمسكت بذراع بوارو مطلقة صرخة عالية.

" ألم تسمع هذا؟ تلك الطرقات الثلاث على النافذة؟ لقد كان زوجى معتاداً على فعل ذلك كلما مشى حول المنزل".

صحت قائلاً:" إنه مجرد صوت نبات اللبلاب المجاور للنافذة".

لكن شعوراً بالرعب كان يتملكنا جميعاً، وكانت الخادمة مفزوعة بالتأكيد. وبعد الانتهاء من تناول الطعام طلبت السيدة مالترافرز من بوارو ألا يغادر على الفور. فقد كانت تخشى من أن نتركها وحدها. جلسنا فى الغرفة الصغيرة، وكانت الرياح قوية حول المنزل، وأصواتها لها وقع غريب مُقبض. وقد انفتح باب الغرفة من تلقاء نفسه ببطء مرتين، وفى كل مرة كانت تمسك السيدة بى مطلقة شهقة فزع.

وفى النهاية صاح بوارو فى غضب:" آه من ذلك الباب، أهو مسحور؟" ثم قام وأغلقه مجدداً ثم أدار المفتاح فيه وقال:" سوف أغلقه، هاهو ذا!".

قالت فى فزع:" لا تفعل ذلك، فلو انفتح الآن. ..".

وبينما كانت تتكلم حدث الشىء المستحيل. حيث انفتح الباب المغلق ببطء. ومن مجلسى لم يكن باستطاعى رؤية أحد بالممر، لكنها و بوارو كانا فى مواجهته. ولدى استدارتها نحوه أطلقت صرخة فزع طويلة.

صاحت قائلة:" هل رأيته هناك فى الممر؟".

كان يحملق فيها بوجه متميز، ثم هز رأسه بالنفى.

" لقد رأيته، زوجى، لابد أنك أيضاً قد رأيته، أليس كذلك؟".

" إننى لم أر شيئاً يا سيدتى. إنك لست على ما يرام. ..".

" إننى بخير، أنا، أوه، يا إلهى".

وفجأة، وبدون أى تحذير ارتعشت الأنوار ثم انطفأت. وعبر الظلام سمعنا ثلاث طرقات عالية. وسمعت السيدة مالترافرز وهى تتأوه.

وهنا رأيته!

كان الرجل الذى رأيته من قبل على فراشه بالدور العلوى واقفًا قبالتنا، والضوء الخافت يتراقص على وجهه. كانت هناك دماء تخرج من شفتيه، وكان يمد يده اليمنى مشيرًا نحوها. وفجأة بدا كأن هناك ضوءاً ساطعاً ينبعث منه. مر الضوء على بوارو ثم مر بى حتى وقع على وجه السيدة مالترافرز، وهنا رأيت وجهها الأبيض الشاحب، ورأيت شيئاً آخر!

صحت قائلاً:" يا إلهى، بوارو، انظر إلى يدها، إن يدها اليمنى ملطخة بالدماء".

وعندما نظرت السيدة إلى يدها تلك انهارت متكومة على الأرض.

ثم صرخت فى حالة هيستيرية قائلة:" دماء. نعم إنها دماء. لقد قتلته. أنا التى ارتكبت الجريمة. لقد كان يرينى بندقية الصيد، ثم وضعت يدى على الزناد وضغطته. احمنى منه احمنى! لقد عاد!".

ثم تقطع صوتها وتحشرج.

هنا قال بوارو بصوت صارم:" أضواء!".

وكأنما بفعل السحر أضيئت الأنوار على الفور.

ثم أكمل قائلاً:" هذا هو الأمر. أسمعت ما قالت يا هاستنجز؟ وأنت يا إيفريت؟ آه، بالمناسبة، هذا هو السيد إيفريت، وهو عضو فى فرقة تمثيل مسرحى. ولقد اتصلت به عند الظهيرة. إن مكياجه جيد، أليس كذلك؟ يشبه الرجل الميت تماماً، وباستخدام الكشاف الصغير المضيء والمواد الفوسفورية اللازمة استطاع أن يعطى الانطباع الملائم. لو كنت مكانك يا هاستنجز لما لمست يدها اليمنى، فطلاء الأحمر يترك آثاراً قوية. وعندما انطفأت الأنوار قمت بإمساك يدها كى يتم طلاؤها. وبالمناسبة، يجب ألا نفقد موعد اللحاق بقطارنا. إن المفتش" جاب" واقف خارج النافذة. إنها ليلة سيئة. لكنه كان يسرّى عن نفسه بأن ينقر على النافذة من حين لآخر".

أكمل بوارو حديثه بينما كنا نمشى بجد تحت المطر والرياح الشديدة:" كما ترى يا عزيزى، كان هناك تناقض بسيط. لقد كان الطبيب يرى أن القتيل كان رجلاً متديناً، ومن كان ليعطيه مثل هذا الانطباع غير السيدة مالترافرز؟ لكنها قدمت لنا زوجها الراحل على أنه قلق بصورة مرضية بخصوص صحته. ولماذا أيضاً أجفلت هكذا لدى رؤية بلاك؟ وأخيراً، وعلى الرغم من أننى مدرك لحقيقة أن المرأة لابد أن تظهر الجزع الشديد عند وفاة زوجها، إلا أنه لم يكن ضرورياً لها أن تضع كل تلك الرموش الملطخة باللون الأحمر لتوحى بذلك. إنك لم تلاحظ تلك الرموش يا هاستنجز، أليس كذلك؟ كلا؟ كما أخبرك دوماً، إنك لا ترى أى شىء!

حسنًا، هكذا كان الأمر. كان أمامى احتمالان. هل أوحت قصة بلاك للسيد مالترافرز بطريقة مبتكرة للانتحار؟ أم أن المستمعة الأخرى، زوجته، لديها وسيلة مبتكرة لارتكاب جريمة قتل؟ لقد تبنيت الاحتمال الثانى على الفور. فلكى يقتل السيد مالترافرز نفسه بالطريقة المقترحة، كان لابد له من أن يضغط زناد البندقية مستخدماً إصبع قدمه أو هكذا

بدا الأمر لى. والآن لو أن مالترافرز قد وجد وله فردة حذاء مخلوعة، فلابد أن نسمع بمثل هذا الأمر من شخص ما. فالتفاصيل العجيبة مثل هذه لا تنسى أبداً.

كلا، وكما قلت فقد تبنيت وجهة النظر القاضية بأن هذه جريمة قتل وليست انتحاراً، لكنى أدركت أنه لا يوجد لدىّ أدنى دليل يؤيد نظريتى. ولهذا قمت بابتكار المسرحية الصغيرة التى رأيتها الليلة".

قلت له:" لكنى حتى الآن لا أرى تفاصيل الجريمة".

" دعنى أبدأ منذ البداية. لدينا هنا امرأة قاسية شريرة، أقنعت زوجها بأن يؤمن على حياته بمبلغ كبير، وبحثت عن وسيلة لتحقيق غرضها، خاصة أنها صارت على علم بمشكلات زوجها المالية وسئمت من زوجها العجوز الذى تزوجته من أجل ماله فقط. ولقد زودتها المصادفة بالوسيلة الملائمة لتنفيذ خطتها، متمثلة بالطبع فى قصة الكابتن الغريبة. وفى اليوم التالى وبينما كان الكابتن، كما تظن، فى طريقه عبر البحار، كانت هى وزوجها يتمشيان عبر أراضى ضيعتهما، ثم قالت له:" يا لها من قصة غريبة تلك التى حكاها لنا الليلة الماضية. هل يستطيع الرجل أن يطلق النار على نفسه بهذه الصورة؟ هلا أريتنى ما إذا كان هذا ممكناً؟!" ثم بين لها الأحمق كيف يتم هذا، حيث وضع فوهة بندقيته فى فمه. ثم انحنت هى ووضعت يدها على الزناد وهى تقول ضاحكة:" والآن يا سيدى، ترى ما الذى سيحدث إذا ضغطت على الزناد؟".

" وعندها يا هاستنجز، عندها، ضغطت بالفعل عليه!".

- 3 -

مغامرة الشقة الرخيصة

1

إلى الآن، وفى كل المغامرات التى قصصتها عليكم كانت تحريات بوارو وتحقيقاته تبدأ من قلب الأحداث، سواءً كان ذلك جريمة قتل أم سرقة، ثم تبدأ من عندها عملية الاستنتاج المنطقى وصولاً إلى الحل النهائى وكشف الحقائق. لكن فى تلك القضية التى سأرويها لكم ظهرت بعض الملابسات التى كشفتها مجموعة من الأحداث التى قد تبدو تافهة، التى جذبت انتباهه مؤدية إلى أحداث مهمة جعلت من تلك القضية قضية غير عادية بالمرة.

كنت أقضى المساء بصحبة صديق قديم لى اسمه" جيرالد باركر". وكان هناك نحو ستة أو سبعة أشخاص آخرين، بالإضافة إلىّ أنا والمضيف. وكالعادة فقد جنح بنا الحوار وهو ما يحدث عاجلاً أم آجلاً مادام باركر موجوداً إلى موضوع البحث عن المساكن والعقارات فى لندن. فالمنازل والشقق كانت هواية باركر الأساسية. ومنذ نهاية الحرب شغل صديقى هذا نحو نصف دستة من الشقق والبيوت المختلفة. وبمجرد أن يستقر فى مكان ما لا يلبث أن يعثر على آخر، فيرحل إليه حاملاً متاعه. وغالبًا ما يحصل من تنقلاته تلك على بعض الربح، فهو ذو عقل عملى راجح، لكنه يفعل هذا كهواية أكثر منها كعمل أو رغبة فى كسب المال. ولقد استمعنا لحديث باركر لبعض الوقت ونحن نقدر وجهة نظره الخبيرة. ثم جاء دورنا فى الحديث، وانطلقت الألسنة فى حديث متواصل. وأخيراً سنحت الفرصة للسيدة" روبنسون" كى تتحدث، وهى عروس حديثة جاءت للمكان بصحبة زوجها. لم أكن قد قابلتها من قبل، فقد كانت عائلة روبنسون هى أحدث أصدقاء باركر.

قالت لنا:" بمناسبة الحديث عن الشقق. هل سمعت يا سيد باركر عن ضربة الحظ التى أصبناها؟ فلقد حصلنا على شقة أخيراً! فى مونتاجو مانسيونز".

قال باركر:" حسنًا، كنت أقول دائمًا إن هناك شققًا متاحة، وبسعر معقول!".

" أجل، لكن هذا ليس سعراً معقولاً، إنه سعر زهيد للغاية. فقط ثمانون جنيهًا فى العام!".

" لكن، لكن مونتاجو مانسيونز تقع بجوار نايتسبريدج، أليس كذلك؟ وهى منطقة ذات مبان ضخمة جميلة الطراز. أم هل تتحدثين عن منطقة فقيرة تحمل نفس الاسم فقط؟".

" كلا، إنها تلك المنطقة الواقعة قرب نايتسبريدج، وهذا هو الرائع فى الأمر".

" الأمر رائع بحق! بل إنها معجزة. لكن لابد أن تكون هناك خدعة ما. عمولة ضخمة ربما؟".

" لا عمولات!".

" لا عُمُو. .. آه، يا إلهى! فليساعدنى أحدكم"، هكذا تأوه باركر.

أكملت السيدة روبنسون حديثها قائلة:" لكن كان لابد لنا من شراء الأثاث".

انتفض باركر وقال:" آه، ها هى الخدعة، كنت أعلم أن هناك خدعة!".

" فقط مقابل خمسين جنيهًا، وهو أثاث جميل بالمناسبة".

قال باركر:" حسنًا، أنا أستسلم. لابد أن مالكيها أشخاص مجانين، أو يتمتعون بلمسة إنسانية".

بدت السيدة روبنسون قلقة إلى حدٍ ما. وظهرت تجعيدة صغيرة بين حاجبيها.

" الأمر غريب، أليس كذلك؟ أتظن أنها مسكونة؟".

قال باركر بحزم:" لم أسمع مطلقًا عن شقة مسكونة".

قالت السيدة روبنسون وهى غير مقتنعة:" حسنًا، لكن هناك بعض الأمور بخصوص هذا الموضوع أجدها. .. غريبة".

قلت لها:" على سبيل المثال. ..".

قال باركر:" آه، لقد أثار حديثك اهتمام خبيرنا الجنائى! أفصحى له عما بداخلك يا سيدة روبنسون، فالسيد هاستنجز خبير فى حل الألغاز المعقدة".

ضحكت، وأنا أشعر بالإحراج، لكنى سعدت بصراحة لذلك الوصف الذى أطلقه علىّ.

" آه، ليست أموراً غريبة للغاية يا كابتن هاستنجز، لكن حينما ذهبنا لوكيل العقارات مكتب ستوسر آند بول لم نكن قد جربنا التعامل معهم من قبل، لأنهم يتاجرون فقط فى الشقق الغالية، لكننا فكرنا أن هذا الأمر لن يضر. ولقد كانت جميع الشقق التى عرضوها علينا ذات إيجار مرتفع يبلغ أربعمائة أو خمسمائة جنيه سنوياً، أو أن عمولتها كبيرة، وبعد ذلك، وبينما كنا على وشك مغادرتهم، ذكروا لنا أن لديهم شقة مقابل ثمانين جنيهاً فقط، لكنهم يشكون أنها لاتزال متاحة رغم أنها معروضة لديهم منذ وقت طويل، ولقد أرسلوا العديد من الناس لرؤيتها، ومن المؤكد أنها قد حجزت بالفعل كما قال لنا الموظف ومن

المؤكد أن أصحابها لم يبلغوا المكتب بذلك، وأنهم واصلوا إرسال الناس إليها، وأصبح الناس يتضايقون لإرسالهم إلى مكان تم تأجيره بالفعل منذ بعض الوقت على ما يبدو".

توقفت السيدة روبنسون لالتقاط أنفاسها ثم قالت:

" شكرنا الموظف وقلنا له إننا نتفهم أن الأمر قد لا يكون مجديًا، لكننا نود زيارة المكان من باب الاحتياط. فمن يعلم، فقد يخدمنا الحظ، ولذلك ذهبنا على الفور إلى هناك بسيارة أجرة. كانت الشقة رقم (4) تقع فى الدور الثانى، وبينما كنا فى انتظار المصعد قابلتنا" إلزى فيرجسون" وهى صديقة لى يا كابتن هاستنجز، وكانت تبحث عن شقة لأسرتها كذلك وكانت تسرع هابطة فوق الدرج عندما قالت لى:" لقد سبقتك هذه المرة. لكن دون فائدة، فالشقة تم تأجيرها بالفعل". كان هذا كفيلاً بإنهاء الأمر بأسره، لكن حسنًا، كما قال جون، إن المكان رخيص بالفعل، وربما استطعنا المزايدة على سعر الإيجار هذا، أو حتى دفع عمولة إضافية. أعلمُ أن هذا شىء فظيع، وإننى أشعر بالخجل من إخبارك بهذا، لكنك تعلم ما يحدث فى عملية البحث عن المساكن هذه".

طمأنتها بأن عملية البحث عن المسكن قد تجعل أسوأ جوانب شخصية الإنسان تنتصر على الجوانب الأخرى الطيبة، وأن من الطبيعى أن يدفع الناس بعضهم بعضًا للحصول على شىء كهذا.

" وهكذا صعدنا لأعلى، ولن تصدق ما حدث، لقد وجدنا الشقة لاتزال متاحة للإيجار، حيث أرتنا الخادمة الشقة، ثم قابلنا صاحبتها، وتم الاتفاق على كل شىء فى وقتها بحيث نحصل على الشقة على الفور ونحصل على الأثاث مقابل خمسين جنيهًا. ولقد وقعنا عقد الإيجار فى اليوم التالى، وسوف ننتقل إليها غدًا!"، ثم توقفت السيدة روبنسون عن الحديث وهى تشعر بالفخر.

سألها باركر:" وماذا عن السيدة فيرجسون؟ ما هى استنتاجاتك يا هاستنجز؟".

قلت بهدوء:" من الواضح يا عزيزى أنها قد ذهبت إلى شقة أخرى".

قالت السيدة روبنسون بإعجاب:" آه، كم أنت ذكى يا كابتن هاستنجز!".

وكم تمنيت وقتها أن يكون بوارو هناك معنا، رغم أنى أحياناً يراودنى إحساس بأنه يقلل من قدراتى.

2

كان الأمر برمته مسليًا، وقد حكيت الأمر لبوارو بصفته لغزًا مضحكًا فى الصباح التالى. ولقد بدا عليه الاهتمام، وسألنى بدقة عن أسعار تأجير الشقق فى المناطق المختلفة.

ثم قال وهو يفكر:" قصة غريبة. المعذرة يا هاستنجز، سأذهب فى جولة قصيرة".

وحينما عاد، بعد نحو الساعة، كانت عيناه تلمعان فى إثارة. وقد وضع عصاه على المائدة ومسح قبعته بكل حرص كعادته دائماً ثم تحدث قائلاً:

" بما أننا يا عزيزى ليس لدينا قضية ننشغل بها فى الوقت الحالى، فيمكننا إذن أن نكرس وقتنا وجهدنا كله لذلك التحقيق الذى بين يدينا".

" عن أى تحقيق تتحدث؟".

" ذلك التحقيق الخاص بالشقة الرخيصة العجيبة الخاصة بالسيدة روبنسون؟".

" هل أنت جاد فى هذا يا بوارو؟!".

" تمام الجدية، وفكر فى الأمر بنفسك، إن أسعار إيجارات مثل تلك الشقق فى حدود 350 جنيهاً. وقد تأكدت من ذلك لتوى من وكلاء العقارات. ومع هذا، فقد تم تأجير هذه الشقة مقابل ثمانين جنيهًا لا أكثر! لماذا؟".

" ربما تكون بها مشكلة ما. ربما تكون مسكونة كما خمنت السيدة روبنسون".

هز بوارو رأسه فى عدم اقتناع.

" كما أنه من الغريب أن تخبرها صديقتها بأن الشقة قد تم تأجيرها، لكن عندما تذهب لترى الأمر بنفسها تجد أن الشقة ليست مؤجرة".

" لكنك تتفق معى بكل تأكيد على أن المرأة الأخرى قد ذهبت إلى شقة أخرى، فهذا هو التفسير الوحيد".

" قد تكون مصيباً فى هذه النقطة يا هاستنجز، وقد لا تكون كذلك، لكن من المؤكد أن هناك أعداداً كبيرة من الناس قد ذهبوا لتفقد الشقة، ومع هذا، وبالرغم من سعرها الرخيص، فقد كانت متاحة للإيجار لدى وصول السيدة روبنسون".

" هذا يؤكد أنه لابد أن هناك شيئاً ما بها".

" لكن السيدة روبنسون لم تلاحظ وجود أى شىء بها. الأمر غريب، أليس كذلك؟ هل تركت فيك انطباعاً بأنها امرأة صادقة يا هاستنجز؟".

" لقد كانت امرأة جميلة حقاً".

" بكل تأكيد، طالما أنها جعلتك غير قادر على الإجابة على سؤالى بدقة. صفها لى إذن".

" حسناً، إنها طويلة ذات بشرة فاتحة، وشعرها جميل للغاية، وبه مسحة من اللون البنى المائل للاحمرار. ..".

تمتم بوارو:" دائماً ما يفتنك الشعر البنى، لكن أكمل".

قلت فى وهن:" ولها عينان زرقاوان وبشرة جميلة للغاية. . حسنًا، هذا كل شىء على ما أظن".

" ماذا عن زوجها؟".

" آه، إنه شاب ظريف، لا يميزه شىء".

" هل هو ذو بشرة فاتحة أم داكنة".

" لا أعلم، بين اللونين على ما أعتقد، وله وجه مألوف".

أومأ بوارو:

" نعم، هناك المئات من هؤلاء الشباب ذوى الوجوه المألوفة، وعمومًا فأنت تركز انتباهك كله عند وصف النساء. هل تعلم شيئاً بخصوص هذين الشخصين؟ هل يعرفهما باركر جيداً؟".

" إنهما صديقان جديدان له على ما أعتقد. لكن لا أعتقد يا بوارو أنك لا تفكر ولو للحظة فى أنهما....".

رفع بوارو يديه وقال:

" كلا يا صديقى، هل قلت إننى أظن أى شىء بخصوصهما؟ كل ما قلته هو أن القصة غريبة. ولا يوجد ما يلقى الضوء على أى شىء فى هذه القصة، ربما باستثناء اسم السيدة، ما هو يا هاستنجز؟".

قلت فى صرامة:" ستيلا، لكنى لا أرى أن. ..".

قاطعنى بوارو بضحكة عالية، وبدا وكأن هناك ما أعجبه للغاية.

" وكلمة ستيلا تعنى نجمة، أليس كذلك؟ جميل!".

" ما الذى تقصده. ..؟".

" والنجمة تعطينا الضوء! هيا يا هاستنجز، هدئ من نفسك. لا تتصرف وكأن كرامتك قد انجرحت. هيا، سوف نذهب إلى مونتاجو مانسيونز لنقوم بعض الاستعلامات".

صحبته دون غضاضة. كانت منطقة مانسيونز عبارة عن مجموعة من المبانى الجميلة ذات الطراز الراقى. وعلى مدخل البناية كان حارس العقار جالساً فى الشمس، وقد خاطبه بوارو مباشرة وسأله قائلاً:

" المعذرة، هلاّ أخبرتنى إذا ما كان السيد والسيدة روبنسون يقيمان هنا أم لا؟".

كان الحارس رجلاً صموتاً لا يكثر الكلام، وتلوح عليه علامات الشك. ولقد رد علينا دون أن ينظر إلينا تقريباً وقال:

" الشقة رقم (4) فى الدور الثانى".

" أشكرك. هلا أخبرتنى منذ متى يقيمان هنا؟".

" ستة أشهر".

حدقت فيه بدهشة، كما أدهشتنى ابتسامة بوارو العريضة.

ثم قلت:" هل أنت متأكد؟ إن المرأة التى نقصدها طويلة ذات بشرة فاتحة وشعرها ذهبى مائل للاحمرار قليلاً و. ..".

قال الحارس:" إنها هى. وهى تسكن بناية ميكالماس منذ ستة أشهر".

بدا أنه فقد اهتمامه بنا ثم تراجع عائداً للبهو، فتبعت بوارو للخارج.

قال صديقى بخبث:" حسنًا يا هاستنجز. هل مازلت متأكداً من أن صديقتك الجميلة تقول الصدق؟".

لم أرد عليه.

وقبل أن أسأله عما ينوى أن يفعل أو أين سيذهب، ذهب بوارو نحو برمبتون رود. ثم قال لى:

" سنذهب إلى وكيل العقارات يا هاستنجز. لدىّ رغبة قوية فى السكن فى مونتاجو مانسيونز. وإذا لم أكن مخطئًا، فسوف تحدث أشياء مثيرة للغاية قريبًا".

وقد حالفنا الحظ فى مسعانا، فتمكنّا من استئجار الشقة رقم ثمانية فى الدور الرابع، وهى بالأثاث، مقابل مبلغ 10 جنيهات فى الأسبوع. وقد استأجرها بوارو لمدة شهر. وعندما خرجنا إلى الشارع أسكت بوارو احتجاجى بأن قال:

" إننى أكسب مالاً وفيراً فى هذه الأيام! فلماذا لا أصرف بعضًا منه لمتعتى الخاصة؟ وبالمناسبة يا هاستنجز، هل لديك مسدس؟".

قلت وأنا أشعر بالسعادة:" أجل، فى مكان ما. هل تظن أننا. ..".

" هل من الممكن أن تحتاج إليه؟ من المحتمل. إن الفكرة تروق لك كما أرى. فدائماً ما تروق لك أفكار الفروسية والرومانسية تلك".

وبالفعل انتقلنا فى اليوم التالى لمسكننا المؤقت. كانت الشقة مفروشة بصورة جيدة. وكانت تقع فى نفس موقع شقة عائلة روبنسون، لكنها كانت أعلى منها بطابقين.

كان اليوم التالى لانتقالنا هو يوم الأحد. وبعد الظهيرة ترك بوارو الباب الأمامى للشقة مواربًا، وناداني بسرعة بينما كان يسمع بعض الجلبة بالأسفل.

" انظر عبر أعمدة الدرابزين. هل هذان هما صديقاك؟ لا تدعهما يريانك".

مددت رأسى لأرى فوق السلالم.

ثم قلت فى همس:" هما فعلاً".

" ممتاز، انتظر للحظات".

وبعد نحو نصف الساعة ظهرت امرأة شابة ترتدى ملابس زاهية فضفاضة. وعاد بوارو للشقة على أطراف أصابعه وهو يتنهد فى ارتياح.

" حسنًا، بعد مغادرة السيد والسيدة، تغادر الخادمة. إن الشقة خالية الآن".

سألته فى عدم ارتياح:" ما الذى سنفعله؟".

كان بوارو قد أسرع بالفعل نحو غرفة التنظيف، وكان يجذب الحبل الخاص بمصعد الفحم.

ثم قال لى فى مرح:" سوف نهبط مثلما يُنزلون صفائح القمامة. ولن يلاحظنا أحد. فبسبب حفلات يوم الأحد، و" تنزهات" يوم الأحد، وأخيراً النعاس بعد عشاء يوم الأحد فى إنجلترا والمكون من اللحم دومًا فإنه لن ينتبه أحد لما سيفعله هيركيول بوارو. هيا يا صديقى".

ثم قفز فوق الأرضية الخشبية الخشنة، فتبعته بحذر،

ثم سألته فى توتر:" هل سنفتح الشقة؟".

ولم تكن إجابة بوارو مشجعة للغاية.

حيث قال:" ليس اليوم بالضبط".

سحبنا الحبل وهبطنا حتى وصلنا للطابق الثانى. وألقى بوارو عبارة استحسان حينما رأى الباب المفضى لحجرة التنظيف مفتوحًا.

" هل لاحظت؟ لا يغلق أحد تلك الأبواب أبدًا أثناء النهار. وهكذا يمكن لأى شخص أن يصعد أو يهبط إليها كما فعلنا نحن. ولكن فى الليل يتم غلقها رغم أن هذا قد لا يحدث أحيانًا وقد يحدث أن نتخذ احتياطاتنا".

ثم أخرج بعض الأدوات من جيبه وهو يتكلم، وبدأ فى العمل فوراً، وكان الهدف هو أن يهيئ المزلاج بحيث يمكن فتحه بسهولة من ناحية المصعد. لم تستغرق تلك العملية أكثر من ثلاث دقائق بعدها أعاد بوارو الأدوات إلى جيبه ثم صعدنا مجدداً إلى شقتنا.

3

أمضى بوارو يوم الاثنين كله خارج المنزل، لكن عندما عاد فى المساء ألقى بنفسه على الكرسى، وتنهد فى ارتياح.

" هلا رويت لك يا هاستنجز موقفًا حدث فى الماضى؟ قصة سوف تسعد قلبك وتذكرك بأفلامك السينمائية المفضلة؟".

ضحكت وقلت له:" تفضل، أعتقد أنها قصة حقيقية، وليست نتاج خيالك".

" أجل هى حقيقية. وسوف يؤكد المفتش" جاب" من سكوتلانديارد على صحتها خاصة أنها وصلت إلى مسامعى من مكتبه مباشرة. اسمع يا هاستنجز، منذ ما يربو على ستة أشهر تمت سرقة بعض الخطط الحربية البحرية من الحكومة الأمريكية التى تكشف بعضًا من المواقع المهمة للقطع البحرية التى تدافع عن الموانئ، تساوى الكثير بالنسبة لأى حكومة أجنبية مثل اليابان على سبيل المثال. ولقد حامت الشكوك حول شاب صغير من أصل إيطالى يدعى لويجى فالدارنو، حيث كان يشغل منصبًا ثانويًا فى الوزارة. وقد تصادف اختفاؤه تمامًا مع اختفاء تلك الوثائق. وسواء كان لويجى هو السارق أم لا، فقد تم العثور على جثته فى إيست ساید فى نيويورك مقتولاً بالرصاص. لم تكن الأوراق بحوزته وقتئذ. ولقد كان لويجى فالدارنو على علاقة منذ فترة بامرأة تدعى" إلسا هاردت"، وهى مغنيةٌ شابة ظهرت حديثًا، وكانت تعيش مع أخيها فى شقة فى واشنطن. لم تكن هناك معلومات معروفة عن الآنسة إلسا هاردت قبل ذلك، وقد اختفت فجأة فى نفس الوقت الذى قتل فيه فالدارنو. وهناك من الأسباب ما يدعونا للاعتقاد بأنها جاسوسة عالمية قامت بالعديد من المهام التجسسية باستخدام أسماء مستعارة عديدة. وبينما كانت أجهزة المخابرات الأمريكية تحاول ملاحقتها بكل السبل، كانوا أيضًا يراقبون مجموعة من اليابانيين الذين يعيشون فى واشنطن. وكانوا واثقين بأنه حتى وإن استطاعت إلسا هاردت إخفاء آثارها بكل نجاح، فإنها لابد أن تسعى للاتصال بهؤلاء اليابانيين. ولقد غادر أحدهم البلاد منذ أسبوعين متجهًا إلى إنجلترا، وبناءً على ذلك صار من المرجح أن إلسا هاردت موجودة الآن فى إنجلترا". توقف بوارو عن الحديث للحظة ثم أردف قائلاً بهدوء:" ووصف إلسا هاردت هو: الطول خمسة أقدام وسبع بوصات، العيون زرقاء، الشعر بنى مائل للاحمرار، بشرة فاتحة، أنف مستقيم، وليس هناك أى علامات مميزة".

شهقت قائلاً:" السيدة روبنسون؟".

قال بوارو مصححًا:" حسنًا، هناك احتمال لذلك، وعمومًا، لقد علمت كذلك أن رجلاً داكن البشرة، يبدو من ملامحه أنه أجنبى كان يستفسر عن قاطنى الشقة رقم (4) هذا الصباح. ولهذا يا صديقى فإننى أنصحك أن تودّع النوم هذه الليلة، وتنضم إلىّ فى مهمة مراقبة ليلية للشقة المعنية مسلحًا بالطبع بذلك المسدس الرائع الذى بحوزتك، اتفقنا؟".

صحت فى حماس:" بالطبع، متى سنبدأ؟".

" الساعة المساوية لمنتصف الليل غالبًا ما تكون هادئة ومناسبة على ما أعتقد. وليس من المحتمل حدوث أى شىء قبلها".

وفى تمام الساعة الثانية عشرة مساءً كنا نزحف نحو مصعد الفحم ثم نزلنا للطابق الثانى. وبفضل تدخل بوارو السابق، انفتح الباب بسهولة للداخل ودخلنا الشقة. ومن حجرة التنظيف عبرنا إلى المطبخ، حيث تمركزنا جالسين على كرسيين، وتركنا الباب المفضى للبهو مواربًا.

قال بوارو بهدوء وهو يغمض عينيه:" والآن ليس أمامنا شىء سوى الانتظار".

بدا لى الانتظار لانهائيًا. وكنت أخشى أن أغط فى النوم. وقد بدا لى أننى نائم هنا منذ ثمانى ساعات لكن تبين لى فيما بعد أنها كانت، فقط، ساعة وعشرين دقيقة. شعرت بصوت احتكاك خفيف يصل إلى أذنى. ولمست يد بوارو يدى. قمت من جلستى وتحركنا نحن الاثنين بهدوء نحو البهو. كانت الأصوات قادمة من هناك. ألصق بوارو شفتيه بأذنى وقال فى همس:

" إنه خارج الباب الأمامى، يحاول كسر قفل الباب. حينما أعطيك الإشارة، ليس قبل هذا، انقض عليه من الخلف وأمسك به بسرعة. حاذر لأنه ستكون بحوزته سكين".

سمعنا صوت انفتاح القفل وظهرت دائرة من الضوء عبر الباب. ثم انطفأت على الفور وانفتح الباب بهدوء. وقفنا أنا وبوارو بمحاذاة الحائط وسمعت صوت أنفاس الرجل وهو يمر بجوارنا. ثم أضاء الكشاف الذى يحمله، وبمجرد أن فعل هذا صاح بوارو فى أذنى:

" هيا، انقض".

تحركنا معًا، وقام بوارو، بحركة سريعة، بتغطية رأس المقتحم بوشاح صوفى، بينما أمسكت أنا بذراعيه. وتم الأمر كله بسرعة ودون ضوضاء. وقد قمت بانتزاع السكين من يده، وبينما أنزل بوارو الوشاح عن عينى الرجل، قام باستخدامه فى تكميم فمه. وبعدها لوحت فى وجهه بالمسدس حتى يراه جيدًا ويعلم أن المقاومة لن تفيده. وعندما توقف عن المقاومة وضع بوارو فمه بجوار أذنه وهمس له ببعض الكلمات السريعة. وبعد لحظات أومأ الرجل. بعدئذ، ودون أن يقطع حالة الصمت هذه، لوح بوارو لنا بيده ثم تقدمنا لنخرج من الشقة، ونزل على السلالم. وقد تبعه أسيرنا ومشيت أنا فى المؤخرة ممسكًا بمسدسى. وحينما خرجنا إلى الشارع استدار بوارو ناحيتى وقال:

" هناك سيارة أجرة تنتظرنا عند الزاوية. ناولنى مسدسك، فلن نحتاج إليه بعد الآن".

" لكن ماذا لو حاول صديقنا الهرب؟".

ابتسم بوارو وقال:

" لن يهرب".

عدت بعد دقيقة مع السيارة الأجرة التى كانت فى انتظارنا. كان الوشاح قد أزيل تمامًا من وجه الغريب، واندهشت لذلك.

قلت هامسًا لبوارو:" إنه ليس يابانيًا".

" لطالما كانت قوة الملاحظة إحدى سماتك الرائعة يا هاستنجز! فلا تفوتك فائتة. كلا، إنه ليس يابانيًا، بل إيطالى".

ركبنا السيارة الأجرة وأعطى بوارو السائق عنوانًا فى سان جونز وود. وهنا شعرت بالحيرة تمامًا. ولم ترق لى فكرة أن أسأل بوارو عن وجهتنا أمام أسيرنا، وحاولت أن أعرف بعضاً من ملامح وجهتنا لكن دون جدوى.

ترجلنا من السيارة أمام باب منزل صغير يقبع بعيداً عن حافة الطريق. ومر عابر سبيل فى حالة من التيه على الرصيف، وكاد يصطدم ببوارو الذى قال له شيئاً لم أسمعه جيداً، فى حدّة. وصعد ثلاثتنا درجات المنزل. دق بوارو جرس الباب وأشار لنا أن نتنحى إلى الجانب قليلاً. ولما لم يأت رد من الداخل دق الجرس مرة ثانية، وأمسك بمقرعة الباب ودق بها على الباب بشدة.

ظهر ضوء من داخل المنزل، وانفتح الباب الأمامى بحذر.

ثم قال رجل بصوت أجش:" ما الذى تريده بالله عليك؟".

" أريد أن أرى الطبيب. إن زوجتى مريضة للغاية".

" لا يوجد طبيب هنا".

واستعد الرجل لإغلاق الباب لكن بوارو مد قدمه فى فرجة الباب ليعوقه ثم قال وهو يمثل دور الرجل الفرنسى الحانق ببراعة:

" ماذا تقول؟ لا طبيب هنا؟ ستأتى معى بحكم القانون، لابد أن تأتى معى! سأبقى هنا وأدق الجرس وأقرع الباب طوال الليل".

" سيدى العزيز. .." قالها الرجل وهو يفتح الباب، مرتديًا رداء النوم والخفين ومحاولاً التخفيف من ثورة بوارو وخطا للخارج ناظراً حوله فى قلق.

" سوف أتصل بالشرطة".

واستعد بوارو لهبوط درجات السلم.

قال الرجل وهو يسرع خلفه:" كلا، لا تفعل هذا بالله عليك!".

وبدفعة بسيطة أسقطه بوارو من فوق السلالم، وفى لحظات دخلنا، ثلاثتنا، إلى داخل المنزل وأغلقناه بالمزلاج وراءنا.

" بسرعة، إلى هنا" قالها بوارو وهو يقودنا نحو أقرب الغرف وأشعل ضوء الحجرة ثم أضاف:" وأنت، اذهب خلف الستائر".

قال له الإيطالى بسرعة:" حسنًا يا سيدى" ثم اندس مسرعًا خلف الستائر الوردية المتدلية أمام النافذة.

وخلال لحظات، وبمجرد اختفائه خلف الستائر، أسرعت امرأة بالدخول إلى الحجرة. كانت امرأة طويلة ذات شعر أحمر وكانت تلف حول جسدها الرشيق كيمونو قرمزى اللون.

صاحت وهى تنظر لنا فى ارتياب:" أين زوجى؟ ومن أنتما؟".

خطا بوارو خطوة للأمام وانحنى انحناءة خفيفة.

" آمل ألا يصاب زوجك بالبرد. لقد لاحظت أنه يرتدى خفيه، وأن رداء النوم ثقيل يمنحه الدفء".

" من أنت؟ وما الذى تفعله فى منزلى؟".

" من الواضح أنه لم تأت الفرصة لأى منا لمقابلتك من قبل يا سيدتى. وهذا شىء يؤسف له، خاصة أن أحدنا قد جاء خصيصاً من نيويورك لكى يقابلك".

وهنا انفتحت الستائر وخرج منها الرجل الإيطالى. وكان مما أثار فزعى أننى رأيته وهو يحمل فى يده المسدس الخاص بى، والذى لابد أن بوارو قد حمله بإهمال لدى ركوبنا السيارة الأجرة.

أطلقت المرأة صرخة قوية واستدارت محاولة الهرب، إلا أن بوارو كان واقفًا أمام الباب المغْلَق للحجرة.

صرخت قائلة:" دعنى أمُرّ، إنه سوف يقتلنى".

" من هذا اللعين المدعو لويجى فالدارنو؟" قالها الإيطالى بغلظة وهو يلوح بالمسدس فى وجه كل واحد منا. وبالطبع لم نجرؤ على التحرك.

صحت قائلاً:" يا إلهى، هذا مريع يا بوارو، ماذا سنفعل؟".

" أرجو ألا تتحدث كثيراً كما رجوتك من قبل يا هاستنجز. وأؤكد لك أن صديقنا لن يطلق النار على أحد دون أمر منى".

قال الإيطالى وهو ينظر لنا نظرة لا تبعث على الاطمئنان:" أتظن هذا، أليس كذلك؟".

كان الأمر لا يحتمل، لكن المرأة استدارت لبوارو بسرعة وقالت له:

" ما الذى تريده؟".

انحنى بوارو.

" أعتقد أنه ليس من الضرورى أن أهين ذكاء الآنسة إلسا هاردت أكثر من هذا".

وبحركة رشيقة انتزعت المرأة دمية قط أسود مصنوعة من القطيفة والتى كانت تغطى الهاتف.

" إنها موجودة فى بطانة هذا القط".

قال بوارو فى استحسان:" يا للذكاء" ثم تنحى من أمام الباب وقال:" طاب مساؤك يا سيدتى. سوف أقوم بتعطيل صديقنا من نيويورك ريثما تفرين من هنا".

قال الرجل الإيطالى:" يا لك من أحمق!" ثم رفع مسدسه وأطلق النار نحو السيدة بينما ألقيت نفسى عليه.

لكن السلاح لم يطلق سوى تكة بريئة وارتفع صوت بوارو مفسراً الأمر:

" إنك لن تثق بصديقك القديم قط يا هاستنجز؟! قد لا يعنينى كثيراً أن يحمل صديق لى مسدساً محشواً، لكنى لم أسمح بذلك لرجل عرفته للتو. كلا، كلا يا عزيزى". كان هذا الحديث موجهاً للرجل الإيطالى الذى كان يصرخ متوعداً. ثم أكمل بوارو حديثه إليه بلهجة معتدلة قائلاً:" انظر الآن ما الذى فعلته من أجلك. لقد أنقذتك من حبل المشنقة. ولا تظن أن سيدتنا الجميلة تلك سوف تهرب حقاً. كلا كلا، فالمنزل مراقب، من الأمام ومن الخلف. وسوف يسقطون فى قبضة الشرطة على الفور. أليس من الجميل أن يحدث هذا؟ نعم، بإمكانك مغادرة الحجرة الآن، لكن احذر احذر بشدة آه، لقد غادر! وصديقى هاستنجز ينظر لى بنظرة عتاب ولوم. لكن الأمر غاية فى البساطة! لقد كان واضحاً منذ البداية أنه من بين المئات الذين تقدموا لشغل الشقة رقم (4) فى مونتاجو مانسيونز، كان آل روبنسون هما المناسبين وحدهما. لماذا؟ ما الذى يميزهما عن الجميع ومن الوهلة الأولى؟ مظهرهم؟ ربما، لكن ذلك غير محتمل. إذن، إنه اسمهما!".

صحت قائلاً:" لكن لا يوجد شىء مميز فى اسم روبنسون. إنه اسم معتاد يحمله الكثيرون".

" بالضبط! هذا هو المحك. لقد جاءت إلسا هاردت مع زوجها، أو أخيها، أو أياً كان هذا الشخص، من نيويورك واستأجرا الشقة باسم السيد والسيدة روبنسون. وفجأة علما أن إحدى الجماعات السرية، المافيا أو الكامورا والتى كان ينتمى إليها لويجى فالدارنو، تحاول تعقبهما. ماذا بمقدورهما أن يفعلا، لقد فكرا فى خطة بسيطة للغاية. كانا يعرفان أن مطارديهما لا يعرفانهما بصورة شخصية. الحل بسيط للغاية. كل ما عليهما أن يفعلاه هو أن يعلنا عن تأجير الشقة بسعر زهيد للغاية. ولن يفشلا فى أن يجدا من بين آلاف الأزواج الذين سيتقدمون من يحمل اسم روبنسون. والأمر كله يحتاج قليلاً من الانتظار لا أكثر. وإذا ما نظرت لاسم روبنسون فى دليل الهاتف ستدرك أنه من المرجح أن تأتى لهم امرأة ذات شعر فاتح إن عاجلاً أو آجلاً. ثم ماذا يحدث؟ يصل المنتقم ويعرف الاسم، والعنوان، ويضرب ضربته! وينتهى كل شىء، ويتحقق الثأر، بينما تهرب إلسا هاردت بجلدها ثانية. وبالمناسبة يا هاستنجز، لابد أن تقدمنى للسيدة روبنسون الحقيقية تلك المرأة الصادقة الرقيقة! فما الذى ستظنه عندما تجد أن شقتها قد تم اقتحامها؟! لابد أن نسرع بالعودة. آه، يبدو أن المحقق جاب وزملاءه قد وصلوا".

وسمعنا صوت طرقات ثقيلة على الباب.

سألت بوارو وأنا أتبعه نحو البهو:" وكيف علمت بأمر هذا العنوان؟ آه، بالطبع قمت بملاحقة السيدة روبنسون الأولى عندما غادرت شقتها الأخرى".

" ممتاز يا هاستنجز. أخيراً استخدمت خلايا مخك الرمادية. والآن هناك مفاجأة فى انتظار المفتش جاب".

وبعد أن فتح مزلاج الباب برفق، قام بإدارة رأس القط الذى أصدر مواءً عالياً.

وهنا قفز محقق سكوتلاند يارد، والذى كان يقف بالخارج بصحبة رجل آخر، من المفاجأة.

قال بوارو وهو يمد رأسه خارج الباب بعد رأس القط:" آه، إنها فقط مزحة بسيطة من مزحات السيد بوارو، تفضلوا بالدخول يا سادة".

" هل قبضتما على أصدقائنا؟".

" نعم، لقد قبضنا عليهم، لكن البضاعة ليست معهم".

" فهمت، لذا فقد جئت لكى تفتش المكان. حسنًا، أنا على وشك المغادرة مع هاستنجز، لكنى أود أولاً أن أعطيك محاضرة بسيطة عن تاريخ وعادات القطط الأليفة".

" بالله عليك، هل أصبت بالخبل؟".

قال بوارو:" لقد كان قدماء المصريين يعبدون القط. ولا يزال البعض يعتقد أن القطط تجلب الحظ السعيد، خاصة إذا ما عبرت قطة من أمامك. وهذا القط قد جلب لك الحظ السعيد يا جاب. وليس من المناسب أن تفتش فى بطن أى إنسان أو حيوان، حتى وإن كان هذا يبدو طبيعيًا فى إنجلترا، لكن بطن هذا الحيوان رقيق للغاية، وأعنى بالتحديد البطانة الداخلية".

وعلى الفور أمسك الرجل الآخر بالقط من بين يدى بوارو.

قال جاب:" آه، لقد نسيت أن أعرفكم بهذا السيد. إنه السيد بيرت من المخابرات السرية الأمريكية".

وسرعان ما وجدت الأصابع المدربة للأمريكى ما كان يبحث عنه. ثم أخرج يده، وبدا وكأنه عاجز عن الكلام للحظات، ثم تمالك نفسه.

وقال السيد بيرت:" إننى مسرور للغاية لمقابلتكما".

- 4 -

لغز هانترز لودج

غمغم بوارو قائلاً:" حسنًا، يبدو أن ساعة فراقى للحياة لم تحن بعد".

قابلت ملحوظته تلك بكل تفاؤل، خاصة أننى كنت خارجًا لتوى من الإصابة بمرض الأنفلونزا. فقد عانيت من الأنفلونزا قبله، وحان الدور على بوارو. وهو الآن جالسٍ فى سريره، محاطًا بالوسائد، والوشاح الصوفى ملفوف حول رأسه، وكان يرتشف حساءً مرًا أعددته له تحت توجيهاته هو شخصيًا. وقد استقرت عيناه بسعادة على صف زجاجات الدواء المرصوصة بعناية حول المشجب.

أكمل صديقى كلامه قائلاً:" نعم، نعم، سأعود إلى طبيعتى ثانية، هيركيول بوارو العظيم، مرعب المجرمين! هل تتخيل يا صديقى أننى قد كتبت عن نفسى فقرة صغيرة فى مجلة سوسيتى جوسيب؟ لكنى فعلت ذلك! ها هى:" مرحى، أيها المجرمون الطلقاء! هذا هو هيركيول بوارو العظيم، نعم أيتها الفتيات، صدّقننى، إنه عظيم بحق، محققنا الرائع لن يستطيع الإمساك بكن الآن، لماذا؟ لأنه واقع فى شَراك المرض!".

ضحكت لسماعى هذا.

" عظيم يا بوارو. لقد صرت شخصية شهيرة. ولحسن حظك أنه لم تَفُتْكَ أية أحداث مثيرة خلال فترة مرضك هذا".

" صحيح. إننى لم أندم على رفض أية قضية من تلك القضايا التى وجدت نفسى مضطرًا لرفضها بسبب المرض".

هنا أطلت صاحبة المنزل برأسها من الباب وقالت:

" يوجد أحد السادة بالأسفل، يقول إنه لابد أن يقابل السيد بوارو أو يلتقى بك أنت يا كابتن. وقد بدا عليه أن الأمر مهم حقًا، ولقد أحضرت لك بطاقته".

ثم ناولتنى البطاقة. وقرأت ما عليها بصوت عال: " السيد روجر هافرينج".

أشار بوارو ناحية خزانة الكتب، وعلى الفور جذبت منها كتاب الأنساب. وأخذه بوارو منى وبدأ فى تصفح الصفحات بسرعة.

" الابن الثانى لبارون ويندسور الخامس. تزوج " زوى"، الابنة الرابعة لويليام كراب"، عام 1913".

قلت:" أعتقد أن تلك الفتاة كانت تمثل فى المسرح العبثى من قبل، لكنها كانت تطلق على نفسها اسم " زوى كاريزبروك". وأذكر أنها تزوجت من شاب صغير فى البلدة قبل الحرب مباشرة".

" هل لك يا هاستنجز أن تنزل لسماع مشكلة زائرنا؟ وأن تقدم له اعتذارى".

كان روجر هافرينج فى نحو الأربعين من عمره، وكان مهندماً وذا مظهر جذاب. إلا أن وجهه كان منهكاً، ومن الواضح أنه كان فى حالة من الاضطراب.

" كابتن هاستنجز؟ أنت شريك السيد بوارو على ما أعتقد. من الضرورى أن يأتى معى إلى ديربى تشاير اليوم".

قلت له:" معذرة، هذا مستحيل. إن بوارو مريض وملازم للفراش بسبب الأنفلونزا".

امتقع وجهه لسماع ذلك الخبر وقال:

" يا إلهى، إنها صدمة كبيرة بالنسبة لى".

" هل الأمر الذى تود استشارته فيه خطير إلى هذه الدرجة؟".

" يا إلهى! أجل، إن خالى، وأفضل صديقى لى فى هذا العالم، قد قُتل بالأمس".

" هنا فى لندن؟".

" كلا، بل فى ديربى تشاير. لقد كنت فى المدينة وتلقيت برقية من زوجتى هذا الصباح. وفور تسلمى للبرقية قررت الحضور إلى هنا لكى أطلب من السيد بوارو تولى القضية".

قلت له وأنا مأخوذ بالمفاجأة:" هلاّ سمحت لى بدقيقة واحدة؟".

ثم أسرعت للطابق العلوى، وبكلمات موجزة أخبرت بوارو بالموقف. ولم ينتظر منى المزيد من الكلام.

" حسنًا، حسنًا، أنت تريد الذهاب بنفسك، أليس كذلك؟ حسنًا، لم لا؟ أعتقد أنك على دراية بكل أساليبى الآن. وكل ما أطلبه منك هو أن تخطرنى بجميع تفاصيل الأمر كل يوم، وأن تتبع ما أرسله لك من تعليمات بالضبط".

ولقد وافقت على هذا بكل سرور.

بعد نحو الساعة كنت جالسًا قبالة السيد هافرينج فى عربة الدرجة الأولى لقطار ميدلاند، لنغادر لندن بأقصى سرعة.

" بدايةً يا كابتن هاستنجز، لابد أن تعلم أن هانترز لودج هو المنزل الذى نقصده، وهو الذى وقعت فيه المأساة. إنه مجرد منزل صيد صغير يقع فى قلب مستنقعات ديربى تشاير. أما منزلنا الحقيقى فإنه يقع بالقرب من نيوماركت، وعادةً ما نستأجر شقة فى المدينة فى منتصف الموسم. إن مديرة المنزل تعتنى بـ" هانترز لودج"، وهى بالمناسبة قادرة على الوفاء بكل متطلباتنا حينما نقضى هناك أية إجازة أسبوعية عابرة. وبالطبع، أثناء موسم الصيد، نأخذ معنا بعضًا من خَدَمنا من نيوماركت. إن خالى، السيد هارينجتون بيس (وكما قد تعرف، فإن والدتى كانت تدعَى الآنسة بيس من نيويورك) يقطن معنا منذ ثلاث سنوات. وهو لم يكن أبداً على علاقة طيبة بوالدى، أو حتى بأخى الأكبر، وأعتقد أن كونى الابن الأصغر المفضل قد جعله يؤثرنى بحبه. وبالطبع أنا رجل فقير، أما خالى فهو رجل غنى، أى أنه كان، بصراحة، يتكفل بنفقاتنا! لكن على الرغم من بعض الاختلافات بيننا، فإن خالى لم يكن من النوع الذى يصعب العيش معه، وقد عشنا نحن الثلاثة معًا فى وئام. ومنذ يومين اقترح خالى علينا ربما بسبب أنه قد سئم نمط الحياة فى المدينة أن نذهب إلى" ديربى تشاير" ليوم أو يومين. وقد أرسلت زوجتى برقية إلى السيدة ميدلتون، مديرة المنزل، وبالفعل وصلنا إلى هناك عند الظهيرة. وليلة البارحة كنت مضطراً للذهاب إلى المدينة، لكن زوجتى وخالى بقيا هناك. وهذا الصباح تلقيت هذه البرقية"، ثم ناولنى إياها:

" عُد فوراً. لقد قتل الخال هارينجتون بالأمس. أحضِرْ معك محققًا جيداً إذا استطعت، لكن أسرع بالمجىء زوى".

" أنت لا تعلم أية تفاصيل إذن؟".

" أجل، أعتقد أن الخبر سينشر فى الجرائد المسائية. وبالتأكيد فإن الأمر الآن فى يد الشرطة".

فى نحو الثالثة وصلنا إلى محطة إلمرزديل الصغيرة. ومن هناك أخذنا السيارة لمسافة خمسة أميال حتى وصلنا إلى المنزل الحجرى الرمادى الواقع وسط المستنقعات.

قلت وأنا أرتجف:" إنه مكان موحش".

أومأ هافرينج موافقًا.

" سأحاول أن أنجز مهمتى بسرعة، فلن أحتمل العيش هنا بعد الآن".

فتحنا البوابة ومشينا عبر الطريق الضيق حتى وصلنا إلى الباب المصنوع من خشب البلوط، وعندئذٍ ظهر رجل ذو مظهر مألوف واقترب منا.

قلت فى دهشة:" جاب!".

ابتسم محقق سكوتلاند يارد فى وجهى بوُدّ قبل أن يقول مخاطبًا رفيقى:

" أنت السيد هافرينج على ما أعتقد؟ لقد جئت من لندن لتولى التحقيق فى هذه القضية، وأود الحديث معك إذا لم تمانع يا سيدى".

" لكن زوجتى. ..".

" لقد قابلت زوجتك الطيبة يا سيدى، وقابلت مديرة المنزل أيضاً. ولن أعطلك كثيراً، كما أننى أتعجل العودة للقرية خاصة بعدما رأيت بالفعل كل ما أحتاج إليه هنا".

" لكنى لا أعلم شيئاً بخصوص الأمر. ..".

قال جاب فى هدوء:" أعلم هذا، لكن هناك نقطة أو نقطتين أود استيضاح رأيك بخصوصهما. إن الكابتن هاستنجز يعرفنى وسوف يذهب إلى منزلك ليخبرهم بقدومك. وبالمناسبة يا كابتن هاستنجز، أين رفيقك ضئيل الحجم؟".

" إنه طريح الفراش بسبب الأنفلونزا".

" حقًا؟ إننى آسف لسماع هذا. يبدو أن وجودك هنا بدونه أشبه بوجود العربة بدون الحصان، أليس كذلك؟"

بعد سماعى لملحوظته الخالية من اللياقة تلك اتجهت نحو المنزل. ودققت جرس الباب، حيث كان جاب قد أغلق الباب خلفه. وبعد لحظات فتحت لى مديرة المنزل، وكانت امرأة فى منتصف عمرها ترتدى ثوباً أسود.

قلت لها:" سوف يأتى السيد هافرينج فى غضون لحظات. إنه الآن مع المفتش. ولقد جئت معه من لندن لكى أحقق فى ملابسات القضية، وربما استطعتِ أن تخبرينى بما حدث هنا ليلة الأمس".

" تفضل بالدخول يا سيدى" قالتها ثم أغلقت الباب خلفى، ووقفنا فى البهو ذى الإضاءة الخافتة، وأكملت قائلة:" بعد تناولنا لطعام العشاء بالأمس يا سيدى جاء ذلك الرجل. ولقد طلب رؤية السيد بيس، ونظراً للطريقة التى كان يتحدث بها ظننت أنه صديق أمريكى للسيد بيس وأدخلته بالفعل إلى غرفة الأسلحة، ثم ذهبت لأخبر السيد بيس بالأمر. لم يعطنى الرجل اسمه، وهو ما كان بالطبع شيئاً مستغرباً، لقد جال بخاطرى ذلك الآن فقط. ولقد أخبرت السيد بيس بوجود الرجل فبدت عليه الحيرة، لكنه قال لسيدتى:" المعذرة يا زوى، سأذهب لأرى ما يريد ذلك الرجل". ثم ذهب إلى غرفة الأسلحة وعدت أنا إلى المطبخ. لكن بعد برهة من الوقت سمعت أصواتاً عالية، كما لو كانا يتشاجران، فخرجت إلى البهو. وعندئذ خرجت سيدتى أيضاً، وفى تلك اللحظة سمعنا صوت طلق نارى ثم ساد صمت مرعب. جرينا نحو باب غرفة الأسلحة لكنه كان مغلقاً واضطررنا للالتفاف والذهاب من جهة النافذة. كانت النافذة مفتوحة، وبداخل الحجرة كان السيد بيس مصاباً بطلق نارى وتنزف دماؤه بشدة".

" ماذا بشأن الرجل؟".

" لابد أنه هرب عبر النافذة قبل وصولنا إليها يا سيدى".

" وبعد ذلك؟".

" أرسلتنى السيدة هافرينج كى أحضر رجال الشرطة. وبالفعل مشيت لمسافة خمسة أميال لكى أصل إليهم. وقد جاءوا معى. وقد بقى شرطى معنا فى المنزل إلى اليوم التالى، وفى الصباح وصل السيد المحقق من لندن".

" ماذا كان شكل الرجل الذى طلب رؤية السيد بيس؟".

فكرت المديرة قليلاً ثم قالت:

" كانت له لحية سوداء يا سيدى، وكان فى منتصف عمره، وكان يرتدى معطفًا خفيفًا. ولم ألاحظ أى شىء آخر بخصوصه عدا طريقة حديثه التى تشبه طريقة حديث الأمريكان".

" حسنًا، هل بمقدورى رؤية السيدة هافرينج؟".

" إنها بالدور العلوى يا سيدى، هل أخبرها برغبتك فى مقابلتها؟"

" أجل من فضلك. أخبريها أن السيد هافرينج بالخارج مع المفتش جاب، وأن السيد الذى أحضره معه من لندن يرغب فى الحديث معها بأسرع ما يمكن".

" حسنًا يا سيدى".

كنت متلهفًا لسماع جميع الحقائق. لقد سبقنى جاب بالفعل بساعتين أو ثلاث، ولقد تلهف على الذهاب بسبب رغبتى فى ملاحقته فى هذا التحقيق.

لم تتركنى السيدة هافرينج أنتظرُ كثيرًا. ففى خلال دقائق قليلة سمعت وقع خطوات رقيقة تنزل على السلالم ورفعت رأسى لأرى امرأة شابة جميلة تقترب منى. كانت ترتدى كنزة ذات لون برتقالى أعطت لها شكلاً صبيانيًا محببًا. وعلى شعرها الأسود كانت هناك قبعة بنفس لون الكنزة مصنوعة من الجلد. ولم تفلح المأساة التى كان البيت يعيشها فى إخفاء حيويتها وشخصيتها المتميزة. قدمتُ نفسى لها فحيتنى بإيماءة من رأسها.

" لقد سمعت عنك بالطبع، وكذلك عن زميلك السيد بوارو. لقد قمتما بأعمال مدهشة فى السابق، أليس كذلك؟ لقد كان قرارًا صائبًا من زوجى أن يسرع بالاستعانة بك. والآن هل ستسألنى أية أسئلة؟ أظن أن هذه هى أسرع وسيلة يمكنك بها معرفة تفاصيل ذلك الحادث المروع، أليس كذلك؟".

" أشكرك يا سيدة هافرينج. والآن ؛ متى تحديدًا وصل ذلك الرجل؟".

" لابد أنه قد وصل قبل التاسعة مساءً، حيث كنا قد انتهينا من العشاء وكنا جالِسَيْن لتناول القهوة وتدخين السجائر".

" أكان زوجك قد غادر إلى لندن بالفعل؟".

" أجل، كان قد غادر فى نحو الساعة السادسة والربع".

" هل ذهب إلى محطة القطار مستقلاً سيارته، أم ماشيًا؟".

" إن سيارتنا الخاصة ليست هنا. لقد أقلته سيارة قادمة من إلمرزديل إلى محطة القطار".

" هل كان السيد بيس طبيعياً قبل وقوع الحادث؟".

" بالطبع، كان طبيعيًا للغاية".

" والآن، هل بإمكانك أن تصفى ذلك الزائر لى؟".

" معذرة، إننى لا يمكننى ذلك، حيث إننى لم أره. إن السيدة ميدلتون هى التى أدخلته مباشرة إلى غرفة الأسلحة ثم جاءت لتخبر خالى بذلك".

" وماذا قال خالك؟".

" لقد بدا متضايقًا، لكنه ذهب للقاء الرجل على الفور. وبعد نحو خمس دقائق سمعت أصواتهما المرتفعة. فأسرعت بالخروج نحو البهو، وكدت أصطدم بالسيدة ميدلتون. ثم سمعنا طلقة الرصاص. كانت غرفة الأسلحة موصدة من الداخل، لذا كان علينا الالتفاف حول المنزل وصولاً لنافذة الغرفة. وبالطبع استغرق ذلك منا بعض الوقت فاستطاع القاتل أن يهرب. يا لخالى المسكين"، ثم تهدج صوتها وهى تضيف:" لقد أصيب بالرصاص فى رأسه. ولقد عرفت على الفور أنه قد مات. ولذا أرسلت السيدة ميدلتون لإحضار الشرطة، ولقد حرصت على عدم ملامسة أى شىء فى الحجرة وعلى أن أتركها كما كانت تمامًا".

أومأت برأسى فى استحسان.

" والآن، ماذا بشأن السلاح؟".

" حسنًا، يمكننى أن أخمن ما حدث يا كابتن هاستنجز. كان هناك مسدسان يخصان زوجى معلقان على الحائط. والآن، فإن أحدهما مفقود. وقد أوضحت ذلك لرجال الشرطة. ولقد أخذوا السلاح الآخر معهم. وأعتقد أنهم سيتأكدون من ذلك بمجرد استخراج الرصاصة".

" أتسمحين لى بالذهاب إلى غرفة الأسلحة؟".

" بكل سرور، لقد انتهى رجال الشرطة من العمل بها. لكن الجثة قد تم نقلها".

ثم اصطحبتنى نحو مسرح الجريمة. وفى هذه اللحظة دخل هافرينج إلى البهو وأسرعت زوجته نحوه بعدما اعتذرت لى، وبالتالى صرت أجرى تحقيقى وحدى.

علىّ أن أعترف أن الأمر كان مُحْبطًا. ففى الروايات البوليسية تكون الأدلة متوافرة، لكننى لم أجد هنا شيئاً غير معتاد يجذب انتباهى فيما عدا بقعة الدماء الكبيرة الموجودة على السجادة فى نفس المكان الذى قتل فيه الرجل على ما أعتقد. ولقد تفحصت كل شىء بعناية فائقة والتقطت بعض الصور للغرفة مستخدمًا آلة التصوير التى أحضرتها معى. كما تفحصت الأرض الموجودة خارج النافذة. لكن بدا واضحًا أن أقدامًا كثيرة قد قفزت عليها،

مما جعلنى أقرر أنه لا يجدر بى إضاعة الوقت فى التفحص أكثر من ذلك. كلا، لقد رأيت كل ما يمكن رؤيته فى منزل هانترز لودج. لابد أن أعود إلى إلمرز ديل لكى أتناقش مع المفتش جاب. لذلك، فقد استأذنت من آل هافرينج وغادرت مستقلاً نفس السيارة التى أقلتنا من محطة القطار.

وجدت جاب فى مالتوك آرمز، وقد اصطحبنى لرؤية الجثة. كان هارينجتون بيس رجلاً ضئيل الحجم، حليق الوجه، أمريكى المظهر تماماً. وقد أطلق الرصاص على مؤخرة رأسه من مسافة قريبة.

قال جاب:" لقد استدار للحظة، فالتقط الشخص الآخر المسدس وأطلق النار عليه. لقد كان المسدس الذى سلمته لنا السيدة هافرينج محشواً، وأظن أن الآخر كان كذلك. عجيب أمر بعض الناس! تخيل أنهم تركوا مسدسين محشوين معلقين على الحائط هكذا".

سألته ونحن نترك الغرفة المقبضة خلفنا:" ما رأيك فى هذه القضية؟".

" حسناً، لقد بدأت بالشك فى هافرينج". وعندما لاحظ إمارات الدهشة المرتسمة على وجهى قال:" نعم، بالفعل! إن لهافرينج سابقة أو اثنتين تدعوان للشك فيه. فعندما كان يدرس فى أوكسفورد قام بتقليد توقيع والده على أحد الشيكات. وبالطبع تم التكتم على الأمر. بالإضافة إلى إنه غارق فى الديون الآن، وهى من نوعية الديون التى لا يستطيع أن يخبر خاله بها حتى لو كان متأكداً من مساعدة خاله له. نعم، لقد شككت فيه، ولهذا رغبت فى التحدث معه قبل أن يقابل زوجته، لكن روايتيهما متطابقتان بشكل جيد، وقد ذهبت إلى المحطة، ومن المؤكد أنه غادر بالفعل فى الساعة السادسة والربع، والقطار يصل إلى لندن فى العاشرة والنصف، ولقد ذهب مباشرة إلى النادى كما قال، إذا ما تم التأكد من هذا الأمر فمن المستحيل أن يكون هو من أطلق النار على خاله هنا فى الساعة التاسعة، مرتدياً تلك اللحية السوداء!".

" آه، كنت سأسألك بالطبع عن أمر تلك اللحية".

غمز جاب بعينه وقال:

" أعتقد أنها نمت بسرعة فائقة فقط خلال الخمسة أميال التى تفصل إلمرز ديل عن هانترز لودج. إن معظم من قابلتهم من الأمريكان حليقو اللحى. وبالطبع لابد لنا من البحث عن القاتل بين شركاء السيد بيس من الأمريكان. وقد استجوبت مديرة المنزل أولاً، ثم سيدتها، وروايتاها متطابقان بشكل جيد، لكن يؤسفنى للغاية أن السيدة هافرينج لم تتسن لها الفرصة لرؤية القاتل، فهى امرأة ذكية لماحة، ولربما كانت قد لاحظت شيئاً يضعنا على الطريق الصحيح".

جلست لدقيقة وكتبت ملخصاً بالأحداث لبوارو. ثم أضفت بعض التفاصيل والمعلومات الأخرى ثم أرسلت له الخطاب.

تم استخراج الرصاصة، وثبت أنها أطلقت من مسدس مماثل للمسدس الموجود فى حوزة رجال الشرطة. بالإضافة لذلك، تم التأكد من تحركات السيد هافرينج ليلة الحادث وتم التحقق من صحة روايته، والتأكد من أنه وصل إلى لندن بالفعل فى نفس القطار المعنى. وثالثًا، حدث تطور كبير، إذ لاحظ رجل من المدينة يعيش فى إلينج، وهو يعبر من هافن جرين فى اتجاه محطة القطار هذا الصباح وجود طرد مغلف بورق بنى ملقى بين القضبان. وعند فتحه وجد بداخله مسدساً. وقد سلم الطرد لرجال شرطة المحطة، وقبل أن يحل الليل تم التيقن من أن هذا المسدس مماثل للمسدس الذى أعطته لهم السيدة هافرينج. ولقد أطلقت منه رصاصة واحدة.

أضفت كل هذه المعلومات إلى تقريرى. ولقد جاءتنى برقية من بوارو بينما كنت أتناول إفطارى فى الصباح التالى هذا نصها:

" إن الرجل ذا اللحية السوداء لم يكن هافرينج بكل تأكيد، فقط أنت أو جاب من يمكن أن يفكر فى مثل هذه الفكرة. أرسل لى بوصف لمديرة المنزل وملابسها التى كانت ترتديها فى الصباح، وبالمثل بالنسبة للسيدة هافرينج. وأرجو ألا تضيع الوقت فى التقاط الصور لأشياء غير ضرورية وليست حتى ذات ذوق راق".

بدا لى أن أسلوب بوارو كان فكاهيًا بلا داع. كما أحسست أن هناك لمسة من الغيرة منى لوجودى فى موقع الحدث وتمتعى بجميع الإمكانيات التى تؤهلنى لمتابعة القضية. وبدا لى أن طلبه الخاص بوصف ملابس المرأتين هو مطلب سخيف، لكنى استجبت له، تماماً كما كان سيفعل أى رجل فى موضعى.

وفى الحادية عشرة جاءتنى برقية أخرى من بوارو هذا نصها:

" قل لجاب أن يقبض على مديرة المنزل قبل فوات الأوان".

ودون أن أفهم ما يحدث أخذت البرقية إلى جاب الذى قال وهو يلهث:

" إننى أثق بالسيد بوارو، فإذا ما قال ذلك، فلابد أن فى الأمر شيئاً يدعو لذلك، وأنا الذى لم ألاحظ المرأة تقريبًا. لا أعلم إذا ما كان بإمكانى إلقاء القبض عليها، لكنى سوف آمر بمراقبتها. وسوف نذهب إليها الآن، ونستجوبها مجدداً".

لكن الأوان قد فات، فلقد اختفت تماماً السيدة الهادئة ميدلتون التى بدت لنا طبيعية ومحترمة للغاية. ولقد تركت خزانة ملابسها وبداخلها ملابسها المعتادة. لم يكن هناك أى دليل يرشدنا عن هويتها أو حتى مكانها.

ولقد حصلنا من السيدة هافرينج على كل المعلومات التى نستطيع الحصول عليها:

" لقد قمت بتوظيفها منذ ثلاثة أسابيع حينما تركتنا المديرة السابقة للمنزل، السيدة إمرى. ولقد جاءت إلىّ عبر وكالة السيدة سلبورن الموجودة فى ماونت ستريت وهو مكان محترم ومعروف، حيث أستأجر كل خدمى من هناك. ولقد أرسلوا لى العديد من السيدات لكن السيدة ميدلتون بدت لى ألطفهن، وكانت خبراتها جيدة. ولقد قمت بتعيينها على الفور،

وأبلغت الوكالة بذلك، فلم أكن أصدق أن بها ما يشين. لقد كانت دومًا امرأة هادئة لطيفة".

كان الأمر غامضًا للغاية. فبينما كان واضحًا أن هذه المرأة نفسها لم يكن بوسعها ارتكاب الجريمة، حيث إنها كانت واقفة مع السيدة هافرينج فى البهو وقت سماع طلقة الرصاص، إلا أنها بكل تأكيد على صلة بالقاتل، وإلا لما هربت بهذه الصورة المفاجئة؟

أبرقت بآخر التطورات إلى بوارو واقترحت عليه أن أعود إلى لندن لأقوم بالتحقق من أمر وكالة سلبورن.

وجاء رد بوارو سريعًا:

" ليس من المجدى أن تستعلم عنها فى الوكالة، فسيقولون إنهم لم يسمعوا عنها قط. استعلم عن السيارة التى أقلّتها إلى هانترز لودج عندما جاءت للمرة الأولى إلى هناك".

أطعته، على الرغم من عدم تفهمى لطلبه هذا. لقد كانت وسائل المواصلات فى إلمرز ديل محدودة. وكانت هناك سيارتا فورد قديمتان فى المرآب المحلى، كما كانت هناك عربتان أخريان كبيرتان. ولم يتم استدعاء أى من تلك العربات فى اليوم المعنى. وبسؤال السيدة هافرينج قالت إنها أعطت المرأة أجرة السفر إلى ديربى تشاير وما يكفى من المال لاستئجار سيارة أو مركبة خفيفة إلى هانترز لودج. وعادة ما تكون إحدى سيارتى الفورد منتظرة بجوار المحطة تحسبًا لأن يطلبها أحدهم. ويجب الأخذ فى الاعتبار نقطة إضافية هى عدم ملاحظة أحد وجود رجل غريب فى المحطة سواء بلحية سوداء أو غيرها ليلة حدوث الجريمة، فقد رأى بوارو أن القاتل لابد أنه قد جاء إلى المكان فى سيارة كانت منتظرة فى الجوار لمساعدته على الهرب، وأن هذه السيارة هى نفسها التى أقلت المديرة الغامضة للمنزل فى المرة الأولى. ولقد أسفرت التحريات فى لندن بخصوص الوكالة عن نتائج مطابقة لما توقعه بوارو. فلم يكن هناك امرأة اسمها" السيدة ميدلتون" مطلقًا مسجلة فى سجلاتهم. وكانوا قد تسلموا طلب السيدة هافرينج الذى تطلب فيه مديرة للمنزل، وأرسلوا لها بالفعل عدة نساء لشغل الوظيفة. وعندما أرسلت لهم أتعابهم لم تذكر فى رسالتها اسم المديرة التى استقرت عليها. عدت إلى لندن وأنا أشعر ببعض الإحباط. ووجدت بوارو جالسًا فى مقعد وثير بجوار المدفأة مرتديًا عباءة حريرية مزركشة. وحيانى بود بالغ.

" عزيزى هاستنجز! كم أنا سعيد برؤيتك. إننى أحمل لك ودًا كبيرًا! هل استمتعت برحلتك؟ هل قمت بالتحقيق فى الجريمة مع المفتش جاب؟ هل قمت بالتحقيقات والتحريات حتى سعد قلبك؟".

صحت قائلاً:" بوارو، إن اللغز غامض حقًا! ولن يُحلّ مطلقًا".

" أوافقك أننا لا ينبغى أن نفتخر بأنفسنا".

" بالفعل، إن اللغز يصعب حله حقًا".

" لكن فى هذا الجانب أنا ممتاز فى حل الألغاز! إنه لغز تافه! وليس مثل هذا الغز ما يسبب لى الحيرة. إننى أعلم يقيناً من قتل السيد هارينجتون بيس".

" هل تعرف القاتل؟ وكيف عرفت؟".

" لقد ألهمتنى برقياتك الرائعة بالحقيقة. فانظر يا هاستنجز، دعنا نتفحص الحقائق بكل منهجية وحسب ترتيب وقوعها. إن السيد هارينجتون بيس رجل ذو ثروة محترمة ستؤول دون شك لدى موته إلى ابن أخته. هذه هى النقطة رقم 1، ابن أخته معروف عنه أنه فى ضائقة مالية شديدة، وهذه هى النقطة رقم 2. كما أن ابن أخته معروف عنه أنه رجل ذو أخلاقيات ليست فوق مستوى الشبهات، وهذه هى النقطة رقم 3".

" لكن من الثابت أن روجر هافرينج سافر إلى لندن فى ليلة الجريمة".

" بالضبط وبما أن السيد هافرينج غادر إلمرز ديل فى السادسة والربع، وبما أنه من المستحيل أن يكون قد قتل السيد بيس قبل مغادرته، وإلا لتمكن الأطباء من معرفة أن وقت الجريمة المحدد هو وقت خاطئ عند فحصهم للجثة، فقد خلصنا إلى أن السيد هافرينج لم يقتل خاله، وهو استنتاج صحيح. لكننا نسينا أن هناك السيدة هافرينج أيضاً".

" مستحيل، لقد كانت مديرة المنزل معها وقت إطلاق النار".

" آه، أجل، المديرة، لكنها اختفت".

" وسرعان ما سيتم العثور عليها".

" لا أظن ذلك. هناك شىء عجيب يخص تلك الخادمة يا هاستنجز، ألا تظن ذلك، لقد أثارت انتباهى من أول وهلة".

" لقد أدت دورها، ثم هربت فى الوقت الملائم".

" وما كان دورها؟".

" حسناً، من المفترض أنها سمحت لشريكها بالدخول، ذلك الرجل ذو اللحية السوداء".

" آه، كلا، لم يكن هذا هو دورها! لقد كان دورها هو ما قلته أنت للتو، وهو توافر دليل نفى قوى ينفى الجريمة عن السيدة هافرينج وقت إطلاق الرصاص. ولن يجدها أحد مطلقاً يا عزيزى، ذلك لأنها لا توجد من الأساس!" لم تتواجد من الأساس" كما قال شاعركم العظيم شكسبير".

غمغمت وأنا غير قادر على منع ابتسامتى:" بل كان ديكنز. لكن ماذا تعنى يا بوارو؟".

" أعنى أن زوى هافرينج كانت ممثلة قبل زواجها، أنت والمفتش جاب قد رأيتما المديرة فى بهو مظلم، وكانت امرأة فى منتصف عمرها مرتدية السواد ذات صوت خافت، كما أنه لا أنت ولا جاب ولا أحد من رجال الشرطة الذين استدعتهم المديرة قد رأوا السيدة ميدلتون مع سيدتها فى نفس الوقت أبداً. كان الأمر لعبة سهلة بالنسبة لتلك المرأة

الحاذقة الشجاعة. فلدى زعمها أنها سوف تبلغ سيدتها بحضورك، أسرعت للدور العلوى، ثم ارتدت كنزة فاتحة اللون وقبعة تصل بها خصلات سوداء وضعتها فوق الشعر الرمادى المصبوغ. وببضع لمسات فإنها تزيل المكياج وتضع بعضا من أحمر الشفاه. وهكذا تنزل الممثلة الرائعة زوى هافرينج وتتحدث إليك بصوتها الواضح الرنان. لا أحد ينظر بتمعن إلى مديرة المنزل، ولماذا يفعلون؟ فلا يوجد احتمال لربطها بالجريمة. إنها نفسها كانت دليل نفى دامغاً".

" لكن ماذا عن المسدس الذى وجد فى إلينج؟ لا يمكن أن تكون السيدة هافرينج هى من وضعته هناك".

" بل كانت هذه هى مهمة روجر هافرينج لكنه كان خطأ قادنى إلى الاستنتاج السليم. فالرجل الذى ارتكب جريمة قتل غير مخطط لها سوف يلقى بالمسدس فور استخدامه، ولن يحمله معه إلى لندن. كلا، كان الدافع واضحاً، وكان المجرمان يريدان توجيه انتباه رجال الشرطة لمكان بعيد عن ديربى تشاير، وكانا يسعيان لصرف نظر رجال الشرطة عن هانترز لودج. بالطبع لم يكن المسدس الذى وجد فى إلينج هو ذلك الذى قتل به السيد بيس. لقد أطلق منه روجر هافرينج طلقة فى الهواء ثم أخذه معه إلى لندن، ثم ذهب إلى النادى كى يثبت حجة غيابه، ثم ذهب بسرعة إلى إلينج بجوار محطة القطار، وهى تبعد بمسافة نحو عشرين دقيقة فقط، ووضع الطرد فى المكان الذى وجد فيه لاحقًا ثم عاد أدراجه إلى لندن. أما تلك المرأة الرقيقة، زوجته، فقد أطلقت النار على السيد بيس بعد العشاء أتذكر أن الرصاصة أطلقت عليه من الخلف؟ نقطة مهمة أخرى، أليس كذلك؟ ثم أعادت ملء خزانة المسدس ووضعته فى مكانه على الحائط وبدأت فى تمثيل مسرحيتها الصغيرة".

غمغمت فى اندهاش:" شىء لا يصدق، وإذاً. ..".

" وإذاً فهذه هى الحقيقة، أجل يا صديقى، هذه هى الحقيقة. لكن إحضار هذين الشخصين للعدالة أمر آخر. حسنًا، على جاب أن يبذل قصارى جهده لقد كتبت إليه بالأمر كله لكنى أخشى يا هاستنجز أننى سأترك القصاص للقدر، أو للمصادفة، أيهما تفضل".

قلت له:" إن الأشرار قد يفوزون لبعض الوقت".

" لكنهم قد ينجون بفعلتهم، قد ينجون حقًا".

وبالفعل تحققت نبوءة بوارو، وعلى الرغم من اقتناع جاب التام بصحة نظريته، إلا أنه لم يستطع إثبات صحتها بالدليل القاطع.

وآلت ثروة السيد بيس الضخمة إلى يد قاتليه. لكن سرعان ما لحقتهم اللعنة. وعندما قرأت فى الصحف أن السيد روجر هافرينج وحرمه كانا ضمن هؤلاء الذين ماتوا فى تحطم طائرة أيرميل فى باريس، علمت أن القصاص قد تحقق أخيراً.

- 5 -

سرقة السندات ذات المليون دولار

" لقد كثرت سرقات السندات فى الفترة الأخيرة!"، هكذا قلت فى صبيحة أحد الأيام وأنا أنحى الجريدة جانبًا، ثم أضفت:" ما رأيك يا بوارو لو تخلينا عن التحقيق فى القضايا الغامضة وتحولنا لارتكاب الجريمة بدلاً من ذلك؟!".

" أنت تهدف إذن إلى كيف يقولونها؟ إلى تحقيق" الثراء السريع" يا صديقى، أليس كذلك؟".

" حسنًا، انظر إلى هذه السرقة الأخيرة، التى اختفت فيها سندات تساوى فى قيمتها المليون دولار والتى كان بنك لندن آند سكوتش يرسلها إلى نيويورك. لقد اختفت تلك السندات بصورة غريبة وهى على متن السفينة أوليمبيا".

قال بوارو متأملاً:" لولا دوار البحر وعدم قدرتنا على الاستمتاع بجميع مميزات السفينة لأكثر من السويعات القليلة التى سنستغرقها فى عبور القناة لقمت برحلة على متن إحدى تلك السفن الضخمة".

" لابد أن بها أماكن رائعة، حمامات سباحة، قاعات كبيرة، المطعم، الملاعب. ويصعب على المرء حقًا تصديق أن كل هذا يمكن أن يوجد فى البحر".

قال بوارو بحزن:" أما أنا فأعلم بكل هذا. لكن كل هذه الأشياء التافهة لا تعنينى حقًا، فقط فكر يا صديقى فى هؤلاء العباقرة الذين يسافرون وهم يخفون شخصياتهم الحقيقية! فعلى متن هذه السفن العائمة، كما تطلق أنت عليها، يمكن للمرء أن يقابل الصفوة، أعنى عتاة عالم الإجرام!".

ضحكت من كلامه هذا وقلت:

" هذا هو سبب حماسك إذن! فأنت ترغب فى الإيقاع بالرجل الذى سرق تلك السندات، أليس كذلك؟".

وهنا قاطعتنا صاحبة المنزل التى دخلت قائلة:

" هناك امرأة شابة ترغب فى رؤيتك يا سيد بوارو. وها هى بطاقتها".

كان مكتوباً على البطاقة: الآنسة إيزمى فاركر. وبعد أن انحنى بوارو تحت المائدة ليمسك بورقة ملقاة أرضاً، ثم وضعها بحرص فى سلة المهملات، أومأ لصاحبة المنزل أن تُدخِلها.

وبعد لحظات دخلت علينا إحدى أجمل الفتيات اللاتى رأيتهن فى حياتى، إلى الحجرة. كانت فى الخامسة والعشرين تقريباً من عمرها، ولها عينان بنيتان كبيرتان وجسد رشيق. كانت ملابسها مهندمة وفى حركتها رقى وتهذيب واضحان.

" تفضلى بالجلوس يا آنستى، هذا هو صديقى كابتن هاستنجز، والذى يساعدنى فى المشكلات البسيطة التى أقوم بحلها".

" معذرة، إن المشكلة التى حضرت إليك بشأنها اليوم كبيرة يا سيد بوارو"، قالت له هذه الكلمات وهى تحيينى بانحناءة خفيفة ثم جلست قائلة:" أعتقد أنك قد قرأت عن الأمر فى الجرائد بالفعل. وأعنى بهذا سرقة السندات التى كانت على متن السفينة أوليمبيا". لابد أن بعض علامات الدهشة قد ارتسمت على وجه بوارو، فأكملت بسرعة قائلة:" لابد أنك سوف تتساءل عن علاقتى بمؤسسة عريقة مثل بنك لندن آند سكوتش. من ناحية معينة يمكن القول إنه لا علاقة لى بالأمر، لكن من ناحية أخرى فالأمر يبعث على المفاجأة، حسناً يا سيد بوارو، إننى مخطوبة للسيد فيليب ريدجواى".

" هكذا إذن! والسيد ريدجواى كان. ..".

" كان هو المسئول عن السندات إبّان سرقتها. وبالطبع لا يتحمل المسئولية الفعلية، فالأمر لم يكن خطأه على الإطلاق. ومع هذا، فالأمر قد أحزنه بشدة، وعمه يصر على أنه لابد قد تحدث بإهمال عن وجودهم فى حوزته. وهذا الأمر يمثل وصمة حقيقية فى تاريخه الوظيفى".

" ومن هو عمه هذا؟".

" السيد فافاسور، المدير العام لبنك لندن آند سكوتش".

" هلا حكيت لى يا آنسة فاركر القصة بأكملها؟".

" حسناً، كما تعرف، فقد قرر البنك أن يمد عمله إلى الولايات المتحدة، ولهذا قرر إرسال مليون دولار على هيئة سندات حرة. ولقد اختار السيد فافاسور ابن أخيه للقيام بهذه الرحلة، وهو يشغل منصباً مهماً فى البنك منذ سنوات، وكان ملماً كذلك بتفاصيل جميع معاملات البنك فى نيويورك. ولقد أبحرت السفينة أوليمبيا من ليفربول يوم الثالث والعشرين، وتم تسليم السندات لفيليب فى صبيحة ذلك اليوم بواسطة السيد فافاسور والسيد شو، وهما المديران العامان لبنك لندن آند سكوتش. وقد تم إحصاء السندات، ثم وُضعت فى مظروف وختمت ثم أغلقت الحقيبة فى حضوره".

" حقيبة سفر ذات قفل معتاد؟".

" كلا، لقد أصر السيد شو على وضع قفل خاص بها. ولقد وضع فيليب الحقيبة فى قاع خزانة ملابسه، لكنها سُرقت قبل سويعات من وصوله إلى نيويورك. وتم إجراء تفتيش صارم لجميع أجزاء السفينة لكن دون جدوى، لقد بدا الأمر وكأن تلك السندات قد اختفت نهائياً".

تجهم وجه بوارو قليلاً وقال:

" لكنها لم تختف بكل تأكيد، خاصة أنه قد تم بيعها بعد رسو السفينة أوليمبيا بنصف الساعة لا أكثر! حسنًا، ستكون الخطوة التالية بالطبع هى أن أرى السيد ريدجواى".

" لقد كنت على وشك أن أطلب منكما مشاطرتى طعام الغداء فى مطعم" تشيشر تشيز". وسوف يكون فيليب موجوداً هناك، حيث من المقرر أن يلاقينى، لكنه لم يعلم بعد أننى قمت باستشارتكما نيابة عنه".

وافقنا على اقتراحها هذا، وسرعان ما ذهبنا إلى هناك مستقلين سيارة أجرة.

كان السيد ريدجواى موجوداً هناك بالفعل، وبدت عليه الدهشة لرؤيته خطيبته وهى تدخل المطعم بصحبة رجلين غريبين. كان شاباً وسيم الطلعة، طويلاً ذا جسد ممشوق، وقد كسا الشعر الرمادى رأسه قليلاً على الرغم من أن عمره لم يتجاوز الثلاثين.

اتجهت الآنسة فاركر نحوه ووضعت يدها على ذراعه.

وقالت:" سامحنى يا فيليب، فقد تصرفت دون استشارتك أولاً. دعنى أقدمك للسيد هيركيول بوارو، والذى سمعت عنه بكل تأكيد وصديقه الكابتن هاستنجز".

بدا على ريدجواى الدهشة.

ثم قال ونحن نتصافح:" بالطبع سمعت عنك يا سيد بوارو. لكنى لم أكن أدرى أن إيزمى تنوى استشارتك بشأن مشكلتنا".

قالت الآنسة فاركر بهدوء:" كنت أخشى ألا تسمح لى بفعل ذلك يا فيليب".

قال مبتسمًا:" لذا فقد حرصت على أن تكونى على الجانب الآمن. أتمنى أن يستطيع السيد بوارو إلقاء بعض الضوء على ذلك اللغز المحير، خاصة أننى أعترف لكما بصراحة بأننى أكاد أجن من فرط قلقى وحيرتى من هذا الأمر".

كان وجهه بالفعل تبدو عليه أمارات الجزع والحيرة وكان يظهر مدى القلق الذى كان يرزح تحته.

قال بوارو:" حسنًا، حسنًا، فلنتناول الغداء. وسوف نتناقش ونرى ما سنفعل. إننى أريد أن أسمع رواية السيد ريدجواى منه شخصيًا".

وبينما كنا نتناول شرائح اللحم والسجق الممتاز الخاص بالمطعم قص علينا فيليب ريدجواى الملابسات الخاصة باختفاء السندات. وكانت قصته تتطابق مع قصة الآنسة فاركر فى جميع تفاصيلها. وعندما انتهى سأله بوارو قائلاً:

" ما الذى جعلك بالضبط تكتشف سرقة السندات يا سيد ريدجواى؟".

ضحك بمرارة وقال:

" كان الأمر واضحًا أمام عينى يا سيد بوارو، ولم أكن لأخطئه. لقد كانت خزانة الملابس الموجودة فى قمرة السفينة مفتوحة وكان كل ما فيها مبعثراً وكانت هناك آثار كسور فى المكان الذى حاولوا فيه كسر القفل.

" لكنى فهمت أن الحقيبة فتحت بمفتاح، أليس كذلك؟".

" بلى، لقد حاولوا فتحها بالقوة، لكنهم لم يستطيعوا. وفى النهاية لابد أنهم تمكنوا من فتح القفل بصورة أو بأخرى".

قال بوارو وعيناه تلمعان بذلك الضوء الأخضر الذى أعرفه:" غريب، غريب جداً! لقد أضاعوا الكثير من الوقت فى محاولة فتحها، ثم، يا للمفاجأة! يكتشفون أن المفتاح كان فى حوزتهم طيلة الوقت مع العلم بأن كل قفل من هذا النوع له مفتاح متفرد بذاته".

" لهذا من المستحيل أن المفتاح كان معهم، فهو لم يفارقنى ليل نهار".

" أأنت واثق من ذلك؟".

" أقسم بهذا، بالإضافة إلى ذلك، فلو كان معهم المفتاح أو حتى نسخة منه، فلماذا تجشموا عناء محاولة فتح قفل الحقيبة، وهل هو من النوع غير القابل للكسر بالقوة من الأساس؟".

" بالضبط! هذا هو السؤال الذى لابد أن نسأله لأنفسنا! وأعتقد أن حل هذه القضية، إذا ما حدث أن وجدناه، إنما يكمن فى تلك النقطة. وأرجو منك أن تسمح لى بأن أسألك سؤالاً أخيراً: ألم يحدث قط أن تركت الحقيبة مفتوحة؟".

لم يرد عليه فيليب ريدجواى، بل نظر إليه فقط، فأكمل بوارو جملته فى اعتذار:

" آه، لكن تلك الأشياء قد تحدث، أؤكد لك ذلك! حسنًا، عندما تمت سرقة السندات من الحقيبة، فماذا فعل اللص بها؟ وكيف تمكن من مغادرة السفينة بها؟".

صاح ريدجواى:" تماماً! هذا هو السؤال: كيف؟ لقد وصل الخبر إلى مفتشى الجمارك وقد تم تفتيش متعلقات كل شخص غادر السفينة بكل دقة".

" أعتقد أن السندات كانت ذات حجم كبير، أليس كذلك؟".

" بكل تأكيد. لم يكن من الممكن إخفاؤها على سطح السفينة وعموماً، فنحن نعلم أن السندات لم تظل هناك حيث تم عرضها للبيع بعد نصف ساعة فقط من رسو السفينة أوليمبيا، وقبل أن أتمكن من إرسال أرقامها للسلطات. ولقد أقسم لى أحد السماسرة أنه اشترى بعضاً منها حتى قبل أن ترسو السفينة أوليمبيا. لكن من المستحيل قطعاً أن يتم إرسال السندات لاسلكياً".

" ليس عن طريق اللاسلكى بكل تأكيد، هل كان يصحب السفينة زورق سحب؟".

" توجد القوارب الرسمية التابعة للميناء فقط، وكان هذا بعد أن تم إطلاق الإنذار وكان الجميع فى حالة تأهب. ولقد راقبتهم بنفسى خشية أن يُهرّب أحدهم السندات بهذه الوسيلة. يا إلهى، يا سيد بوارو، إن هذا الأمر يثير جنونى! ولقد بدأ الناس يتهموننى بسرقتها".

سأله بوارو بلطف:" لكنك أيضًا قد خضعت للتفتيش عند الرسو، أليس كذلك؟".

" أجل".

قالها الشاب وهو يحملق إليه فى حيرة.

قال بوارو وهو يبتسم:" يبدو أنك لم تفهم ما أعنى. عمومًا أود الذهاب والقيام ببعض التحريات فى البنك".

أخرج ريدجواى بطاقة وخط فوقها بضع كلمات، وقال:

" فقط أظهر لهم هذه البطاقة، فسيسمحون لك بمقابلة عمى على الفور".

شكره بوارو ثم حيا الآنسة فاركر. وسرعان ما توجهنا صوب شارع شريد نيدل للوصول إلى مقر بنك لندن آند سكوتش. وبعد أن أظهرنا البطاقة تم اصطحابنا عبر متاهة من المكاتب والمناضد وعملاء الصرف والإيداع حتى وصلنا إلى مكتب صغير بالدور الأول، حيث التقينا بالمديرين العامين للبنك. كانا رجلين رزينين قضيا زهرة عمريهما فى خدمة البنك. وكان السيد فافاسور له لحية قصيرة بيضاء، بينما كان السيد شو حليق اللحية.

قال السيد فافاسور:" أفهم أنكما تمثلان وكالة تحقيق خاصة، أليس كذلك؟ حسنًا، حسنًا، لقد وضعنا أنفسنا تحت تصرف رجال سكوتلاند يارد. وكان المحقق ماكنيل هو المسئول عن التحقيق فى القضية. إنه مفتش قدير على ما أعتقد".

قال بوارو فى تهذيب:" أنا متأكد من ذلك. هل تسمح بالإجابة عن بعض الأسئلة نيابة عن ابن أخيك؟ بخصوص ذلك القفل، من طلبه من مصنع هابز؟

قال السيد شو:" لقد طلبته بنفسى. فأنا لا أثق بأى موظف ليقوم بمثل هذا الأمر. أما عن المفتاح، فالسيد ريدجواى كان معه نسخة، والنسختان الأخريان كانتا معى ومع زميلى السيد فافاسور".

" ولا يستطيع أى موظف أن يصل إليهما، أليس كذلك؟".

استدار السيد شو للسيد فافاسور فى تساؤل.

فقال السيد فافاسور:" أعتقد أننى متأكد من أنهما ظلا فى الخزانة التى وضعناهما فيها يوم الثالث والعشرين بأنفسنا. ولقد مرض زميلى السيد شو منذ نحو أسبوعين فى الواقع فى نفس اليوم الذى غادرنا فيه فيليب. ولقد تعافى لتوه".

قال للسيد شو فى أسف:" إن الالتهاب الشّعَبى الحاد ليس بالأمر الهين على رجل فى مثل سنى. لكنى أعتذر السيد فافاسور الذى عانى من العمل الشاق الذى ألقى على عاتقه جراء غيابى، خاصة مع ذلك الموضوع المقلق الذى طفا بصورة غير متوقعة فوق سطح الأحداث".

ألقى بوارو عليه بضعة أسئلة أخرى. وأعتقد أنه كان يسعى من ورائها لقياس مدى قوة العلاقة بين العم وابن أخيه. وكانت ردود السيد فافاسور مقتضبة ووافية. لقد كان ابن أخيه موظفاً موثوقاً به فى البنك، ولم يكن مديناً أو يعانى من أى مشكلات مالية على حد علمه. ولقد أدى مهام عديدة سابقة كهذه. وفى النهاية حيانا بانحناءة لدى مغادرتنا.

قال بوارو بمجرد خروجنا للشارع:" إننى أشعر بالإحباط".

" هل كنت تأمل فى اكتشاف المزيد؟ يا لهما من رجلين محافظين".

" ليس تحفظهما هو ما يحبطنى يا عزيزى. فأنا لم آمل أن أجد مدير البنك رجل أعمال حاداً له عيون كعيون الصقر. كما يصفونه فى تلك الروايات التى تفضل قراءتها. كلا، إننى محبط بسبب القضية إنها سهلة للغاية!".

" سهلة؟".

" أجل؟ ألا توافقنى أنها بسيطة للغاية؟".

" هل تعلم من سرق السندات؟".

" أجل".

" لكن. .. يجب أن. .. لماذا. ..".

" لا ترهق أو تشوش نفسك يا هاستنجز. إننا لن نفعل أى شىء فى الوقت الحاضر".

" لكن لماذا؟ ما الذى تنتظره؟".

" فى انتظار السفينة أوليمبيا، فمن المقرر أن تعود من رحلتها من نيويورك يوم الثلاثاء القادم".

" لكن مادمت تعرف السارق، فلم الانتظار؟ فلربما يهرب".

" إلى جزيرة فى البحار الجنوبية لا توجد فيها معاهدات لتسليم المجرمين؟ كلا يا عزيزى، إنه سيجد الحياة مملة للغاية هناك. أما عن سبب انتظارى حسنًا فإن القضية واضحة للغاية فى نظر هيركيول بوارو بذكائه المعروف، لكن ليس فى نظر الآخرين، الذين لم يمنحهم الله هذه الهبة، كالسيد ماكنيل على سبيل المثال. وسيحتاج بعض الوقت للقيام ببعض التحريات وتأكيد بعض الحقائق، ولابد أن يراعى المرء هؤلاء الذين هم أقل منه فى الموهبة".

" يا ويلى منك يا بوارو! أتعلم؟ إننى مستعد لإنفاق مبلغ كبير من المال فقط لكى أراك وأنت تجعل من نفسك أحمق بحق ولو لمرة واحدة فقط. إنك مغرور بصورة لا

تصدق!".

" لا تغضب هكذا يا هاستنجز. إننى أشعر أحيانًا أن هناك أوقاتاً تكرهنى فيها! يا للأسى، إننى أعانى من تبعات تلك العظمة التى أتحلى بها!".

ثم تنهد صديقى الضئيل بصورة مضحكة لم أتمالك معها من الضحك.

ويوم الثلاثاء أسرعنا بالذهاب صوب ليفربول فى عربة الدرجة الأولى لقطار إل آند نورث ويست ريلواى. ولقد رفض بوارو بكل عناد أن يطلعنى على شكوكه أو حتى آرائه المؤكدة. ولقد اكتفى برسم تعبير بالدهشة على وجهه، لأننى لم أتوصل معه لمعرفة حقيقة الموقف. وهكذا توقفت عن الجدال معه ودفنت فضولى خلف جدار من عدم الاهتمام واللامبالاة.

وبمجرد وصولنا لرصيف الميناء الذى ترسو إلى جواره عابرة المحيطات الضخمة، أصبح بوارو نشطًا وأكثر تأهبًا. واقتصرت جولتنا هناك على استجواب أربعة مضيفين. حيث سألناهم عن صديق لبوارو كان على متن السفينة متجهًا إلى نيويورك فى يوم الثالث والعشرين.

" رجل كبير فى السن إلى حدٍ ما، يرتدى نظارة داكنة اللون، إنه مريض ولم يغادر قمرته تقريبًا".

كان هذا الوصف يتفق مع شخص اسمه السيد فينتور الذى كان يشغل القمرة رقم 24 س المجاورة مباشرة لقمرة فيليب ريدجواى. وعلى الرغم من عدم فهمى كيف استنتج بوارو وجود السيد فينتور من الأساس فضلاً عن مواصفاته الجسمانية، إلا أننى شعرت بالحماس لذلك الأمر.

صحت قائلاً:" أخبرنى، هل كان هذا السيد أحد أوائل الذين غادروا السفينة فى نيويورك؟".

هز المضيف رأسه بالنفى وقال:

" كلا يا سيدى، فى الواقع لقد كان من بين آخر الذين غادروا السفينة".

شعرت بالإحباط لإجابته ولاحظت أن بوارو بدوره يبتسم لى. ثم شكر المضيف وأعطاه بعض المال ثم انطلقنا عائدين.

قلت فى حماس:" حسنًا، لقد سار الأمر بصورة طيبة. لكن أراهن أن تلك الإجابة الأخيرة قد قوضت من نظريتك، مهما حاولت إخفاء ذلك بابتسامة!".

" كالمعتاد، أنت لا ترى شيئاً يا هاستنجز. إن هذه الإجابة تحديداً كانت هى الركن الأساسى الذى ترتكز عليه نظريتى".

لوحت بيدى فى يأس وقلت:

" إننى أستسلم!".

بينما كنا على متن القطار، متجهين إلى لندن، كتب بوارو خطاباً بسرعة فى عدة دقائق ثم وضعه فى مظروف.

" هذا الخطاب للمفتش ماكنيل. وسوف أتركه له فى سكوتلاند يارد أثناء مرورنا عليه، ثم بعد ذلك سنتجه إلى مطعم ديندفو، حيث طلبت من الآنسة إيزمى فاركر أن تشرفنا بالعشاء معها".

" ماذا عن ريدجواى؟".

ردد بوارو سؤالى وهو يغمز قائلاً:" ماذا عنه؟".

" لماذا. .. ألا تظن بالفعل أنه. .. لا يمكنك أن. ..".

" إن التشوش لا يريد أن يفارقك مطلقاً يا هاستنجز. فى الواقع لقد اشتبهت به فى البداية. وإذا كان ريدجواى هو اللص وهو ما كان ممكناً حقاً لازدادت القضية سحراً، وصارت مثالاً حقيقياً للعمل المنهجى المنظم".

" لكنها ليست ساحرة بالنسبة للآنسة فاركر".

" أنت على الأغلب محق. ولهذا نحمد الله أن الأمور قد سارت فى مصلحة الجميع. والآن يا هاستنجز، فلنراجع وقائع القضية. إننى أرى أن الفضول سيقتلك. لقد سُرقت السندات من الحقيبة واختفت كما تقول الآنسة فاركر فى الهواء. وبالطبع سنتجاوز عن نظرية الاختفاء فى الهواء هذه، لأن ذلك يتخطى حدود وقدرات العلم الحالية، وبالتالى لن نستطيع الركون إليها. كما أن الجميع قد أكدوا استحالة تهريب السندات إلى الشاطئ. ..".

" أجل لكننا نعلم أن. ..".

" قد تعلم أنت يا هاستنجز، أما أنا فلا. إننى مؤمن بأن ما يبدو مستحيلاً هو مستحيل بالفعل. وهكذا يتبقى لنا احتمالان. أن تكون السندات قد خُبئت على متن السفينة وهو ما أراه صعباً كذلك أو أن تكون قد ألقيت من فوق سطح السفينة".

" مع وضع قطعة فلين معها لكى تطفو بالطبع".

" بدون أى فلين".

حدقت فيه مندهشاً وقلت:

" لكن، إذا ما ألقيت السندات من فوق ظهر السفينة، فمن المستحيل أن يتم بيعها فى نيويورك بعدها".

" يعجبنى تفكيرك المنطقى هنا يا هاستنجز. لقد تم بيع السندات بالفعل فى نيويورك، لذا، فمن المستحيل أن تكون قد ألقيت من فوق ظهر السفينة. أترى إلى أين يقودنا كل هذا؟".

" عدنا من حيث بدأنا".

" على العكس! فلو أن اللفافة المحتوية على السندات قد ألقيت فى البحر ومع ذلك تم بيع السندات فى نيويورك فمن المستحيل إذن أن تكون السندات موجودة بداخل اللفافة. هل هناك دليل يؤكد وجود السندات حقًا داخل تلك اللفافة؟ تذكّرْ أن السيد ريدجواى لم يفتحها منذ أن سلمت له الحقيبة فى لندن".

" أجل، لكن. ..".

لوح بوارو بيده فى صبر نافد وقال:

" اسمح لى أن أكمل كلامى. إن آخر مرة تمت فيها رؤية السندات كانت فى لندن فى مقر بنك لندن آند سكوتش فى صبيحة يوم الثالث والعشرين. ثم ظهرت فى نيويورك بعد وصول السفينة أوليمبيا بساعة واحدة، لكن وفقًا لرواية أحد السماسرة والذى لم يستمع إليه أحد فقد ظهرت السندات قبل رسو السفينة الفعلى. ماذا لو افترضنا أن السندات لم تكن على متن السفينة أوليمبيا من الأساس؟ هل من وسيلة أخرى يمكن أن تصل بها إلى نيويورك؟ أجل. إن السفينة جيجانتيك تغادر ميناء ساوث هامبتون فى نفس اليوم الذى تغادر فيه أوليمبيا، وهى تحمل على متنها سجلات رحلات المحيط الأطلنطى. وإذا تم إرسال السندات على متن السفينة جيجانتيك فسوف تصل إلى نيويورك قبل وصول أوليمبيا بيوم كامل. هكذا اتضحت الأمور وبدأت القضية تكشف عن نفسها. إن اللفافة المختومة كانت زائفة، ولابد أن عملية استبدالها باللفافة الحقيقية قد تمت فى مقر البنك. كان من السهل على أى من الرجال الثلاثة أن يكون قد جهز اللفافة المزيفة واستبدلها باللفافة الأصلية. حسنًا، لقد تم إرسال اللفافة إلى شريك اللص فى نيويورك مع إعطائه تعليمات بأن يبيعها فور وصول السفينة أوليمبيا، لكن كان لابد من أن يسافر شخص على متن السفينة أوليمبيا لكى يقوم بتنفيذ السرقة المزعومة".

" لكن لماذا؟".

" لأنه لو أن ريدجواى فتح اللفافة ووجد أنها زائفة، فسوف تتجه أصابع الاتهام إلى لندن على الفور. كلا، لقد كان على الرجل الذى يشغل القمرة المجاورة أن يؤدى عمله، ويتظاهر بمحاولة كسر القفل حتى يوجه الانتباه إلى حدوث سرقة، ثم يفتح قفل الحقيبة بنسخة من المفتاح، ثم يلقى اللفافة من فوق ظهر السفينة وينتظر لكى يكون آخر من يغادر السفينة. ومن الطبيعى أن يرتدى نظارة داكنة اللون يخفى بها عينيه، ويدعى المرض طوال فترة الرحلة حتى لا يخاطر بمقابلة ريدجواى. وبعد أن ينزل من السفينة فى نيويورك، يسرع بالعودة إلى لندن على أول سفينة".

" لكن من. .. من هو؟".

" الرجل الذى معه نسخة أخرى من المفتاح، الرجل الذى طلب القفل بنفسه، الرجل الذى لم يكن مريضًا حقًا بالالتهاب الشعبى فى منزله ذلك الرجل" الممتلئ" السيد شو! فأحياناً

هناك من المجرمين من يشغلون مناصب مرموقة يا صديقى. آه، ها قد حللنا القضية، هلا سمحتِ لى يا آنسة؟ لقد نجحت!".

ثم انحنى وقَبَّل الفتاة المندهشة الجالسة أمامه قبلتين خفيفتين على خديها!

- 6 -

مغامرة المقبرة المصرية

لطالما كنت أعتبر أن من أكثر المغامرات التى شاركت فيها مع بوارو إثارة هي تلك المغامرة الخاصة بالتحقيق في سلسلة من حوادث الوفيات الغامضة التى تلت اكتشاف وفتح مقبرة" من كا رع".

فبعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون الشهيرة على يد اللورد كارنارفون بفترة قصيرة، استطاع السير جون ويلارد والسيد بلابينر من نيويورك أن يكتشفا بصورة غير متوقعة مجموعة من حجرات الدفن أثناء عمليات التنقيب فى منطقة الأهرامات فى الجيزة التى لا تبعد عن القاهرة كثيراً.

ولقد أثار هذا الاكتشاف اهتماماً كبيراً. ولقد تبين أن المقبرة هى للملك" من كا رع"، وهو أحد ملوك الأسرة الثامنة غير المشهورين، والذى حكم فى فترة اضمحلال كانت فيها الدولة القديمة على وشك الانهيار. لم يكن الكثير من المعلومات معروفاً عن فترة حكمه، ولقد تناولت الصحف ذلك الاكتشاف بكل تفاصيله.

وسرعان ما وقع أمر استحوذ على انتباه الناس، حيث توفى السيد جون ويلارد فجأة إثر أزمة قلبية.

وعلى الفور وجدت الصحف الباحثة عن الإثارة فى ذلك الأمر فرصة لاسترجاع تلك القصص الخرافية الخاصة بلعنة الفراعنة، والتى تتعلق ببعض الكنوز المصرية القديمة المكتشفة. مثل قصة تلك المومياء المشئومة الموجودة فى المتحف البريطانى، تلك القصة القديمة الشهيرة التى على الرغم من إنكار المتحف البريطانى لصحتها أعيد الخوض فيها مجدداً بجميع تفاصيلها.

بعد ذلك بأسبوعين توفى السيد بلايبنر نتيجة تسمم حاد فى الدم، وبعدها بأيام أقدم ابن أخ له على قتل نفسه بالرصاص فى نيويورك. وهكذا صارت لعنة" من كا رع" هى حديث الناس، وعادت للسطح مرة أخرى تلك الأحاديث المتعلقة بالقدرات السحرية الخارقة للمصريين القدماء.

وفى ذلك الوقت تلقى بوارو رسالة قصيرة من السيدة ويلارد، أرملة عالم الآثار الراحل، تطلب فيها منه الحضور إلى منزلها لمقابلتها.

كانت السيدة ويلارد امرأة طويلة نحيفة، ترتدى ملابس الحداد. وكان وجهها الشاحب المنهك أكبر دليل على ما تعانيه من حزن وجزع. " كم هو لطيف منك أن تأتى لمقابلتى بهذه السرعة ياسيد بوارو".

" إننى فى خدمتك ياسيدتى. هل هناك أمر محدد تودين استشارتى فيه؟".

" أجل، إننى أعلم أنك محقق بارع، لكنى لا أريد استشارتك كمحقق. إنك رجل ذو وجهة نظر صائبة، وأعلم أنك تملك من الخيال والخبرة الكثير، لذا أخبرنى ياسيد بوارو، ما هو رأيك حيال الظواهر الخارقة للطبيعة؟".

تردد بوارو للحظات قبل الإجابة، وبدا كأنه يفكر بعمق ثم قال أخيراً:

" دعينا لا نسىء فهم بعضنا البعض هنا، سيدة ويلارد، إنك لا تسألينني سؤالاً عاماً الآن، بل تسألينني بخصوص موقف محدد، أليس كذالك؟".

اعترفت قائلة:" بلى، هو كذلك".

" وهل تريدين منى التحقيق فى ملابسات وفاته؟".

" إننى أريد منك أن تؤكد لى صحة ما يقال فى الصحف من عدمه، فإلى أى مدى يعتبر هذا الكلام مبنياً على حقائق دامغة؟ لدينا الآن ثلاث وفيات يا سيد بوارو، وكل واحدة منها يمكن تفسيرها بصورة منطقية إذا نظرت إليها بمفردها، لكن إذا جمعت الثلاثة معاً، فستجد أن هناك مصادفة غير معقولة، وكلها حدثت فى غضون شهر من فتح المقبرة! قد تكون تلك مجرد خرافات، وقد تكون هناك لعنة من الماضى تؤثر على الناس بصورة لا يستطيع العلم الحديث تفسيرها. فعلى أى حال تظل الحقيقة واضحة لدينا ثلاث وفيات! وأخشى ياسيد بوارو، أخشى بشدة، ألا يتوقف الأمر عند هذا الحد".

" من تخافين أن يحدث له ذلك؟".

" ابنى. حينما جاءت أخبار وفاة زوجى كنت مريضة وقتها. ولقد ذهب ابنى وكان قد عاد لتوه من دراسته فى أوكسفورد إلى هناك وقام بإحضار الجثة إلى هنا، إلا أنه عاد إلى هناك مجدداً الآن، على الرغم من توسلاتى له بألا يفعل. إنه مغرم للغاية بذلك العمل وينوى أن يحل محل والده ويواصل أعمال التنقيب عن الآثار. قد تظن أننى امرأة حمقاء، لكنى خائفة حقاً يا سيد بوارو. ماذا لو أن روح الملك الميت لم تكتفِ بقتل هؤلاء فقط؟ ربما يبدو الأمر لك كأننى أتكلم تفاهات وهراء. ..".

قال بوارو بسرعة:" كلا، فى الحقيقة يا سيدة ويلارد، إننى أيضاً أؤمن بالقوى الخارقة للطبيعة، وهى إحدى أقوى القوى التى عرفها العالم، وأعظمها تأثيراً".

نظرت إليه فى دهشة، فلم أكن أعهد أبداً أن بوارو مؤمن بالقوى الخارقة للطبيعية، لكن الرجل الضئيل كان صادقا للغاية فى حديثه.

" هل تطلبين منى، إذن، أن أعمل على حماية ولدك؟ سأبذل قصارى جهدى لكى أحميه من أى أذى".

" أجل، هذا عن الأمور الطبيعية، لكن ماذا بشأن الأمور الخارقة للطبيعة؟".

" ستجدين يا سيدة ويلارد فى الكتابات التى ترجع للعصور الوسطى أساليب عديدة يمكن بها اتقاء تأثير وإبطال عمل السحر الأسود. ربما كانوا على علم بأشياء لا نعلم نحن بها، مع العلم الذى نتفاخر به. والآن دعينا ننتقل إلى الحقائق التى قد ترشدنى فى مهمتى. لقد كان زوجك مخلصاً على الدوام لعمله كعالم فى المصريات، أليس كذلك؟".

" بلى، منذ ريعان شبابه وحتى وفاته، لقد كان أحد أعظم أساطير هذا العلم فى العالم".

" لكن الأمر كان بالنسبة للسيد بلايبنر مجرد هواية".

" آه، بالضبط. لقد كان رجلاً ثرياً وكان ينفق ببذخ على أى موضوع يثير اهتمامه. ولقد استطاع زوجى أن يجذب اهتمامه إلى تمويل مشروع يتعلق بالمصريات، ولقد ساعدته تلك الأموال على تمويل رحلة التنقيب تلك".

" ماذا عن ابن أخيه؟ ما الذى تعلمينه عنه؟ هل كان جزءاً من مجموعة الاستكشاف؟".

" لا أظن هذا، بل إننى لم أكن أعلم بوجوده حتى قرأت عن وفاته فى الصحف. ولا أعتقد أنه كان على علاقة وثيقة بالسيد بلايبنر. حيث إن الأخير لم يتحدث قط عن وجود أقرباء له".

" من هم الأعضاء الآخرون فى مجموعة التنقيب؟".

" حسناً، هناك د. توسويل، وهو موظف صغير تابع للمتحف البريطانى. والسيد شنايدر، التابع لمتحف مترو بوليتان فى نيويورك ؛ وشاب أمريكى يعمل سكرتيراً، ود. آموس، الذى كان يرافق البعثة بصفته طبيباً، وحسن، الخادم الشخصى المخلص لزوجى".

" هل تذكرين اسم السكرتير الأمريكى؟".

" اسمه هاربر على ما أظن، لكن لست متأكدة. إنه لم يرافق السيد بلايبنر لفترة طويلة من الوقت. وقد كان شاباً مرحاً لطيفاً".

" أشكرك يا سيدة ويلارد".

" لو أن هناك شيئاً آخر فأنا. ..".

" لا شىء الآن. دعى الأمر فى يدى. وَثِقِى أننى سأفعل كل ما فى قدرات البشر لكى أحمى ولدك".

لم تكن تلك الكلمات مُطَمْئِنة للغاية، ولاحظت أن السيدة ويلارد قد أجفلت خلال استماعها له. لكن فى نفس الوقت كان لعدم تسفيه بوارو لمخاوفها أثره البالغ فى شعورها بالارتياح.

وبالنسبة لى، فلم أكن أظن من قبل أن لبوارو أى اهتمام بتلك الأمور الخارقة للطبيعة. ولقد أثرت هذا الموضوع معه خلال عودتنا للمنزل. وقد قال لى بكل جدية وصدق:

" بالطبع يا هاستنجز، إننى أؤمن بهذه الأشياء. لا يجب على المرء أبداً أن يقلل من قوة تلك الغيبيات".

" وماذا ستفعل حيال هذا الأمر؟".

" سأفعل كل ما بوسعى يا عزيزى هاستنجز! حسنًا، سأبدأ أولاً بإرسال برقية إلى نيويورك أستعلم فيها عن التفاصيل الكاملة الخاصة بوفاة ابن أخى السيد بلاييبنر".

وبالفعل سرعان ما أرسل البرقية. وجاءه الرد كاملاً ومفصلاً. لقد كان روبرت بلاييبنر الشاب يعانى من بعض المشكلات لعدة سنوات. ولقد ظل يرتحل عبر جزر البحار الجنوبية معتمداً على المال الذى يرسل إليه قادماً من الوطن، لكنه عاد منذ عامين، ومنذ ذلك الحين ومشاكله المالية تزداد وتزداد. وأهم شىء حدث له، على حد ظنى، هو أنه استطاع مؤخراً أن يقترض من المال ما يكفى لكى يسافر إلى مصر. ولقد قال إن لديه صديقاً حميماً هناك سوف يقترض منه المال. إلا أن خططه باءت بالفشل، فعاد إلى نيويورك وهو يلعن عمه البخيل السيد بلاييبنر الذى يهتم بعظام الموتى من الملوك أكثر مما يهتم بأقاربه من لحمه ودمه. ولقد حدثت وفاة السيد جون ويلارد إبان رحلة روبرت إلى مصر. وعاد مجدداً إلى حياة البؤس فى نيويورك، وفجأة، وبدن سابق إنذار، أقدم على الانتحار، تاركًا خلفه رسالة بها بعض العبارات الغامضة. ويبدو أنه كتبها فى لحظة من لحظات الندم واليأس، وقد أشار لنفسه فى هذه الرسالة بأنه منبوذ من الجميع، وأنهى الرسالة بقوله إنه من الأفضل له أن يموت.

وقد قفزت نظرية أولية إلى ذهنى: إننى لا أؤمن أبداً بصحة ذلك الانتقام الخاص بالملوك المصريين الموتى، بل رأيت فى الأمر جريمة معاصرة. فلنفترض مثلاً أن ذلك الشاب قرر إنهاء حياة عمه السيد بلاييبنر بواسطة السم، وبطريق الخطأ تناول السيد جون ويلارد الجرعة القاتلة، فعاد الشاب إلى نيويورك والذنب يلاحقه. ثم تأتيه أنباء وفاة عمه. ويدرك هنا مدى بشاعة الجريمة التى اقترفها دون مبرر، وهنا يشعر بالندم ويقرر الانتحار.

أوضحت نظريتى هذه لبوارو. فبدا عليه الاهتمام وقال:

" إنها لعبقرية منك أن تفكر فى حل لغز ثلاث جرائم دفعة واحدة، عبقرية بحق. وقد يكون تفسيرك سليمًا. لكنك تجاهلت تمامًا التأثير القاتل للمقبرة".

هززت كتفى وقلت:

" أمازلت تظن أن لها علاقة بالأمر؟".

" بالطبع يا صديقى العزيز، ولهذا سنذهب إلى مصر غداً".

صحت فى دهشة:" ماذا؟".

" تماماً كما قلت"، قالها وعلى وجهه تعبير بطولى. ثم تجهم وجهه وتأوه قائلاً:" لكن آه، البحر! ذلك البحر الكريه!".

بعد ذلك بأسبوع كنا نقف فوق رمال الصحراء الذهبية. وكانت الشمس المتقدة تسطع فوق رؤوسنا. وكان بوارو مصدر البؤس والشقاء يسير بصعوبة بجانبى. لم يكن الرجل الضئيل ممن يتحملون مشاق السفر. وقد سببت رحلة السفينة التى بلغت أربعة أيام من مارسيليا عناء ومشقة متواصله له. وعندما رسونا فى الإسكندرية لم يكن ذلك هو بوارو الذى أعرفه، بل صار مجرد شبح له، وحتى أناقته المعهودة تخلت عنه. وصلنا إلى القاهرة ونزلنا فى فندق مينا هاوس المجاور لمنطقة الأهرامات.

ولكم سحرنى جمال تلك البلاد، لكن لم يتأثر بوارو مثلى، حيث كان مرتدياً نفس الملابس التى اعتاد ارتداءها فى لندن، وممسكاً بفرشاة نفض الغبار مشغولاً بشن حرب مستمرة على ذرات الغبار التى تتراكم باستمرار على سترته السوداء.

قال فى عويل:" وحذائى أيضاً. أنت تعلم بشأنه يا هاستنجز، إنه من أجود أنواع الجلد، وهو الذى يكون فى المعتاد لامعاً منمقاً. الآن، انظر لتلك الرمال التى بداخله، إنه أمر مؤلم، والرمال المتكومة عليه من الخارج أيضاً، يا له من أمر لا يسر النظر. كما أن تلك الحرارة أضرت شاربى الذى صار مترهلاً، أتصدق هذا، مترهلاً!".

قلت له:" انظر إلى أبى الهول، إننى أشعر بالغموض والسحر اللذين ينبعثان منه".

نظر بوارو إليه فى عدم رضا.

ثم قال:" إنه لا يبدو سعيداً على الإطلاق. كيف له أن يكون سعيداً وهو مدفون حتى منتصفه فى تلك الرمال بصورة غير أنيقة بالمرة، يا لتلك الرمال اللعينة!".

" حسناً، لكن هناك أيضاً الكثير من الرمال فى بلجيكا، أليس كذلك؟" هكذا قلت مذكراً إياه بتلك الإجازة التى قضيناها فى نوك سيرمير فى وسط" الكثبان الرملية" كما كان يصفها كتيب إرشادات الرحلة.

قال بوارو وهو يحملق فى الأهرامات بتمعن:" إننا لسنا فى بروكسل، وعلى الأقل هذه الأهرامات لها شكل هندسى متماسك، لكن هناك عدم تساو فى سطوحها وهو ما يزعجنى بعض الشىء. وتلك النخلات، إننى أعجب لها، فهم لم يزرعوها حتى فى صفوف منتظمة!".

قطعت تأملاته الخرافية تلك بأن اقترحت التوجه نحو معسكر التنقيب، فذهبنا إلى هناك على ظهور الجمال، وكانت تلك الحيوانات الضخمة تبرك لنا فى طاعة، منتظرة أن نركبها، وكان بعض الصبية يقودونها ويرأسهم ترجمان خفيف الظل.

نظرت نحو بوارو وهو يركب الجمل، ولقد بدأ الأمر معه بتأوهات وشكوى وانتهى بصراخ وفزع وتلويح بيديه ودعوات استغاثة لله أن ينقذه من هذا الموقف. وفى النهاية، نزل

من على الجمل بشكل مخز، وأكمل الرحلة على ظهر حمار صغير. وعلىّ أن أعترف أن تجربة ركوب الجمل ليست بالسهلة على الهواة، فقد لازمنى بعدها تيبس الظهر لمدة عدة أيام.

وأخيرًا اقتربنا من موقع التنقيب. وجاء رجل ذو وجه لفحته أشعة الشمس ولحية رمادية مرتديًا ملابس بيضاء وعلى رأسه خوذة، وذلك لمقابلتنا.

" سيد بوارو وكابتن هاستنجز، لقد تسلمنا البرقية المرسلة منكما. ويؤسفنى أنه لم يكن هناك أحد موجود لمقابلتكما فى القاهرة. لقد حدث شىء غير متوقع غيّر من خططنا تمامًا".

شحب وجه بوارو، وتصلبت يده التى كانت ممسكة بفرشاة الملابس فى مكانها.

قال:" لا تقل إنه حادث وفاة آخر".

" بلى، هو كذلك".

صحت قائلاً:" السيد جاى ويلارد؟".

" كلا يا كابتن هاستنجز، بل هو زميلنا الأمريكى، السيد شنايدر".

قال بوارو:" وما سبب الوفاة؟".

" عدوى التيتانوس".

أجفلت وشعرت بجو مقبض من الشر والخطر والتهديد. وداهمتنى فكرة مخيفة، ماذا لو كنت أنا من سيموت بعد ذلك؟

قال بوارو بصوت خفيض:" يا إلهى! إننى لا أفهم هذا، الأمر فظيع حقًا. أخبرنى يا سيدى، هل يوجد شك فى أنه مات بسبب هذه العدوى؟".

" أعتقد ذلك، لكن الدكتور آموس سيخبرك بمعلومات أكثر عن هذا الأمر".

" آه، بالطبع، أنت لست الطبيب إذن".

" اسمى توسويل".

كان هذا إذن هو الخبير البريطانى الذى وصفته لنا السيدة ويلارد بأنه موظف صغير فى المتحف البريطانى. وكان فى مظهره إخلاص وجدية، فاجتذب انتباهى على الفور.

أكمل السيد توسويل قائلاً:" إذا سمحتما بالمجىء معى، سوف أصحبكما إلى السيد جاى ويلارد الذى كان حريصًا على أن يتم إعلامه فور وصولكما".

اتجهنا عبر المعسكر نحو خيمة كبيرة، ورفع د. توسويل غطاء الخيمة لكى ندخل. وبالداخل كان هناك ثلاثة رجال جالسين.

قال توسويل:" لقد وصل السيد بوارو والكابتن هاستنجز يا سيد جاى".

نهض أصغر الموجودين من مجلسه وتقدم لتحيتنا. وكان فى شخصيته اندفاع وتهور ملحوظان ذكرانى بوالدته. ولم تكن الشمس قد لفحت وجهه مثل الباقين، وقد جعله السواد الموجود حول عينيه يبدو أكبر سنًا من سنوات عمره الحقيقية البالغة اثنتين وعشرين سنة. وكان واضحاً أنه يعانى من ضغط عصبى شديد.

قدم لنا الرجلين الآخرين، الدكتور آموس، وهو رجل ذو مظهر قدير، يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، وقد تسلل الشيب إلى رأسه قليلاً. أما السيد هاربر، السكرتير، فقد كان شابًا نحيلاً يضع نظارة مميزة مستديرة على عينيه.

بعد عدة دقائق أمضيناها فى حوارات عابرة غادَرَنا السيد هاربر ودكتور توسويل، وبقينا مع كل من السيد جاى والدكتور آموس.

قال ويلارد:" أرجوك تفضل بالسؤال عما تريد يا سيد بوارو. إننا مذهولون من جراء تلك السلسلة من الكوارث، لكن لا يمكن، لا يمكن أن يكون هناك سبب سوى المصادفة البحتة".

كان يتحدث بعصبية واضحة انعكست على كلماته، ولاحظت أن بوارو كان يتفحصه بكل عناية.

" هل أنت مهتم حقًا بهذا العمل يا سيد جاى؟".

" أجل. فمهما حدث، فسوف يستمر العمل هنا دون توقف. ثق فى ذلك".

استدار بوارو للرجل الآخر وقال:

" ما رأيك بهذا القول أيضاً أيها الطبيب؟".

قال الطبيب:" حسنًا، إننى كذلك لا أشجع على وقف العمل".

قال بوارو وهو يرسم واحداً من تلك التعبيرات العجيبة على وجهه:

" حسنًا، هذا مؤكد، لابد أن نعرف جيداً موقفنا حيال هذا الأمر. متى حدثت الوفاة الخاصة بالسيد شنايدر؟".

" منذ ثلاثة أيام".

" أأنتم واثقون أن السبب هو مرض التيتانوس؟".

" بكل تأكيد".

" ألا يمكن أن يكون السبب هو التسمم بمادة مثل الإستركنين؟".

" كلا يا سيد بوارو، إننى أعرف ما تعنى. لكن الحالة كانت حالة إصابة واضحة بالتيتانوس".

" ألم تتناولوا جميعاً المصل المضاد لهذا المرض؟".

قال الطبيب بجفاء:" نعم، لقد تم تطعيمنا جميعاً، ولقد تم اتخاذ كل إجراء ممكن حيال هذا الأمر".

" هل كان المصل معكم هنا؟".

" كلا، لقد طلبناه من القاهرة".

" هل حدثت حالات إصابة أخرى بالتيتانوس فى المعسكر؟".

" كلا، ولا حالة واحدة".

" هل أنت واثق أن موت السيد بلايبنر لم يكن بسبب التيتانوس كذلك؟".

" تمام التأكد. لقد أصيب بجرح فى إبهامه، وتلوث جرحه، وتسبب فى حدوث تعفن بالدم. وكان الأمر واضحاً حتى فى نظر غير الخبير، وكلتا الحالتين كانتا مختلفتين تمام الاختلاف".

" لدينا، إذن، أربع وفيات، ترجع كلها لأسباب مختلفة، واحدة بسبب أزمة قلبية، واحدة بسبب تسمم فى الدم، وحالة انتحار، وواحدة بسبب مرض التيتانوس".

" تماماً يا سيد بوارو".

" هل أنت واثق من عدم وجود أى رابط يربط بين هذه الحالات؟".

" لا أعتقد أننى أفهمك جيداً".

" سأوضح الأمر أكثر، هل قام أى من هؤلاء الرجال الأربعة بأى فعل يمكن أن يفهم على أنه يسبب إساءة لروح الملك من كا رع؟".

حدق الدكتور فى بوارو مندهشاً وقال:

" لابد أنك تمزح يا سيد بوارو. لا أعتقد أن أحداً تمكن من إقناعك بمثل هذا الهراء؟".

قال جاى ويلارد بغضب:" محض هراء".

ظل بوارو هادئاً ولم يتأثر بكلامهما والتمعت عيناه الخضراوان الشبيهتان بعيون القطط.

" أنت لا تؤمن، إذن، بهذه الأمور يا سيدى الطبيب؟".

قال الطبيب بلهجة مؤكدة:" كلا يا سيدى، إننى لا أؤمن بهذه الأمور. إننى رجل علم، وأؤمن، فقط، بما يتوافق مع مبادئ العلم".

سأله بوارو بهدوء:" ألم يكن هناك علم إذن عند قدماء المصريين؟"، وبدت على وجه الدكتور آموس الحيرة للحظة، فلم ينتظر بوارو رده وقال:" كلا، كلا، لا تجبنى، لكن أخبرنى بهذا: ما رأى العمال المحليين بخصوص هذا الأمر؟".

قال د. آموس:" أعتقد أنه عندما نُصاب نحن الأجانب بالخبل والتفكير بلا عقلانية، فلن يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لهم. وأعترف بأنهم فعلاً بدأوا يشعرون بالذعر لكن لا سبب حقيقياً يدعوهم للذعر، أليس كذلك؟".

قال بوارو فى تشكك:" إننى أتساءل ما إذا كان ذلك صحيحاً".

انحنى السيد جاى للأمام.

ثم صاح فى سخرية:" بالطبع أنت لا تؤمن بهذه الأمور. .. آه، إن الأمر كله سخف فى سخف! أنت لا تعلم شيئاً، إذن، عن مصر القديمة إذا ما كنت تفكر بهذه الصورة".

وإجابة على كلامه هذا أخرج بوارو كتاباً صغيراً من جيبه وكان كتابًا قديمًا باليًا. وعندما أخرجه لنا رأيت العنوان المكتوب عليه وكان" سحر المصريين والكلدانيين القدماء". ثم استدار وخرج من الخيمة، وحدق الطبيب فى وجهى قائلاً:

" ما هى فكرته الضئيلة؟".

كانت العبارة كثيراً ما تتكرر من شفتى بوارو، وقد ابتسمت عندما سمعتها من شخص آخر.

قلت معترفًا:" لا أعرف بالتحديد، لابد أن لديه خطة لإخراج الأرواح الشريرة".

خرجت بحثًا عن بوارو ووجدته يتحدث مع رجل ذى وجه نحيل هو سكرتير السيد بلاييبنر الراحل.

سمعت السيد هاربر وهو يقول:" كلا، لم يمض على وجودى مع البعثة أكثر من ستة أشهر. ونعم، أنا ملم بجميع شئون السيد بلاييبنر".

" هل بإمكانك إخبارى بأى معلومات بخصوص ابن أخيه؟".

" لقد جاء يومًا ما إلى هنا، ولم يكن شخصاً سيئ المظهر. لم أكن قد قابلته من قبل، لكن هناك من التقوا به من قبل، آموس على ما أعتقد، وشنايدر. لم يكن العجوز سعيداً بمقابلته. وسرعان ما نشب الخلاف بينهما. وكان العجوز يصيح:" ولا مليم، لن تحصل منى على مليم، حتى عندما أموت. إننى أنوى ترك جميع أموالى لخدمة هذا العمل، ولقد ناقشت الأمر بالفعل مع السيد شنايدر اليوم". وكلمات أخرى مثل هذه. وسرعان ما غادر السيد بلاييبنر الصغير القاهرة".

" هل كان فى صحة جيدة فى ذلك الوقت؟".

" أتقصد العجوز؟".

" بل السيد بلاييبنر الشاب".

" أعتقد أنه تحدث عن إصابته بمرض ما، لكن لا يمكن أن يكون شيئاً خطيراً، وإلا لكنت قد تذكرته".

" شيء أخير، هل ترك السيد بلايبنر وصية؟".

" لم يترك على حد علمى".

" وهل ستستمر فى العمل مع البعثة يا سيد هاربر؟".

" كلا، لا أنوى ذلك. بل سأعود إلى نيويورك فور تسويتى للأمور هنا. قد تضحك من ذلك، لكنى لا أنوى أن أكون الضحية القادمة لذلك اللعين" من كا رع". إنه سيظفر بى إذا ما بقيت هنا".

ثم مسح الشاب الصغير العرق النازف على حاجبيه.

" لا تنس أنه ظفر بالفعل بأحد ضحاياه فى نيويورك".

قال السيد هاربر فى حدة:" عليه لعنة الله!".

قال بوارو بهدوء:" ذلك الشاب عصبى المزاج حقًا. إنه على حافة الانهيار، على حافة الانهيار حقًا".

نظرت إلى بوارو بفضول، لكن ابتسامته المبهمة لم تخبرنى بأى شيء. بعد ذلك اصطحبنا كل من السيد جاى ويلارد ود. توسويل فى جولة حول موقع التنقيب. كانت المكتشفات الرئيسية قد نُقلت إلى القاهرة، لكن بعض الأشياء الموجودة بالمقابر كانت مثيرة للغاية. وكان حماس السيد جاى واضحًا، لكن لاحظت وجود لمحة من العصبية والتوتر فى تصرفاته، وبدا كأنه لا يستطيع التحرر من الإحساس بالخطر المحيط بنا. وحينما دخلنا الخيمة المخصصة لنا للاغتسال قبل تناول العشاء قام رجل أسمر اللون يرتدى ملابس بيضاء من أمام الخيمة ليسمح لنا بالمرور، وحيانا بصورة لطيفة وهو يتمتم بالعربية. وتوقف بوارو للحديث معه.

" لابد أنك حسن، خادم السيد جون ويلارد الراحل، أليس كذلك؟".

" لقد خدمت سيدى السير جون، والآن أنا فى خدمة ابنه". ثم اقترب منا خطوة وقال بصوت خفيض: " إنهم يقولون إنك رجل حكيم، وتعلم كيف تتعامل مع الأرواح الشريرة. اجعل السيد الصغير يرحل من هنا بعيداً عن الجو الملىء بالشر".

ثم تركنا بصورة مفاجئة دون انتظار لرد منا.

تمتم بوارو:" الجو ملىء بالشر، نعم، إننى أشعر بذلك".

لم يكن الحديث أثناء الوجبة يسوده جو من المرح. وقد تركنا الحديث للدكتور توسويل الذى أسهب فى الحديث عن الآثار المصرية. وبينما كنا على وشك الرحيل لنيل قسط من الراحة أمسك السيد جاى بذراع بوارو وأشار بيده فى دهشة. فبين الخيام كان هناك ظل غير واضح يتحرك. لكنه لم يكن كائناً بشريًا: حيث لاحظت رأسه الذى يشبه رأس الكلب الذى رأيته من قبل محفوراً على جدران المقابر المصرية القديمة.

ولدى رؤيتى له تجمد الدم فى عروقى.

قال بوارو بفزع:" يا إلهى، إنه أنوبيس، الذى له رأس ابن آوى، إنه إله الموتى عند المصريين القدماء".

صاح د. توسويل وهو يهب واقفًا على قدميه:" لابد أن أحدهم يسخر منا".

قال السيد جاى بوجه شاحب:" لقد ذهب صوب خيمتك يا هاربر".

قال بوارو وهو يهز رأسه:" كلا، بل ذهب صوب خيمة د. آموس".

نظر الدكتور إليه فى عدم تصديق، ثم كرر كلمات د. توسويل قائلاً:

" لابد أن أحدهم يسخر منا. هيا، فلنحاول الإمساك به".

ثم أسرع فى قوة وراء ذلك الطيف الغامض. فتبعته، لكن لم يسفر بحثنا عن شىء، ولم نجد أثراً لأى إنسان هناك. عدنا فى حيرة من الأمر، ووجدت بوارو يقوم ببعض الخطوات الحماسية التى فى ظنه سوف تضمن له الحماية. كان يدور حول الخيمة فى حماس راسمًا مجموعة من الأشكال والطلاسم على الرمال. ولقد ميزت منها شكل النجمة الخماسية التى رسمها عدة مرات. وبينما كان يقوم بتلك الخطوات، كان يقدم لنا محاضرة عن السحر وأعمال الشعوذة عمومًا، فهناك السحر الأبيض الذى يقف فى وجه السحر الأسود، مشيراً فى حديثه هذا إلى كتاب الموتى الذى توجد فيه تلك التعاويذ.

لكن بدا على د. توسويل احتقار ما يفعله بوارو، وقد انتحى بى جانبًا وقال لى فى غضب شديد:

" هراء، محض هراء. إنه رجل محتال. وهو لا يعلم الفارق بين خرافات العصور الوسطى والمعتقدات المصرية القديمة. إننى لم أسمع من قبل بهذه التفاهات وهذا الجهل والسخف".

هدأت من روع الخبير المتحمس ولحقت ببوارو إلى الخيمة.

وكان صديقى يبتسم فى مرح.

ثم قال بسعادة:" بمقدورنا الآن أن ننام فى سلام هانئين. وإننى بحاجة للنوم حقاً، فرأسى يؤلمنى بشدة. كم أنا بحاجة لمشروب دافئ الآن!".

وكأن دعوته قد استجيبت، فقد رُفع غطاء الخيمة ودخل حسن حاملاً كوباً يخرج منه البخار، وقدمه إلى بوارو. كان هذا شاياً بالبابونج، وهو المشروب الذى يعشقه بوارو. شكرت حسن ورفضت أن يأتى لى بكوب آخر، ثم تركنا وحدنا ثانية. وقفت لدى باب الخيمة بعد أن غيرت ثيابى ونظرت بتمعن إلى الصحراء.

قلت بصوت عال:" يا له من مكان جميل، وعمل رائع. إننى أشعر بالانبهار. حياة الصحراء هذه، واكتشاف دقائق تلك الحضارة المندثرة. لابد أنك تشعر بذلك السحر يا بوارو، أليس كذلك؟".

لم تأت منه إجابة، لذا استدرت شاعراً بالضيق. لكن سرعان ما تحول ضيقى إلى قلق شديد. كان بوارو مستلقياً على فراشه، وعلى وجهه تشنجات عنيفة. وإلى جواره كان هناك الكوب الفارغ. أسرعت نحوه ثم خرجت من الخيمة قاصداً خيمة الدكتور آموس.

صحت قائلاً:" دكتور آموس! لابد أن تأتى معى فوراً".

قال الطبيب الذى كان مرتدياً ثياب النوم:" ما الأمر؟".

" صديقى، إنه مريض، بل يموت. شاى البابونج، لا تسمحوا لحسن بمغادرة المعسكر".

وبسرعة البرق خرج الدكتور من الخيمة صوب خيمتنا، وهناك كان بوارو راقداً تماماً كما تركته.

قال آموس:" شىء غريب، تبدو كأنها نوبة مرضية ما الذى شربه؟" ثم أمسك بالكوب الفارغ.

هنا ارتفع صوت هادئ يقول:" لكننى لم أشرب محتواه!".

استدرنا فى دهشة، كان بوارو جالساً فى فراشه وعلى وجهه ابتسامة هادئة.

قال بهدوء:" كلا، إننى لم أشربه. فبينما كان صديقى هاستنجز يتغزل فى جمال الليل، انتهزت تلك الفرصة لكى أسكبه، ليس فى حلقى، بل فى قنينة صغيرة، حيث ستذهب تلك القنينة الصغيرة إلى أحد الكيميائيين لكى يتم تحليلها، كلا لا تحاول" قالها بينما يقوم الدكتور بحركة مباغتة ثم أضاف:" إنك رجل عاقل، وتعلم أن العنف لن يفيدك. فأثناء الفترة التى ذهب هاستنجز فيها لإحضارك قمت بوضعها فى مكان أمين. آه، أسرع يا هاستنجز، أمسك به".

لقد أسأت فهم سبب قلق بوارو. ورغبة منى فى حماية صديقى، ألقيت بنفسى لكى أحول بينهما. لكن الدكتور كان يهدف بحركته إلى شىء آخر. لقد أسرعت يداه نحو شفتيه، وسرعان ما ملأت الهواء رائحة اللوز المر، وترنح للحظة ثم سقط جثة هامدة".

قال بوارو بحزن:" ضحية أخرى، لكنها الأخيرة. ربما كان ما حدث هو الأنسب. لقد قتل ثلاثة أنفس بالفعل".

صحت مندهشاً:" د. آموس؟ لكنى اعتقدت أنك تؤمن بوجود تلك القوى الخرافية!".

" لقد أسأت فهمى يا هاستنجز. لقد عنيت بكلامى أننى أؤمن بتأثير وجود القوى الخارقة للطبيعة. فبمجرد أن ساد الاعتقاد بأن سبب حدوث مجموعة من الوفيات هو وجود قوى خارقة، للحد الذى يمكنك أن تطعن رجلاً حتى الموت فى وضح النهار، وسيفهم الأمر على أنه بسبب لعنة ما، فإن وجود تلك القوى الخارقة مزروع داخل النفس البشرية. ولقد ساورنى منذ البداية أن أحدهم استفاد من تلك الخرافة. وأعتقد أن الفكرة قد واتته بعد وفاة السيد جون ويلارد. حيث ظهرت على الفور نظرية وجود قوى خارقة سببت هذا الأمر. وحسب ظنى فلن يحقق أحدهم أى فائدة من وراء موت السيد جون، لكن الأمر يختلف مع

حالة السيد بلايبنر. فقد كانت له ثروة عظيمة. ولقد أمدتنى المعلومات التى حصلت عليها من نيويورك بعدة نقاط مهمة: أولها هى أن السيد بلايبنر الشاب قال إن له صديقاً مقرباً فى مصر يستطيع الاقتراض منه. ولقد فهم الجميع بطريق الخطأ أن هذا الصديق هو عمه، لكن خطر لى أنه لو كان يعنى عمه لقالها صراحة. بل كانت الكلمات توحى بوجود صديق آخر له. وهناك شىء آخر، لقد اقترض مالاً لكى يذهب إلى مصر، ولكن رفض عمه إقراضه أى مال، ومع هذا فقد كان قادراً على العودة إلى نيويورك. لابد إذن أن أحدهم قد أقرضه بعض المال".

قلت معترضاً:" لكن تلك الأدلة ضعيفة".

" لكن هناك المزيد يا هاستنجز، هناك من الكلمات ما يقال بشكل مجازى، لكنها تُفهم بشكل حرفى، والعكس قد يحدث أيضاً. وفى تلك القضية تم تفسير الكلمات الحرفية على أنها مجازية. فحينما قال الشاب بلايبنر تلك الكلمات:" إننى مجذوم" لم يفهم أحد أنه قد انتحر لأنه بالفعل قد أصيب بعدوى الجذام".

قلت فى حدة:" ماذا؟".

" لقد كانت خدعة حاذقة من عقل شيطانى. لقد كان بلايبنر الشاب يعانى من مرض جلدى بسيط، حيث عاش لفترة فى جزر البحار الجنوبية التى تنتشر بها مثل تلك الأمراض. وكان آموس صديقاً قديماً له، وطبيباً معروفاً، ولم يكن بلايبنر يشك لحظة فى أية كلمة يقولها. وعندما وصلت إلى هنا، كانت شكوكى منحصرة فى شخصين، هاربر ود. آموس. لكنى سرعان ما أدركت أن الدكتور وحده هو القادر على تنفيذ وإخفاء تلك الجرائم، وعلمت من هاربر كذلك أنه كان على علاقة صداقة قديمة بالسيد بلايبنر الشاب. ولابد أن هذا الأخير قد ترك وصية أو أمن على حياته لصالح صديقه الطبيب. ورأى الطبيب فى هذا فرصة للحصول على الثروة. وكان من السهل عليه أن يحقن السيد بلايبنر ببعض الجراثيم القاتلة. بعد ذلك داهم ابن الأخ شعور باليأس والخوف جراء الأخبار التى نقلها له صديقه الطبيب، ولهذا قام بقتل نفسه. أما السيد بلايبنر أياً كانت نواياه فلم يترك وصية، وعليه فقد كانت أمواله ستؤول إلى ابن أخيه ومنه إلى الطبيب".

" وماذا عن السيد شنايدر؟".

" لا يمكننا التأكد من أمره. لقد كان يعرف بلايبنر الشاب أيضاً، كما تذكر، وربما شك فى حدوث شىء ما، أو ربما فكر الدكتور أن وجود حالة وفاة غامضة إضافية، دون أى داع أو هدف، سوف يزيد من رسوخ الخرافة التى خلقها. بالإضافة لذلك، يا هاستنجز، فإننى سأخبرك بحقيقة نفسية، إن القاتل يميل دوماً إلى تكرار جرائمه الناجحة، حيث تتملكه الرغبة فى تكرارها. ولهذا كنت خائفاً على السيد ويلارد الصغير. أما عن أنوبيس الذى رأيناه الليلة فقد كان حسن مرتدياً لتلك الملابس بناء على طلبى، حيث أردت أن أتبين إذا ما كان بإمكانى أن أقذف الرعب فى قلب الدكتور، لكن الأمر كان يستلزم شيئاً أكبر من القوى الخارقة للطبيعة لكى يخاف. ولقد لاحظت أنه لم ينخدع تماماً بتظاهرى الاعتقاد فى

تلك الغيبيات. إن المسرحية الصغيرة التى لعبتها عليه لم تخدعه. ولقد توقعت أنه سوف يسعى كى يجعل منى الضحية القادمة. آه، لكن على الرغم من تلك الحرارة وتلك الرمال المستفزة، إلا أن خلاياى الرمادية مازالت بخير!".

كان بوارو محقًا فى استنتاجه هذا تمامًا. فقد ثبت أن بلاييبنر الصغير منذ عدة سنوات كان قد ترك فى لحظة طيش وصية ذكر فيها:" إن علبة سجائرى وكل شىء أملكه يعد بعد وفاتى ملكاً لصديقى الوفى الدكتور آموس الذى أنقذنى ذات مرة من الغرق".

لقد تم تضخيم القصة إلى أقصى درجة ممكنة. وإلى يومنا هذا لا يزال الناس يتحدثون عن تلك الوفيات الغامضة المتعلقة باكتشاف مقبرة" من كا رع" وكيف أنها تؤكد أن الملك الراحل قد انتقم ممن دنسوا مقبرته، وهو المعتقد الذى يناقض كل المعتقدات والأفكار المصرية القديمة، كما قال لى بوارو.

- 7 -

سرقة مجوهرات" جراند متروبوليتان "

قلت:" ألا تتفق معى يا بوارو أن تغيير الجو سوف يحسن من حالتك؟".

" أتظن هذا يا عزيزى؟".

" إننى متأكد من ذلك".

قال صديقى مبتسماً:" هكذا، هل لديك ترتيبات معينة؟".

" ستأتى إذن!".

" إلى أين ستصطحبنى؟".

" إلى برايتون. فى الحقيقة لقد رشح لى أحد الأصدقاء فى المدينة رحلة جيدة للغاية حسنًا، وأنا لدىّ من المال ما يكفى لأبعثر بعضه، كما يقولون هذه الأيام. وأعتقد أن قضاء إجازة نهاية الأسبوع فى فندق جراند متروبوليتان سوف تكون أكثر من رائعة بالنسبة لنا".

" أشكرك بشدة، وأقبل منك هذا العرض الكريم. إن لك قلبًا طيبًا لكى تفكر فى إسعاد رجل عجوز مثلى. وقلب طيب مثل قلبك يساوى فى قيمته قيمة الخلايا الرمادية. أجل، أجل، حتى أنا الذى يقول هذا، أنسى هذه الحقيقة أحيانًا".

لم يفتنى مغزى كلامه هذا. إننى أعتقد أن بوارو يقلل أحيانًا من قدراتى العقلية. لكن كانت السعادة بادية عليه ولهذا نحيت ضيقى جانبًا.

وقلت بسرعة:" اتفقنا إذن".

وبالفعل وفى ليلة السبت كنا نتناول العشاء فى فندق جراند متروبوليتان وسط مجموعة مرحة من البشر. وبدا كأن جميع البشر قد جاءوا إلى برايتون. كانت الأردية خلابة وكانت المجوهرات والتى كانت النساء يرتدينها فقط ليعرضنها أكثر من ارتدائها بغرض التحلى أكثر من رائعة.

تمتم بوارو:" رائع، إنه منظر جميل. إن المكان هنا يعج بذوى الثراء الفاحش، أليس كذلك يا هاستنجز؟".

قلت له:" أعتقد هذا. لكن لنأمل ألا يكونوا من هؤلاء الأثرياء الحقراء".

نظر بوارو حوله فى هدوء ثم قال:

" إن منظر كل تلك المجوهرات يجعلنى أتمنى لو أننى استغللت ذكائى فى ارتكاب الجرائم بدلاً من كشفها. إنها فرصة هائلة لأى لص يتمتع ببعض العقل. خذ عندك مثلاً يا هاستنجز تلك المرأة البدينة التى تقف إلى جوار ذلك العمود. إنها، كما تقول أنت، مغطاة بأكملها بالمجوهرات".

نظرت إلى حيث يعنى.

ثم قلت:" مرحى، إنها السيدة أوبالسن".

" أتعرفها؟".

" إلى حد ما. فزوجها سمسار أسهم ثرى، حقق ثروة عظيمة أثناء فترة انتعاش سوق البترول الأخيرة".

بعد تناول العشاء اتجهنا صوب آل أوبالسن فى البهو وقمت بتقديم بوارو إليهم. ثم تحدثنا لبضع دقائق وشربنا القهوة معاً.

قال بوارو بضع كلمات يمتدح بها بعض المجوهرات التى ترتديها السيدة على صدرها الضخم، وقد أشرقت عيناها من الفرح عند سماعها تلك الكلمات.

" إنها هوايتى الخاصة يا سيد بوارو. إننى أحب المجوهرات. وزوجى يعلم بنقطة ضعفى تلك، وكلما كانت الأمور متيسرة ماديًا اشترى لى شيئاً جديداً. هل أنت مهتم بالمجوهرات النفيسة؟".

" لقد تعاملت معها فى مواقف عديدة من حين لآخر يا سيدتى. ولقد جعلتنى مهنتى أتعرف على بعض من أشهر المجوهرات فى العالم أجمع".

ثم راح يحكى، ببعض التحفظ، عن قصة المجوهرات التاريخية الشهيرة الخاصة بالعائلة المالكة، واستمعت السيدة أوبالسن إلى حديثه بأنفاس لاهثة.

ثم قالت لدى انتهائه من الحديث:" قد تبدو تلك مصادفة، لكنى أمتلك بعض اللآلئ التى لها أهمية تاريخية. وأعتقد أن لدىّ قلادة من أجمل القلائد فى العالم أجمع، إن اللآلئ التى بها متماثلة وألوانها متناسقة للغاية. سأذهب للطابق العلوى لأحضرها كى تراها!".

قال بوارو:" آه، لا داعى يا سيدتى. إن هذا لطف بالغ منك. لكن لا ترهقى نفسك بذلك!".

" لكنى أود أن أريها لك".

ثم اتجهت المرأة البدينة نحو المصعد بكل همة. ونظر زوجها، الذى كان منشغلاً بالحديث معى، إلى بوارو مستفسراً.

فقال بوارو موضحاً:" إن السيدة زوجتك من الكرم بحيث أصرت على أن ترينى القلادة المصنوعة من اللؤلؤ".

ابتسم أوبالسن فى سعادة وقال:" آه، تلك اللآلئ! إنها تستحق المشاهدة بالفعل. لقد كلفتنى مبلغاً طائلاً! ومع هذا فقيمتها محفوظة بها، ويمكننى استرجاع المبلغ الذى ودفعته فيها قتما أشاء، وربما أكثر منه. وقد أضطر لذلك إذا ما استمرت الأمور كما هى عليه الآن. إن الأمور المالية متأزمة الآن فى المدينة. خاصة مع تلك القواعد الجديدة فى سوق المال"، ثم استمر فى الحديث عن بعض الأمور الفنية التى لم أفهم منها أى شىء.

وفجأة قاطعه خادم صغير السن، والذى اقترب منه وهمس ببعض الكلمات فى أذنه.

" ماذا؟ سآتى فوراً. لم يصبها مكروه، أليس كذلك؟ المعذرة يا سادة".

ثم قام بصورة مفاجئة. استرخى بوارو فى كرسيه وأشعل سيجارته الروسية الصغيرة. ثم بدأ فى ترتيب وضع أكواب القهوة الفارغة على صورة صف أنيق، ثم ابتسم لإنجازه هذا.

مرت عدة دقائق ولم يظهر آل أوبالسن.

قلت بعد فترة:" شىء عجيب. ما الذى أخرهم هكذا يا ترى؟".

راقب بوارو حلقات الدخان المتصاعدة فى الهواء وقال فى هدوء:

" إنهما لن يعودا".

" لماذا؟".

" لأن شيئاً ما قد حدث يا صديقى".

" ما الذى حدث؟ وكيف علمت؟" هكذا سألته بفضول.

ابتسم بوارو وقال:

" منذ عدة دقائق هرع المدير من مكتبه إلى الدور العلوى. وكان يبدو عليه القلق والاضطراب الشديدان. وهذا عامل المصعد منهمك فى الحديث مع أحد الخدم، ولقد دق جرس المصعد ثلاث مرات لكنه لم يعره اهتماماً. كما أن الندل فى حالة من الاضطراب، ولكى يكون النُدل فى مثل هذه الحالة فلابد أن الأمر جد خطير. آه، الأمر كما ظننت تماماً! ها قد جاء رجال الشرطة".

فى تلك اللحظة دخل رجلان الفندق، أحدهما يرتدى زى الشرطة الرسمى والآخر بملابس عادية. وبعد أن تحدثا مع أحد الخدم، تم اصطحابهما للطابق العلوى مباشرة. وبعد عدة دقائق نزل نفس الخادم من الطابق العلوى واتجه نحونا مباشرة".

" السيد أوبالسن يحييكما ويطلب منكما الصعود للطابق العلوى".

هب بوارو واقفاً على قدميه، كما لو كان منتظراً لهذا الاستدعاء. وتبعته بنفس الهمة.

كان جناح آل أوبالسن واقعاً بالطابق الأول. وبعد أن طرقنا الباب دُعينا للدخول حيث قال أحدهم:" تفضلا بالدخول"، وانصرف الخادم. وعند دخولنا رأينا مشهداً غريباً. كانت تلك هى حجرة نوم السيدة أوبالسن، وفى منتصفها كانت السيدة نفسها مستلقية على كرسى ضخم وتبكى بكل حرقة، كان شكلها غريبًا حقاً، خاصة أن دموعها كانت ترسم أخاديد عميقة فى طبقات المسحوق الذى كانت تصبغ به وجهها بسخاء. كان السيد أوبالسن يذرع الحجرة جيئة وذهابًا فى عصبية. وكان رجلا الشرطة واقفين فى منتصف الحجرة ويمسك أحدهما بمفكرة ورقية صغيرة. وبجوار المدفأة كانت خادمة الغرفة واقفة والرعب يملأ قسمات وجهها، وعلى الجانب الآخر من الحجرة كانت هناك امرأة فرنسية، من الواضح أنها الخادمة الخاصة للسيدة أوبالسن، وكانت تبكى بشدة وتعتصر يديها وعلى وجهها حزن يضاهى ذلك الأسى البادى على سيدتها.

وفى وسط تلك المأساة دخل بوارو، متأنقًا وراسمًا على وجهه ابتسامة. وعلى الفور، وبصورة تتناقض مع حجمها الضخم، هبت السيدة أوبالسن من كرسيها واندفعت نحوه.

" حسناً، فليقل زوجى ما يشاء، لكننى أومن بالمصادفة، لا شك فى هذا. لقد كان مقدراً لى أن أقابلك بهذه الصورة هذا المساء، ولدىّ إحساس قوى بأنك إذا لم تستطع أن تعيد قلادتى المسروقة، فلن يستطيع غيرك ذلك".

قال بوارو وهو يربت على يديها مهدئاً إياها: " اهدئى من فضلك يا سيدتى، وتأكدى أن كل شىء سيصير على ما يرام. إن هيركيول بوارو سوف يساعدك".

استدار السيد أوبالسن تجاه مفتشى الشرطة وقال:

" هل هناك أى اعتراض بخصوص طلبى المساعدة من هذا السيد؟".

قال أحدهما بهدوء وعدم اهتمام:" كلا، على الإطلاق يا سيدى. ربما يجعل هذا زوجتك فى حال أفضل، هلا طلبت منها أن تطلعنا على ما لديها من معلومات؟".

نظرت السيدة أوبالسن فى وهن إلى بوارو، والذى اصطحبها نحو كرسيها.

" تفضلى بالجلوس يا سيدتى، وأرجو أن تقصى كل ما حدث علينا دون أن تضغطى على نفسك".

قامت السيدة أوبالسن بتجفيف عينيها وقالت:

" لقد صعدت لغرفتى بعد تناول العشاء لكى أحضر القلادة ليراها السيد بوارو. وكانت كل من خادمة الغرفة وخادمتى سليستين فى الحجرة كالمعتاد. ..".

" المعذرة يا سيدتى، لكن ماذا تعنين بقولك" كالمعتاد"؟".

قالت السيدة أوبالسن مفسرة كلامها:

" من الممنوع على أى شخص التواجد فى حجرتى إلا فى وجود سليستين، خادمتى الخاصة. إن خادمة الغرفة تقوم بتنظيف الحجرة فى الصباح فى وجود سليستين، ثم تأتى ثانية بعد العشاء لكى تقوم بترتيب الفراش، فى وجود سليستين كذلك ؛ وما لم تكن سليستين موجودة فلا تدخل الحجرة مطلقاً.

أكملت حديثها قائلة:" حسناً، كما كنت أقول، صعدت إلى الحجرة ثم اتجهت صوب تلك الخزانة"، ثم أشارت إلى الخزانة التى تقع على يمين طاولة الزينة ،" ثم أخرجت علبة المجوهرات وفتحتها. كان كل شىء يبدو على ما يرام، لكن القلادة لم تكن موجودة!".

سألها المحقق الذى كان مشغولاً بتدوين ملاحظاته: " ومتى كانت آخر مرة رأيتها؟".

" كانت فى مكانها المعتاد عندما نزلت لتناول العشاء".

" هل أنت واثقة من هذا؟".

" تمام الثقة. لقد كنت مترددة فى ارتدائها، لكنى فى النهاية قررت ارتداء القلادة المصنوعة من الزمرد، ولقد وضعتها بيدى فى علبة المجوهرات".

" ومن الذى أغلق علبة المجوهرات؟".

" لقد أغلقتها بنفسى. وأنا أضع المفتاح فى سلسلة أضعها حول عنقى"، وبينما كانت تقول هذه الكلمات أبرزت لنا السلسلة المقصودة.

تفحصها المحقق جيداً ثم هز كتفيه فى حيرة.

" لابد أن اللص كان يملك نسخة من المفتاح. وهذا ليس بالأمر بالغ الصعوبة. فالقفل من النوع السهل. ماذا فعلت بعد أن أغلقت علبة المجوهرات؟".

وضعتها فى المكان المعتاد الذى أحفظها به دائماً، أسفل خزانة الأدراج.

" وهل أغلقت هذه الخزانة؟".

" كلا، إننى لا أفعل ذلك مطلقاً. إن خادمتى تظل فى الحجرة حتى أصعد إليها ثانية، لذا لا يوجد داع لذلك".

تجهم وجه المحقق قليلاً وهو يقول:

" هل أفهم من كلامك هذا أن المجوهرات كانت موجودة وقت نزولك للعشاء، ومنذ ذلك الحين لم تغادر الخادمة الغرفة قط؟".

وفجأة، وكأنما تبدت لها خطورة موقفها على حين غرة، أطلقت سيلستين صرخة عالية ثم اندفعت نحو بوارو مطلقة سيلاً من الكلمات الفرنسية غير المترابطة.

كان الاقتراح شائناً! أن يتم اتهامها بسرقة سيدتها! إن رجال الشرطة معروفون بغبائهم! أما بوارو فبصفته رجلاً فرنسياً فـ..".

قاطعها بوارو قائلاً:" بل بلجيكى"، لكن سيلستين لم تعر أدنى انتباه لكلامه.

وقالت إنها مندهشة من أن يقف السيد هكذا ويراها وهى تُتهم ظلماً وجوراً بينما خادمة الغرفة يُسمح لها بالانصراف دون اتهام. إنها لم تطمئن دوماً لخادمة الغرقة هذه، تلك الفتاة الوقحة ذات الوجه الأحمر، إنها سارقة بطبيعتها. ولقد كان واضحاً منذ البداية إنها فتاة غير أمينة، ولهذا السبب فهى تراقبها جيداً أثناء فترات تنظيفها لغرفة السيدة! فلندع رجال الشرطة الحمقى هؤلاء يفتشونها ومن المؤكد أنهم سيجدون معها القلادة المسروقة!

وعلى الرغم من أن هذه الكلمات المبعثرة قد قيلت بلغة فرنسية سريعة، إلا أن سيلستين كانت تنطق كلماتها مصحوبة بإشارات كثيرة من يديها، وهو ما جعل خادمة الغرفة تدرك جزءاً كبيراً من معنى كلماتها، ونتيجة لذلك فقد أحمر وجهها غضباً.

ثم قالت فى حماس:" لو أن هذه المرأة الأجنبية تتهمنى بسرقة القلادة فهى كاذبة! إننى حتى لم تسنح لى الفرصة لرؤيتها".

صاحت المرأة الفرنسية:" فتشوها، وسوف تجدون معها القلادة المسروقة كما أقول لكم".

قالت خادمة الغرفة وهى تتقدم نحوها:" أنت كاذبة، هل تسمعيننى؟ لقد سرقتيها بنفسك، وتريدين إلصاق التهمة بى. إننى لم أمكث بالحجرة سوى ثلاث دقائق قبل صعود السيدة، بينما كنت تجلسين أنت هنا طوال الوقت، كما تفعلين دائماً، مثل القطة التى تتربص بالفأر".

نظر المحقق فى تساؤل نحو سيلستين وقال:" هل هذا صحيح؟ ألم تغادرى الحجرة مطلقاً؟".

قالت سيلستين بتردد:" إننى لم أتركها وحدها بالفعل. لكننى مع هذا دخلت إلى غرفتى الخاصة والملحقة بهذه الغرفة عبر هذا الباب مرتين مرة لكى أحضر بكرة الخيط القطنى ومرة أخرى لأحضر المقص. لابد وأنها فعلت فعلتها وقتئذٍ".

قالت خادمة الاستقبال فى غضب:" إنك لم تتغيبى لدقيقة واحدة. بل خرجت ثم دخلت بعد ثانية واحدة. ولا أمانع أن يفتشنى رجال الشرطة. فأنا لم أرتكب شيئاً أخشى منه".

فى هذه اللحظة سمعنا صوت طرق على الباب، وذهب المحقق صوبه، وأشرق وجهه لدى رؤية الطارق.

ثم قال:" آه! يا لحظنا الحسن. لقد أرسلت فى طلب إحدى النساء لتفتش هاتين المرأتين، وها هى قد وصلت. أرجو ألا تمانعى فى الذهاب معها للغرفة المجاورة".

ونظر نحو خادمة الغرفة، والتى خرجت من الباب محركة رأسها علامة على الموافقة وتبعتها المفتشة.

كانت الفتاة الفرنسية تجلس منهارة من كثرة البكاء فى كرسيها. قام بوارو بإلقاء نظرة حول الغرفة، وإليكم رسماً توضيحياً للأشياء الموجودة فى الغرفة.

قال بوارو مشيراً برأسه ناحية الباب المجاور للنافذة:" إلى أين يفضى هذا الباب؟".

قال المحقق:" إلى الحجرة المجاورة على ما أعتقد. وهو موصد من هذا الجانب على حد علمى".

مشى بوارو نحوه وحاول فتحه، ثم فتح المزلاج وحاول ثانية.

ثم قال:" وهو موصد كذلك من الجانب الآخر. حسنًا، علينا أن نستبعد هذا الاحتمال".

ثم اتجه ناحية النوافذ وراح يفحصها واحدة تلو الأخرى.

" لا شىء مجدداً. ولا حتى شرفة خارجية".

قال المحقق فى صبر نافد:" وحتى لو كانت هناك واحدة فلا أعلم كيف كان ذلك ليساعدنا، مادامت الخادمة لم تغادر الحجرة".

قال بوارو فى ثبات:" هذا واضح. خاصة أن الآنسة أكدت لنا أنها لم تغادر الحجرة. ..".

ثم قطع حديثه لدى ظهور خادمة الغرفة والمفتشة.

والتى قالت فى اقتضاب:" لا شىء".

قالت خادمة الغرفة:" بالطبع. ولابد لتلك الفرنسية الحمقاء أن تكون خجلة من نفسها لاتهام فتاة بريئة مثلى جزافًا".

قال المحقق وهو يفتح الباب:" اهدئى يا فتاة. لا أحد هنا يتهمك بشىء. هيا اذهبى وواصلى عملك".

غادرت خادمة الغرفة الحجرة على غير رضا.

قال مشيراً لسيلستين:" هل ستقوم بتفتيشها؟".

" نعم، سنفعل"، قالها ثم أغلق الباب وأدار المفتاح.

دخلت سيلستين الحجرة الملحقة مع المفتشة. وبعد عدة دقائق عادتا وأعلنت المفتشة أنه لا يوجد معها شىء.

وهنا تجهم وجه المحقق أكثر.

وقال:" أخشى أننى سأطلب منك أن تأتى معنا على أى حالة يا آنستى". ثم استدار ناحية السيدة أوبالسن وقال:" آسف يا سيدتى، لكن الأدلة كلها تسير فى هذا الاتجاه. وإن كانت القلادة ليست معها، فلابد أنها قد خبأتها فى مكان ما بالحجرة".

أطلقت سيلستين صرخة عالية ثم أمسكت بذراع بوارو، والذى مال نحوها وهمس بشىء فى أذنها. فنظرت الفتاة نحوه فى شك.

" أجل، أجل. أؤكد لك أنه من الأفضل ألا تقاومى"، ثم استدار نحو المحقق وقال:" هلا سمحت لى يا سيدى بتجربة شىء بسيط؟ فقط من أجلى".

قال المحقق فى تشكك:" الأمر يعتمد على ماهية التجربة".

قال بوارو مخاطباً سيلستين مجدداً.

" لقد قلت لنا إنك ذهبت نحو الحجرة الملحقة لكى تحضرى بكرة قطنية، أين مكانها الآن؟".

" أعلى خزانة الأدراج يا سيدى".

" والمقص؟".

" هناك أيضاً".

" هل سيضايقك يا آنستى لو أنك كررت هذين الفعلين أمامنا؟ لقد قلت لنا إنك كنت جالسة تقومين بعملك، أليس كذلك؟".

جلست سيلستين، ثم بإشارة من بوارو قامت ودخلت الحجرة الملحقة ؛ والتقطت شيئاً ما من خزانة الأدراج ثم عادت.

كان بوارو يحول نظره ما بين حركتها وساعة يده التى كان يمسكها.

" هلا كررت لنا الأمر ثانية يا آنستى؟".

" بعد نهاية المرة الثانية كتب شيئاً فى مفكرة الجيب الخاصة به، ثم أعاد الساعة إلى جيبه.

" أشكرك يا آنستى، وأشكرك أيضاً يا سيدى على كرمك"، ثم انحنى نحو المحقق.

بدا على المحقق الإعجاب بهذا الأدب المبالغ فيه. ثم غادرت سيلستين الحجرة غارقة فى دموعها بصحبة المفتشة ورجل الشرطة الآخر الذى يرتدى الزى الرسمى.

بعد ذلك، وبعد اعتذار مقتضب للسيدة أوبالسن، شرع المحقق فى تفتيش الحجرة، حيث أخرج الأدراج وفتح خزانة الملابس وقلب الفراش تماماً ونقر على الأرضية. وكان السيد أوبالسن ينظر إليه فى شك.

" أتظن أنك ستجدها هنا حقاً؟".

" أجل سيدى، فالمنطق يقول هذا. فلم يكن لديها من الوقت ما يكفى لكى تخرجها الحجرة. ولقد أفسد اكتشاف السيدة المبكر للسرقة خطتها. إنها هنا. لابد أن إحدى الخادمتين قد خبأتها هنا، وأنا أعتقد أن خادمة الغرفة ليست هى من فعلت ذلك".

قال بوارو:" الأمر أكبر من مجرد اعتقاد. الأمر مستحيل!".

قال المحقق محدقًا:" ماذا؟".

ابتسم بوارو فى هدوء وقال:

" سأوضح لك ما أعنى. هاستنجز، صديقى العزيز، هلا أخذت منى الساعة وأمسكتها فى يدك؟ لكن بحرص فهى إرث عائلى! لقد قمت لتوى بحساب الوقت الذى استغرقته الآنسة حيث غابت للمرة الأولى من الحجرة لمدة اثنتى عشرة ثانية، وخمس عشرة ثانية فى المرة الثانية. والآن لاحظا حركتى. ستتكرم السيدة بمنحى مفتاح علبة المجوهرات. أشكرك. أما صديقى هاستنجز فسوف يتكرم بإعطائى إشارة الانطلاق".

قلت له:" هيا، أنطلق".

وبخفة لا تصدق قام بوارو بفتح درج الخزينة ثم أخرج علبة المجوهرات، ووضع فيها المفتاح وفتحها، ثم تخير قطعة مجوهرات، ثم أغلق العلبة وأعادها للدرج ثم أغلقه. وكانت حركته أسرع من البرق.

ثم سألنى بأنفاس متقطعة:" حسنًا، ما الوقت؟"

قلت له:" ست وأربعون ثانية".

" أرأيتم؟" قالها ثم نظر فى وجوهنا وأضاف:" لا يوجد وقت كاف أمام خادمة الغرفة لسرقة القلادة، ناهيكم عن إخفائها".

قال المحقق فى رضا:" هذا يحسم الأمر بالنسبة لخادمة الاستقبال إذن" ثم عاد إلى بحثه. ثم دخل إلى غرفة الخادمة الملحقة بالغرفة الرئيسية.

قطب بوارو حاجبيه متفكرًا. وفجأة سأل السيد أوبالسن سؤالاً مفاجئًا:

" لقد كانت القلادة مؤمناً عليها بالطبع، أليس كذلك؟".

نظر السيد أوبالسن مندهشًا من السؤال.

ثم قال فى تردد:" الأمر كذلك".

قالت السيدة أوبالسن والدموع تملأ عينيها:" أتظن أن هذا يهم؟ إننى أريد قلادتى. لقد كانت فريدة من نوعها، ولا يمكن لأى مال أن يعوضها".

قال بوارو مهدئاً إياها:" أفهم هذا يا سيدتى. أفهمه تمامًا. فالقيمة العاطفية هى أهم شىء للنساء، أليس كذلك؟ لكن من لا يتمتعون برقة الإحساس مثلك سوف يجدون فى المال بعض العزاء".

قال السيد أوبالسن فى تردد:" بالطبع، بالطبع، لكن. ..".

قاطعته صيحة انتصار صدرت من المحقق، والذى خرج ويده يتدلى منها شىء ما.

هبت السيدة أوبالسن من مقعدها مطلقة صيحة، وقد بدا كأنها امرأة مختلفة تماماً.

" آه، يا إلهى! إنها قلادتى!".

ثم ضمتها إلى صدرها بكلتا يديها. وتجمعنا حولها.

قال أوبالسن:" أين كانت؟".

" فى فراش الخادمة. ما بين الأسلاك والنوابض التى تدعم حاشية الفراش. لابد أنها سرقتها وخبأتها هناك قبل وصول خادمة الغرفة لمسرح الجريمة".

قال بوارو بلطف:" أتسمحين لى يا سيدتى؟" ثم أمسك القلادة وفحصها بتمعن ثم ناولها إياها وحياها بانحناءة.

قال المحقق:" أخشى يا سيدتى أن عليك أن تسلميها لنا فى الوقت الحالى. فسوف نحتاج إليها لتوجيه الاتهام. لكن سوف نردها لك فى أسرع وقت ممكن".

قطب السيد أوبالسن جبينه وقال:

" هل هذا ضرورى؟".

" نعم يا سيدى، أنت تعلم الإجراءات الرسمية".

صاحت زوجته:" آه، دعه يأخذها. فسأشعر بأمان أكثر لو فعل هذا. فلن يغمض لى جفن وأنا أفكر أن أحداً آخر قد يحاول سرقتها. يا لتلك الفتاة التعسة! وأنا التى لم أصدق قط أنها قد تفعل شيئاً كهذا".

" اهدئى يا عزيزتى، لا تأخذى الأمور بهذه الحدة".

شعرت بضغطة خفيفة على ذراعى. كان هذا هو بوارو.

" هلا انصرفنا يا صديقى؟ أعتقد أنه لا داعى الآن لخدماتنا".

لكن بمجرد خروجنا تردد، ولدهشتى الشديدة قال:

" من الأفضل أن أرى الحجرة المجاورة".

لم يكن الباب مغلقاً، وهكذا دخلنا. كانت غرفة كبيرة لشخصين، وهى خالية الآن. وكان الغبار واضحاً، وقد عبس وجه صديقى صاحب المشاعر المرهفة بينما كان يمرر إصبعه راسماً شكل مستطيل على طاولة بجوار النافذة.

ثم قال فى جدية:" إن تلك الغرفة تحتاج إلى خدمة عاجلة".

كان يحدق بتمعن خارج النافذة، وبدا كأنه يفكر فى شىء ما بعمق.

قلت فى صبر نافد:" حسناً، لماذا أتينا إلى هنا؟".

حدق فىّ وقال:

" أستميحك عذراً يا صديقى. لقد أردت التأكد من أن الباب الموصل بين الحجرتين موصداً من الداخل حقاً".

قلت وأنا أنظر نحو الباب الذى يوصل للغرفة التى غادرناها للتو:" حسنًا، إنه مغلق".

أومأ بوارو وعلامات التفكير لم تفارق وجهه.

أضفت قائلاً:" وعلى أية حال، ما أهمية ذلك الأمر؟ لقد انتهت القضية. لقد كنت أتمنى أن تظهر عبقريتك فى حلها، لكنها كانت من تلك القضايا التى يستطيع أى مغفل مثل ذلك المحقق أن يحلها بسهولة".

هز بوارو رأسه.

" لم تنته القضية بعد يا صديقى. ولن تنتهى حتى نجد السارق الحقيقى الذى سرق القلادة".

" لكن الخادمة هى من سرقتها!".

" لِمَ تقول هذا؟".

قلت متلعثمًا:" حسنًا، لقد وجدت القلادة. .. فى حاشية فراشها".

قال بوارو فى ضجر:" كلا، كلا، كلا، لم تكن تلك هى القلادة الحقيقية".

" ماذا؟".

" مجرد نسخة مقلدة يا عزيزى".

ذهلت لقوله هذا. وكان بوارو يبتسم بكل هدوء.

" إن محققنا الطيب لا يعلم شيئاً عن المجوهرات بكل تأكيد. لكن الآن ستثار جلبة حول هذا الموضوع!".

صحت وأنا أشده من ذراعه:" هيا بنا".

" إلى أين؟".

" لابد أن نخبر آل أوبالسن على الفور".

" لا أعتقد أن هذا هو التصرف السليم".

" لكن المرأة المسكينة. ..".

" حسنًا، تلك المرأة المسكينة، كما تدعوها، سوف تمضى ليلة هانئة إذا اعتقدت أن مجوهراتها فى مأمن".

" لكن اللص قد يحاول الهرب بها!".

" كعادتك دوماً يا صديقى، تتكلم دون تفكير. كيف تتأكد من أن المجوهرات التى وضعتها السيدة أوبالسن بعناية فى علبة المجوهرات الليلة لم تكن هى المجوهرات المزيفة؟ وإن السرقة نفسها لم تحدث فى وقت مبكر للغاية عن الليلة؟".

قلت متحيراً:" آه!".

قال بوارو وهو يبتسم:" بالضبط، عدنا إلى نقطة البداية".

ثم تقدمنا خارجين من الحجرة، وتوقف للحظات متفكراً، ثم مشى نحو نهاية الردهة، وتوقف أمام حجرة صغيرة يتجمع فيها خدم الغرف وخدم الطوابق. كانت خادمة الغرفة المألوفة لنا جالسة هناك تتحدث مع زميلاتها، حيث كانت تقص على جمهورها المتعاطف تجربتها الأخيرة. وعندما رأتنا توقفت فى وسط حديثها، وانحنى بوارو نحوها بأدبه المعهود.

" المعذرة لإزعاجك، لكننى أود منك أن تفتحى لى باب حجرة السيد أوبالسن".

قامت المرأة دون اعتراض وسارت معنا حتى نهاية الردهة مرة ثانية. كانت حجرة السيد أوبالسن على الجانب الآخر من الردهة، وكان بابها مواجهاً لباب حجرة السيدة زوجته. فتحت لنا الخادمة الباب مستخدمة المفتاح الاحتياطى، وبينما كانت على وشك الرحيل قال لها بوارو:

" لحظة واحدة، هل رأيت من قبل بين أغراض السيد أوبالسن بطاقة مثل هذه؟".

ومد يده حاملاً بطاقة بيضاء مصقولة ذات مظهر غير معتاد. تناولتها الخادمة وتفحصتها بتمعن:

" كلا يا سيدى. لا أعتقد أننى رأيت واحدة منها. لكن خدم الطوابق هم المعنيون أكثر بغرف السادة".

" فهمت، أشكرك".

أخذ منها بوارو البطاقة. ثم غادرت الخادمة وأخذ بوارو يتفكر قليلاً. ثم أصدر إيماءة قصيرة حادة من رأسه.

" أطرق الجرس من فضلك يا هاستنجز، ثلاث مرات، لكى يأتى خادم الطابق".

أطعته مدفوعاً بفضولى. وفى هذه الأثناء قام بوارو بإفراغ سلة المهملات على الأرضية، وبدأ يفتش فى محتوياتها برفق.

وفى خلال لحظات أتى الخادم رداً على الاستدعاء. ووجه له بوارو نفس السؤال، وناوله البطاقة كى يتفحصها. لكن إجابته لم تختلف. فهو لم ير مطلقاً بطاقة من هذه النوعية الخاصة بين أغراض السيد أوبالسن. شكره بوارو، ثم انصرف الخادم فى تردد، وهو ينظر

بعين متشككة لسلة المهملات المقلوبة والمهملات الملقاة على الأرضية. وبينما كان بوارو يعيد الأوراق الممزقة للسلة ثانية، لم أستطع منع نفسى من سماعه وهو يفكر بصوت عال قائلاً:

" القلادة مؤمن عليها بمبلغ كبير. ..".

صحت قائلاً:" فهمت ما تعنى يا بوارو".

رد بسرعة قائلاً:" كلا يا صديقى، إنك لم تفهمنى. وكالعادة أنت لا ترى ما يحدث حولك جيداً! شىء لا يصدق، دعنا الآن نعود إلى حجراتنا".

عدنا لحجراتنا فى صمت. وبمجرد وصولنا، ولدهشتى الشديدة وجدت بوارو قد غير ملابسه بسرعة.

ثم قال:" يجب أن أذهب إلى لندن الليلة، من الضرورى فعل ذلك".

" ماذا؟".

" بالقطع. إن العمل الحقيقى (ذلك الخاص بتلك الخلايا الرمادية الصغيرة الرائعة)، قد تم بالفعل. ولابد لى من الذهاب إلى هناك للتأكد. وسوف أجد القلادة المسروقة! من المستحيل خداع هيركيول بوارو!".

قلت وأنا مستاء من غروره:" سوف تفشل فشلاً ذريعاً فى إحدى المرات".

" لا تغضب من فضلك يا عزيزى. أرجو منك فقط أن تسدى لى خدمة. .. بدافع صداقتنا".

قلت فى حماس وقد شعرت بالخجل من شعورى السابق:" بالطبع، ماذا تريد؟".

" الأمر يخص أكمام معطفى الذى خلعته للتو. .. هلا نظفتها بالفرشاة ؛ فكما ترى هناك بعض التراب الأبيض عالق عليها. ولابد أنك قد رأتينى وأنا أخط بأصابعى فوق طاولة الزينة".

" كلا، لم أرك".

" لابد أن تلاحظ تصرفاتى جيداً يا صديقى. فهكذا تلوثت أصابعى بذلك التراب الناعم، ومن فرط حماسى مسحت يدى فى أكمامى، وهو عمل يفتقر تماماً إلى المنهجية، ويخالف كل مبادئى".

قلت وأنا غير مهتم بمناقشة مبادئ بوارو الآن:" لكن ما طبيعة هذا الغبار الناعم؟".

قال بوارو وهو يغمز بعينه:" ليس من سموم آل بورجيا الشهيرة بالطبع. إنه من الطباشير الفرنسى".

" طباشير فرنسى؟".

" أجل، إن صانعى الخزانات يستخدمونه ليسهلوا من فتح وقفل الأدراج".

ضحكت لكلامه هذا.

" يا لك من لئيم! كنت أحسبك ستقول شيئاً له أهمية".

" الوداع يا صديقى، سأمضى فى طريقى الآن!".

ثم غادر مغلقًا الباب خلفه وعلى وجهه ابتسامة تجمع بين الود العميق والسخرية. وهكذا أمسكت بمعطفه ومددت يدى لألتقط فرشاة الملابس.

2

فى الصباح التالى لم تأت أية أخبار من بوارو. فخرجت للتمشية قليلاً وقابلت بعض الأصدقاء القدامى وتناولت معهم طعام الغذاء فى الفندق. وفى الظهيرة ذهبنا فى جولة بالسيارات. لكن تأخرنا بسبب ثقب حدث فى أحد الإطارات، ولهذا عدت متأخراً، فى حوالى الثامنة، إلى فندق جراند متروبوليتان.

وكان أول ما وقعت عليه عيناى هو بوارو نفسه، وكان شكله أصغر من المعتاد، حيث كان واقفًا بين السيد والسيدة أوبالسن. وعلى وجهه كانت هناك ابتسامة هادئة هانئة.

تقدم لمقابلتى وقال:" عزيزى هاستنجز! مرحباً يا صديقى، فالأمر انتهى على نحو أكثر من رائع!"، واحتضننتنى.

لحسن الحظ لم يكن يعنى موضوع الاحتضان حرفيًا، فهو شىء ليس من طبيعة بوارو بالمرة.

قلت:" هل تعنى أن. ..".

قالت السيدة أوبالسن والابتسامة تعلوم وجهها البدين:" الأمر رائع حقًا، ألم أقل إنه ما لم يرجع هو لى تلك القلادة فلن يرجعها أحد غيرة؟".

" لقد قلت ذلك بالفعل يا عزيزتى، وكنت محقة فيه".

نظرت فى عدم فهم نحو بوارو والذى أجاب نظرتى بقوله:

" إن صديقى هاستنجز الآن يشعر بالحيرة وعدم الفهم. اجلس يا صديقى وسوف أقص عليك الأمر الذى انتهى نهاية سعيدة".

" انتهى؟".

" أجل، وألقى القبض على اللصوص".

" من تعنى بذلك؟".

" خادمة الغرفة وخادم الطابق! ألم تشك بهما؟ حتى مع تلك التلميحة التى أعطيتها لك بخصوص الطباشير الفرنسى؟".

" لقد قلت إن صانعى الخزائن يستخدمونه".

" بالطبع هم يفعلون، لكى يسهلوا من حركة الأدراج. ولقد أراد أحدهم أن تتحرك الأدراج بحيث تنفتح وتنغلق دون أى صوت. من ذلك الشخص؟ من الواضح أنها خادمة الغرفة. لقد كانت الخطة عبقرية بحق، بحيث إنها لم تكشف على الفور لأى شخص، حتى لهيركيول بوارو نفسه".

" اسمع، هكذا تم الأمر. لقد كان الخادم منتظراً فى الحجرة الخالية. وعندما غادرت الخادمة الفرنسية الحجرة، قامت خادمة الغرفة فى لمح البصر بفتح الدرج وأمسكت بعلبة المجوهرات وفتحت المزلاج ومررتها عبر الباب الفاصل بين الغرفتين، وقام الخادم بفتحها بنسخة من المفتاح صنعها لنفسه مسبقاً، ثم أخذ القلادة، انتظر مجدداً. وفور أن غادرت سيلستين الغرفة ثانية، قام بإرجاع العلبة ثانية للخادمة والتى وضعتها فى مكانها فى الدرج".

" ثم وصلت السيدة وتم اكتشاف السرقة. وطلبت خادمة الغرفة أن يتم تفتيشها، بكل عزة نفس، ثم غادرت الحجرة دون أن تشوبها شائبة. وتم وضع النسخة المقلدة من القلادة فى فراش الفتاة الفرنسية ذلك الصباح بواسطة خادمة الغرفة. .. جريمة كاملة كما يقولون!".

" لكن لماذا ذهبت إلى لندن؟".

" هل تذكر البطاقة؟".

" بالطبع، لقد حيرنى أمرها، ولا يزال يحيرنى. .".

ثم ترددت ونظرت نحو السيد أوبالسن.

ضحك بوارو ملء شدقيه.

" لقد كانت تلك خدعة نفذتها فى الخادم. إنها نوع خاص من البطاقات، مصمم للاحتفاظ ببصمات الأصابع. ولقد ذهبت على الفور إلى سكوتلانديارد، وطلبت مقابلة صديقى القديم المفتش" جاب" وسردت عليه الوقائع. وكما ظننت فقد كانت البصمات تدل على اثنين من سارقى المجوهرات المشاهير والمطلوب القبض عليهما منذ فترة. ولقد جاء" جاب" معى وتم القبض على اللصين وتم استعادة القلادة حيث كانت موجودة فى متعلقات الخادم. إنهما ثنائى ماهر، لكنهما كانا يفتقران إلى المنهجية. ألم أخبرك من قبل يا هاستنجز، ستة وثلاثين مرة على الأقل، بأنه بدون المنهجية. ..".

قاطعته قائلاً:" بل قل ستاً وثلاثين ألف مرة، لكن كيف كانت منهجيتهما فاشلة؟".

" عزيزى، لقد كانت خطة حاذقة منهما أن يحلا محل خادمة الغرفة وخادم الطابق، لكنهما أهملا عملهما. لقد تركا الحجرة الخالية دون تنظيف، وهكذا عندما وضع الرجل

علبة المجوهرات على الطاولة الصغيرة بجوار الباب، تركت علامة على التراب. ..".

صحت قائلاً:" أذكر ذلك".

" قبل ذلك لم أكن واثقًا مما حدث، لكن بعدما رأيت هذه العلامة تأكدت".

سادت لحظة صمت.

قالت السيدة أوبالسن كما لو كانت تردد فى جوقة موسيقية:" ولقد استعدت أنا قلادتى".

قلت:" حسنًا، من الأفضل تناول العشاء الآن".

واصطحبنى بوارو.

قلت له:" لابد أنك فخور بعملك هذا".

قال بوارو فى هدوء:" حسنًا، سوف يتقاسم كل من جاب والمحقق المحلى الثناء والتقدير، لكن"، ثم ربت على جيبه ،" لدىّ شيك هنا من السيد أوبالسن، ما رأيك يا صديقى؟ لم تسر الأمور هذا الأسبوع كما خططنا لها. هلا عدنا ثانية إلى هنا الأسبوع القادم، لكن على حسابى هذه المرة؟".

- 8 -

اختطاف رئيس الوزراء

1

الآن وقد أصبحت الحرب ومشكلاتها جزءا من الماضى، فإنى أعتقد أنه يمكننى أن أكشف للعالم دون أى شعور بالخوف الدور الذى لعبه صديقى بوارو فى واحدة من أحلك الأزمات القومية. لقد تم الحفاظ على السر تماما فلم تصل منه أى همسة إلى الصحافة. إلا أننى أعتقد وقد انتهت دواعى السرية أننى يمكننى أن أكشف للعالم بكل اطمئنان، الدور الذى لعبه صديقى بوارو. ويجب أن تعرف إنجلترا كم هى مدينة لصديقى الظريف الضئيل غريب الأطوار الذى استطاع بعقليته اللامعة أن يجنب البلاد كارثة عظيمة.

ففى إحدى الأمسيات ولن أحدد التاريخ، بل سأكتفى فقط بالإشارة إلى أنها كانت فى الفترة كان فيها" سلام المفاوضات" هو الجزرة التى يقدمها أعداء إنجلترا لها كنت أجلس مع بوارو فى منزله، (فبعد أن حصلت على إعفاء من الجيش تم تعيينى فى إحدى الوظائف) وصار من عادتى أن أمر بـ بوارو فى المساء بعد العشاء لكى نتكلم فى أية قضية من القضايا التى تكون بين يديه.

كنت أحاول أن أناقش معه الأنباء المثيرة التى أُعلنت اليوم عن محاولة اغتيال السيد ديفيد ماك آدم، رئيس وزراء إنجلترا. وقد بدا من الواضح أن المعلومات الواردة فى الصحف قد خضعت للرقابة بعناية شديدة فلم ترد أية تفاصيل سوى أن رئيس الوزراء استطاع النجاة بأعجوبة من رصاصة احتكت بوجنته.

اعتقدت وقتها أن جهاز شرطتنا كان مهملا بشكل مخز إلى الدرجة التى تسمح بحدوث هذه الإهانة، فإننى أستطيع أن أفهم من هذا أن العملاء الألمان سيكون عليهم فقط بذل المزيد من المجهود فى المرة القادمة لكى يحققوا هذا الإنجاز. لقد كان" ماك المحارب" وهو اللقب الذى يطلقه عليه أعضاء حزبه قد واجه، بكل جرأة ووضوح، التيار الداعى للسلام، الذى كان آخذا فى الصعود.

لقد كان ماك آدم أكثر من مجرد رئيس وزراء لإنجلترا؛ لقد كان إنجلترا نفسها، الأمر الذى جعل مسألة إخراجه من الصورة ضربة ساحقة لبريطانيا.

كان بوارو منشغلا بتنظيف بذلة رمادية بقطعة صغيرة من الإسفنج. فلم يكن هناك أكثر أناقة من هيركيول بوارو. فقد كان مهووساً بالنظام والدقة، والآن، وقد تعبق الجو برائحة البنزين، فإنه لم تكن هناك أية فرصة ليعيرنى انتباهه.

قال لى وهو يلوح بقطعة الإسفنج:" دقيقة وسأكون معك يا صديقى فقد قاربت على الانتهاء، بقعة الشحم هذه! ليست جيدة أبدا! هه! "

فابتسمت وأشعلت سيجارة أخرى.

سألته بعد برهة من الصمت: "هل أنت مشغول بأمر ما هذه الأيام؟ "

قال لى:" أساعد فى. .. لست أدرى كيف أصفها لك؟ أساعد تشارليدى فى العثور على زوجها، وهى مهمة صعبة تحتاج إلى الكثير من المهارة، و يخيل لى أنه لن يكون سعيدا إذا ما عثرت عليه. ما رأيك أنت؟" ثم تابع دون أن ينتظر إجابتى: "من جانبى أنا أشعر بالتعاطف معه، و أعتقد أنه كان من الحصافة بمكان أن يختفى!!".

ضحكت.

ثم هتف بوارو:" أخيرا! ذهبت بقعة الشحم! أنا الآن فى خدمتك".

قلت له:" كنت أسألك عن رأيك فى محاولة اغتيال ماك ادم".

أجاب بسرعة:" عبث أطفال!، من الصعب جدا على المرء أن يتعامل مع ما حدث بصورة جادة، فمحاولة الاغتيال بإطلاق النار من بندقية لا يمكن أن تنجح لأن هذه الوسائل قد بليت منذ زمن".

فذكرته قائلا:" لقد كاد الأمر أن ينجح هذه المرة. "

هز رأسه بنفاذ صبر وكاد أن يرد لولا أن أطلت مديرة المنزل برأسها من الباب وقالت له إن هناك سيدان مهذبان بالطابق السفلى يطلبان مقابلته، وأضافت:" إنهما لم يخبرانى باسميهما سيدى، ولكنهما قالا: إنه أمر هام".

قال بوارو وهو يطوى بنطال بذلته الرمادية:" دعيهما يدخلان".

لم تمض لحظات حتى دخل الزائران، وعندها كاد قلبى أن يقفز من صدرى. فقد تعرفت على أحدهما هو اللورد إيستير رئيس مجلس العموم. بينما كان الآخر السيد برنارد دودج، أحد أعضاء وزارة الحرب، والذى كان كما أعرف صديقا شخصيا لرئيس الوزراء.

قال اللورد إيستير: "مسيو بوارو؟" فانحنى صديقى فنظر ذلك الرجل العظيم إلى بتردد وقال:" إن مهمتى سرية".

لكن صديقى أشار إلىّ بالبقاء وقال للورد إيستير:" يمكنك الحديث بحرية أمام الكابتن هاستنجز" وتابع قائلا:" إننى أثق فى أمانته".

إلا أن لورد إيستير بقى على تردده لكن السيد دودج كسر تلك الحالة من التردد واندفع قائلا للورد:" أوه! لا داعى للمناورات، فكما أرى، فإن إنجلترا كلها ستعرف أننا كنا هنا خلال لحظات، الوقت هو كل شىء".

فقال بوارو فى أدب:" يمكنكما الجلوس"، ثم سأل اللورد إيسيتر:" هل يمكن أن تبدأ الحديث سيدى اللورد؟".

فسأله اللورد إيستير بهدوء:" هل تعرفنى؟".

فابتسم بوارو وقال:" بالتأكيد، إننى أقرأ بعض الصحف ذات الصور، فكيف لا أعرفك؟ "

هنا قال اللورد:" سيد بوارو، لقد جئت لكى أستشيرك فى موضوع على قدر كبير من العجلة ويتطلب سرية مطلقة".

رد صديقى بكبرياء: "لقد حصلتَ على كلمة بوارو ولا أستطيع أن أضيف المزيد!".

قال اللورد:" إن الأمر يتعلق برئيس الوزراء، ونحن فى مشكلة خطيرة".

وهنا تدخل السيد دودج فى الكلام قائلا:" نحن فى مأزق حقيقى!".

فسألت أنا:" كان الجرح خطيرا إذن؟".

" أى جرح؟".

قلت:" جرح الرصاصة".

رد السيد دودج فى ازدراء:" أوه! ذلك الأمر، لقد أصبح من التاريخ القديم".

والتقط لورد إيستير طرف الحديث قائلا:" وكما قال زميلى لقد انتهى هذا الأمر وتم التعامل معه، وقد فشل وإن كنت أتمنى لو أننى قلت نفس الشيء عن المحاولة الثانية".

فتساءل بوارو:" كانت هناك محاولة ثانية إذن؟".

أجاب لورد إيستير:" نعم وإن لم تكن من نفس نوعية المحاولة الأولى مسيو بوارو لقد اختفى رئيس الوزراء".

صحتُ أنا:" ماذا؟".

قال لورد إيستير:" لقد اختُطِفَ!".

صَرَخْتُ فى ذهول:" مستحيل!".

رمقنى بوارو بنظرة حادة عرفت أنه يطلب بها منى أن أبقى فمى مغلقا.

قال اللورد إيستير:" لسوء الحظ فعلى الرغم من أن ذلك يبدو مستحيلاً إلا أنه قد حدث".

نظر بوارو إلى السيد دودج وقال له:" لقد قلت الآن سيدى إن الوقت هو كل شىء هذه المرة، فماذا تعنى بذلك؟".

تبادل الرجلان النظرات ثم سأل لورد إيستير:" هل سمعت يا سيد بوارو عن مؤتمر الحلفاء الذى سوف يُعقد قريبا؟".

فهز صديقى رأسه إيجابا.

تابع اللورد قائلا:" لأسباب واضحة لم يتم إعلان أية تفاصيل عن مكان وموعد عقد المؤتمر. ولكن على الرغم من أن هذه التفاصيل لم تُنشر للصحف، إلا أنها بالطبع محددة ومعروفة فى الدوائر الدبلوماسية، ومن المفترض أن يعقد المؤتمر غدا الخميس مساءً فى فرساى، والآن، لعلك لاحظت خطورة الموقف ولا أخفى عليك أن حضور السيد رئيس الوزراء للمؤتمر هو ضرورة حتمية". وأضاف:" حملة السلام التى بدأها وحافظ على استمرارها عملاء الألمان بيننا تزداد قوة وتأثيرا ويرى الرأى العام العالمى أن حضور رئيس الوزراء للمؤتمر سيكون نقطة تحول، أى أن غيابه ربما يؤدى إلى نتائج خطيرة تتمثل فى سلام ناقص يشبه الكارثة، ولا يوجد لدينا من يحل محله فهو وحده القادر على أن يمثل إنجلترا".

بدت معالم الجدية على وجه بوارو وقال:" الآن يمكننا أن ندرك أن اختطاف رئيس الوزراء هو محاولة مباشرة لمنعه من حضور المؤتمر".

قال لورد إيستير:" أنا أرجح ذلك بقوة ؛ فقد كان فى طريقه لحضور المؤتمر".

فتساءل بوارو:" وهل سَيُعْقَدُ المؤتمر؟".

جاءه الرد:" نعم غدا فى التاسعة مساء".

أخرج بوارو ساعة كبيرة الحجم من جيبه وقال: " إنها الآن التاسعة إلا ربعا".

فقال السيد دودج:" 24 ساعة".

فأصلح له بوارو الحسبة وقال:" وربع، لا تنس الربع يا سيدى فربما كان مفيدا. والآن إلى التفاصيل، هل وقع الاختطاف فى إنجلترا أم فى فرنسا؟".

رد لورد إيستير:" فى فرنسا، فقد عبر السيد ماك آدم البحر إلى فرنسا هذا الصباح وكان من المقرر أن يبيت الليلة فى ضيافة قائد الجيش ثم يواصل طريقه غدا إلى باريس، ولقد أقلته إحدى المدمرات عبر القنال الإنجليزى، وعندما وصل إلى بولونيا كان فى انتظاره سيارتان: إحداهما من رئاسة الأركان الإنجليزية والأخرى من قيادة قوات الحلفاء".

قال بوارو طالبا المزيد من التفاصيل:" حسناً جيد!".

فتابع لورد إيستير:" لقد انطلقتا من بولونيا، إلا أنهما لم تصلا أبدا".

تساءل بوارو:" ماذا؟".

قال لورد إيستير:" مسيو بوارو لقد كانت هناك سيارة مزيفة ؛ فقد تم العثور على سيارتنا الحقيقية على جانب أحد الطرق وطاقمها مقيد اليدين".

فسأل بوارو:" والسيارة المزيفة".

جاءه الرد:" لا تزال طليقة".

ظهرت على بوارو علامات نفاد الصبر وصاح:" مذهل، لكنها بالتأكيد لن تظل بعيدة عن الأنظار لفترة طويلة".

فقال لورد إيستير:" هذا ما نعتقده أيضا، فالمسألة لا تتطلب أكثر من بحث دقيق ؛ فهذا الجزء من فرنسا يخضع للحكم العسكرى ونحن على قناعة بأن السيارة لن تبقى بعيدة عن الأنظار لفترة طويلة، فالشرطة الفرنسية وجهاز سكوتلانديارد البريطانى والعسكريين فى أقصى حالات الاستنفار. إن الأمر كما تقول مذهل، إلا أنه للآن لم يتم اكتشاف أى شيء".

فى هذه اللحظة تصاعد صوت دقات على الباب، ودخل ضابط شاب معه مظروف ثقيل مغلق سلمه إلى لورد إيستير وقال له:" لقد جاء حالا من فرنسا، سيدى، وقد أحضرته إلى هنا كما أمرت".

فتح اللورد الخطاب بلهفة ثم ندت عنه لفظة تعجب فيما كان الضابط قد خرج.

قال اللورد:" لقد جاءت الأنباء أخيرا! لقد تم فك شفرة هذه البرقية حالا وتقول إنهم عثروا على السيارة الثانية وقد كان السكرتير دانييلز مخدرا ومقيدا أيضا فى مزرعة مهجورة بالقرب من المنطقة (سى) هو لا يذكر شيئا إلا أنه شعر بأنه يكمم من الخلف وقد جاهد لكى يتخلص من قيوده، ويبدو أن الشرطة تطمئن إلى كلامه".

سأل بوارو:" ألم يجدوا شيئا آخر؟".

فكان الرد:" لا".

فعاد بوارو يسأل:" ولا حتى جثة رئيس الوزراء؟ إذن لا يزال هناك أمل. إلا أن هناك أمرا غريبا، وهو: لماذا بذلوا كل هذا الجهد للحفاظ عليه حيا بعدما حاولوا اغتياله فى الصباح؟".

هز دودج رأسه وقال:" هناك أمر واحد فقط مؤكد وهو أنهم يبذلون كل ما بوسعهم لمنعه من حضور المؤتمر".

قال بوارو:" إذا لم يكن رئيس الوزراء قد مات فإنى أعتقد أنه سوف يحضر هذا المؤتمر, وآمل من الله ألا يكون استنتاجى هذا متأخرا جدا". ثم التفت إلى الزائرين وقال لهما:" والآن سيداى أعطيانى كل التفاصيل منذ البداية إننى يجب أن أطلع على مسألة إطلاق النار أيضا".

قال لورد إيستير:" الليلة الماضية كان رئيس الوزراء بصحبة أحد أفراد طاقم سكرتاريته وهو الكابتن دانييلز. ..".

قاطعه بوارو متسائلا:" هل هو نفس الشخص الذى رافقه إلى فرنسا؟".

أجاب لورد إيستير:" نعم، وكما كنت أقول فقد توجها بالسيارة إلى وندسور، حيث كان رئيس الوزراء يحضر لقاءاً جماهيرياً، ثم عاد فى الصباح إلى المدينة، وفى طريق عودته وقعت محاولة الاغتيال".

قال بوارو:" لحظة سيدى إذا تكرمت، من هو كابتن دانييلز؟ هل لديك ملفه؟".

ابتسم لورد إيستير وقال:" لقد توقعت أن تسألنى سؤالا مثل هذا. نحن لا نعرف الكثير عنه، فهو ليس من عائلة معروفة، وعندما كان يخدم فى الجيش كان نموذجا للسكرتير الكفء. كما أنه محلل لغوى بارع، وأعتقد أنه يجيد 7 لغات، ولهذا السبب اختاره رئيس الوزراء لكى يرافقه إلى فرنسا".

سأل بوارو:" هل كان لديه أى أقارب فى إنجلترا؟".

قال لورد إيستير:" له عمتان: الأولى هى السيدة إيفرارد وهى تعيش فى هامستيد والثانية الآنسة دانييلز وتعيش قرب آسكوت".

فتساءل بوارو قائلا:" آسكوت؟ إنها قريبة من وندسور، أليس كذلك؟".

قال اللورد إيستير:" لم يتم فحص هذه النقطة لكنها لا تقود إلى شىء".

عاد بوارو يسأله:" هل تعتقد، إذن، أن كابتن دانييلز فوق مستوى الشبهات؟".

تسلل نوع من الحدة فى صوت لورد إيستير وهو يجيب:" لا يا مسيو بوارو، فى هذه الظروف على أن أفكر ملياً قبل أن أقول إن أى شخص فوق مستوى الشبهات".

هنا قال بوارو:" جيد جدا، أفهم الآن أن رئيس الوزراء، سيدى اللورد، كان تحت حماية أمنية مشددة مما يجعل استهدافه مسألة مستحيلة؟".

خفض لورد إيستير رأسه وقال:" تماماً، لقد كانت سيارة رئيس الوزراء تسير وخلفها مباشرة سيارة بها عدد من المخبرين فى ثياب مدنية، ولم يكن السيد ماك آدم يعلم أى شيء عن تلك الحماية لأنه كان رجلا لا يخاف، وكان سيمنعهم من القيام بتلك المهمة لو أنه عرف بها إلا أن الشرطة قامت بمهامها الاعتيادية. وفى الواقع كان سائق رئيس الوزراء هو أو ميرفى من سكوتلانديارد".

قال بوارو متسائلا:" أو ميرفى؟ هذا اسم من أيرلندا، أليس كذلك؟ "

رد لورد إيستير:" نعم، إنه أيرلندي".

سأله بوارو مجددا:" من أى منطقة؟".

أجابه لورد إيستير:" كاونتى كلير، على ما أعتقد".

هتف بوارو:" هكذا إذن! لكن استمر سيدى اللورد".

فتابع لورد إيستير روايته وقال:" بدأ رئيس الوزراء رحلته من لندن واستقل السيارة مع الكابتن دانييلز، وكانت سيارته من النوع المغطى. وقد سارت السيارة الثانية خلفهم كالمعتاد، إلا أنه لسوء الحظ، ولسبب غير معروف، خرجت سيارة رئيس الوزراء عن الطريق الرئيسي".

قاطعه بوارو متسائلا:" عند نقطة بها منحنى؟".

أجابه لورد إيستير:" نعم، ولكن كيف عرفت؟".

صاح بوارو:" هذا واضح! أكمل!".

تابع لورد إيستير روايته:" ولسبب غير معروف، كذلك، تركت سيارة رئيس الوزراء الطريق الرئيسى وواصلت سيارة الشرطة طريقها إلى الطريق السريع غير عالمة بالانحراف الذى حصل فى خط سير سيارة رئيس الوزراء، وبعد مسافة قصيرة فى ذلك الطريق، غير المعتاد، تم اعتراض سيارة رئيس الوزراء على يد مجموعة من الرجال المقنعين، أما السائق. .."

تمتم بوارو مقاطعا وهو يفكر:" أو ميرفى الشجاع!".

عاد لورد إيستير ليواصل الحكاية وقال:" تمالك السائق نفسه فى لحظتها وتشبث بالفرامل، بينما أخرج رئيس الوزراء رأسه من النافذة، وبمجرد أن فعل ذلك انطلقت رصاصة، ثم أخرى، فاحتكت إحداهما بوجنته، أما الثانية فقد مرت بعيدا لحسن الحظ، ولما أدرك السائق الخطر المحيط بهم اندفع بسيارته وسط الرجال المقنعين مفرقا إياهم".

فقلت بصوت مرتعش:" لقد نجا بمعجزة".

تابع لورد إيستير قائلا:" لم يرد السيد ماك آدم أن يثير أية ضجة بسبب الجرح البسيط الذى أصيب به وقال إنه مجرد خدش، ثم توقف فى أحد المستشفيات الريفية، حيث تم تضميد الجرح وأثناء ذلك لم يكشف عن هويته بالطبع ثم توجه كما كان مخططا إلى شيرنج كروس حيث كان ينتظره قطار خاص لكى يقله إلى دوفر، وبعد أن أعطى الكابتن دانييلز تقريرا مختصرا لرجال الشرطة القلقين عما جرى توجه رئيس الوزراء إلى فرنسا كما كان مخططا من قبل، فمن دوفر انتقل إلى فرنسا على متن المدمرة التى كانت تنتظره، وفى بولونيا قابلته السيارة المزيفة التى كانت تحمل علم الاتحاد البريطانى وكل ما يدل على أنها السيارة الحقيقية".

سأله بوارو:" هل هذا هو كل ما لديك لتخبرنى به؟".

رد لورد إيستير:" نعم".

عاد بوارو يسأله:" ألا توجد أية ملابسات حذفتها سيدى اللورد؟".

قال اللورد:" حسنا هناك شيء آخر ملفت للنظر".

تساءل بوارو:" نعم؟".

فأجابه اللورد قائلا:" لم تعد سيارة رئيس الوزراء بعد أن تركته فى شيرنج كروس وكان رجال الشرطة يريدون استجواب أو ميرفى فى أية لحظة لذلك بدأت عملية بحث سريعة وتم العثور على السيارة متوقفة قرب مطعم صغير فى سوهو معروف عنه أنه ملتقى عملاء الألمان".

سأل بوارو:" والسائق؟".

فأجابه اللورد:" لم يتم العثور عليه فى أى مكان، لقد اختفى هو أيضاً".

قال بوارو وهو يفكر:" هكذا هناك حالتا اختفاء رئيس الوزراء و أوميرفى فى لندن" إذن، لدينا حالتا اختفاء: رئيس الوزراء فى فرنسا، و أوميرفى فى لندن".

ثم نظر بتمعن إلى لورد إيستير الذى ندت عنه إشارة تدل على اليأس عندما قال.

" كل ما يمكننى أن أقوله لك مسيو بوارو هو أنه إذا ما قال لى أحد بالأمس إن أو ميرفى خائن كنت سأسخر منه".

" واليوم؟".

رد اللورد:" اليوم لا أستطيع أن أقرر".

أومأ بوارو برأسه فى جديه، ثم نظر إلى ساعته مرة أخرى وقال:" أعتقد يا سيداى أننى الآن أمتلك تصريحاً مفتوحاً بمعنى أننى أستطيع أن أتوجه إلى حيث أريد وبالطريقة التى أريدها".

قال اللورد:" تماماً، فهناك قطار خاص سيغادر إلى دوفر بعد ساعة من الآن وعلى متنه فرقة من رجال سكوتلانديارد، وسيكون بصحبتك ضابط ورجل من سكوتلانديارد سيضعان نفسيهما تحت تصرفك بكل الوسائل، هل يرضيك ذلك؟".

أجابه بوارو:" جدا". ثم قال:" سؤال آخر قبل أن تغادرا، ما الذى دفعكما إلى المجئ إلى؟ أنا غير معروف، ولم يسمع بى أحد فى مدينتكم الكبيرة لندن؟".

" لقد تمت تزكيتك لدينا من قِبَل رجل عظيم ينتمى لنفس بلدتك".

" من؟ أهو صديقى القديم بريفيت؟".

هز لورد إيستير رأسه وقال:" بل شخص أعلى مكانة، كانت كلمته يوما ما تمثل القانون فى بلجيكا، وهو الأمر الذى سيعود كسابق عهده! لقد أقسمت إنجلترا على ذلك!".

فرفع بوارو يديه بالدعاء وقال:" آمين! إن الله لا ينسى" ثم استطرد قائلا: "سيداى، أنا هيركيول بوارو سأخدمكما بكل إخلاص، وأتمنى أن تكون السماء قد أرسلتكما لى فى الوقت المناسب إلا أنه ذلك الظلام. .. الظلام. .. أنا لا أستطيع أن أرى!".

وبمجرد أن أُغْلِقَ الباب خلف المسئولَيْن قلت لبوارو بصبر نافد: "حسنا بوارو! ماذا ترى الآن؟".

قال بوارو:" لست أدرى ماذا أقول، لقد فرّ عقلى منى".

قلت حائرا:" إننى أتساءل كما تتساءل أنت أيضاً لماذا كما تقول قاما باختطافه فى حين كانت ضربة على الرأس كافية لإتمام المهمة؟ "

لكن بوارو قال:" معذرة يا صديقى لكننى لم أقل ذلك تحديدا، إن الأمر أبعد من أن يكون مجرد مخطط لاختطافه".

سألته:" لكن لماذا؟".

قال:" لأن عدم اليقين يؤدى إلى الذعر، هذا هو السبب. فإذا كان رئيس الوزراء قد مات فإن ذلك سيكون مصيبة كبيرة، إلا أن الموقف ستتم مواجهته وقتها، أما الآن فنحن فى حالة شلل ؛ هل سيظهر رئيس الوزراء مرة أخرى أم لا؟ هل هو حى أم ميت؟ لا أحد يعلم. وإلى أن نصل إلى أمر مؤكد فلا شيء يمكن عمله، وكما قلت لك فإن الشك يولد الذعر، ثانيا: إذا كان الخاطفون يحتفظون به حيا فى مكان ما، فإنهم قادرون على التحاور مع الطرفين. وعلى الرغم من أن القاعدة تقول إن الحكومة الألمانية لا تدفع أية أموال إلا إنها يمكن فى هذه الحالة أن تدفع مبلغا محترماً". وأضاف قائلا:" ثالثا إنهم لا يبدون أى خوف من حبل المشنقة ؛ فالاختطاف عملهم".

سألته:" طالما أن الأمر هكذا، لماذا حاولوا فى البداية أن يطلقوا عليه النار؟".

ظهرت على بوارو علامات الغضب وقال:" آه! هذا بالضبط هو ما لا أفهمه، إنه أمر غامض، إنه غباء! لقد أعدوا الترتيبات لعملية الاختطاف (وهى ترتيبات جيدة بالفعل!) ثم يفسدون كل شيء بهجوم ميلودرامى أشبه بالأفلام السينمائية. لا يمكن لأى عقل أن يقبل حدوث هجوم من جانب رجال مقنعين على بعد 20 ميل من لندن!".

قلت له:" لعلهما محاولتان منفصلتان جرت كل منهما بمعزل عن الأخرى".

رد قائلا:" لا! إن هذا الأمر يتجاوز حدود المصادفة! ثم، بخلاف ذلك، من هو الخائن؟ يجب أن يكون هناك خائنا، فى الحالة الأولى هل هو دانييلز أم أو ميرفى؟ يجب أن يكون هذا الخائن واحدا منهما، ثم لماذا تركت السيارة الطريق الرئيسى؟ لا يمكن أن نفترض أن رئيس الوزراء متورط فى اغتيال نفسه! هل خرج أوميرفى عن الطريق من نفسه، أم أن دانييلز هو من طلب منه ذلك؟".

قلت:" بالتأكيد هذا الأمر هو من فعل أوميرفى".

أَمّنَ على كلامى بالقول:" نعم، لأنه إذا كان دانييلز هو من طلب من أوميرفى أن يفعل ذلك، فإنه لا بد أن يكون رئيس الوزراء قد سمعه. وكان سيسأله، بالتأكيد، عن سبب ذلك"، وصمت قليلاً ثم تابع: "لكن هناك الكثير من علامات الاستفهام فى هذا الموضوع، وكلها تتعارض مع بعضها البعض. فإذا كان أوميرفى رجلا شريفا فلماذا ترك الطريق الرئيسى؟ وإذا لم يكن رجلا شريفا فلماذا انطلق بالسيارة بعدما أُطْلِقَتْ الرصاصتان وهو يعرف أنه بتصرفه ذلك سيتسبب غالبا فى إنقاذ رئيس الوزراء؟ ومرةً ثانية إذا كان رجلا شريفا فلماذا غادر مسرعا إلى شيرنج كروس وترك السيارة فى مكان معروف عنه أنه ملتقى لعملاء الألمان؟".

قلت:" يبدو الأمر سيئا".

قال لى:" دعنا ننظر إلى الأمر بالطريقة المنهجية، ما الذى نملكه مع أو ضد هذين الشخصين؟ والآن فلنبدأ بأوميرفى إن هناك بعض الأشياء ضده، وهى أن مغادرته الطريق الرئيسى تمت بصورة مثيرة للشكوك، كما أنه أيرلندى من كاونتى كلير إلى جانب أنه اختفى بطريقة توحى بالكثير. أما الأشياء التى تأتى فى صالحه فهى مسارعته بالفرار بالسيارة منقذا حياة رئيس الوزراء بالإضافة إلى أنه من رجال سكوتلانديارد ومن خلال تاريخه يظهر أنه من العملاء الموثوق فيهم". وصمت ثم تابع:" والآن، فلننتقل إلى دانييلز ؛ ليس هناك الكثير ضده ما عدا عدم معرفة الكثير عن أصوله، إلى جانب تحدثه بالكثير من اللغات، الأمر الذى يبدو غريبا بالنسبة لرجل إنجليزى!" وقال لى فى لهجة اعتذار:" معذرة، يا صديقى، ولكن حالتكم مثيرة للأسى فيما يتعلق بإجادة اللغات!" وتابع حديثه قائلا:" أما بالنسبة للأشياء التى فى صالحه، فهى أننا عثرنا عليه مكمماً ومقيداً ومخدراً، الأمر الذى يجعله بعيدا عن الشبهات".

قلتُ لبوارو:" ربما يكون قد قيد وكمم نفسه ليبعد نفسه عن الشبهات؟".

هز بوارو رأسه نفيا وقال:" لا يمكن أن تقع الشرطة الفرنسية فى هذا الخطأ، إلى جانب أنه لا داعى لبقائه بعدما انتهت المهمة بنجاح، وتم اختطاف رئيس الوزراء. وإذا كان شركاء دانييلز قد تركوه وراءهم لسبب ما، فإننى أعجز حاليا عن معرفة ذلك السبب، لكن ربما يكونون قد تركوه لكى يراقب تطورات الأمور بعد الحادث".

تساءلت:" ربما يرمى إلى أن تبدأ الشرطة تحقيقاتها من معطيات غير صحيحة؟".

رد بوارو بسؤال آخر:" ولماذا لم يفعل ذلك من البداية؟ لقد قال إنه قد تم تكميمه وهو لا يتذكر أى شيء أكثر من ذلك وبالتالى فلا يوجد أى شيء مضلل فى ما قاله، بل إن ما يقوله يبدو أنه الحقيقة بعينها".

قلت وأنا أتطلع إلى الساعة:" حسنا! أعتقد أنه علينا الذهاب فوراً الى المحطة، فربما وجدت بعض المزيد من مفاتيح الحل فى فرنسا".

قال فى تشكك:" ربما يا صديقى إلا أننى أشك فى ذلك، فالأمر لا يزال يبدو بالنسبة لى مثيرا للذهول، فكيف لم يتم العثور على رئيس الوزراء فى هذه المنطقة المحدودة التى يصعب جدا أن يتم إخفاؤه بها؟" ثم قال فى حيرة:" إذا كان الجيش والشرطة فى بلدين قد عجزا عن الوصول إليه، فكيف سأفعل أنا هذا؟".

فى شيرنج كروس التقينا بالسيد دودج وقدم لنا شخصين وقال مخاطبا بوارو: "هذا بارنيز ضابط المباحث من سكوتلانديارد، وهذا الميجور نورمان، وهما من الآن تحت تصرفك الكامل، أتمنى لكم التوفيق، إنها مهمة صعبة، إلا أننى لم أفقد الأمل كلية" وأردف قائلا:" يجب أن أرحل الآن" ثم سارع بالانصراف.

أخذنا نتجاذب أطراف الحديث مع الميجور نورمان، ثم لمحت وسط مجموعة قليلة من الناس رجلاً يشبه وجهه وجه الفأر، قد أخذ يتحدث إلى رجل أشقر طويل القامة. كان الرجل الذى يشبه وجهه وجه الفأر هو المفتش جاب، أحد الأصدقاء القدامى لبوارو وأبرز مفتشى سكوتلانديارد. ولما لمحنا سارع بالانضمام إلينا وصافح صديقى بوارو بحرارة.

وبدأ جاب بالقول:" لقد علمت أنك أيضا تعمل فى تلك المهمة، لقد استطاعوا الفرار بالبضاعة إلا أننى لا أعتقد أنهم سيقومون بإخفائها لفترة طويلة، فرجالنا الآن يقومون بتمشيط فرنسا، وكذلك الفرنسيون. وبالتالى أستطيع أن أؤكد أن المسألة مسألة وقت فحسب".

قال المفتش طويل القامة فى أسى:" هذا إذا كان لا يزال على قيد الحياة".

تغير لون وجه المفتش جاب وقال:" نعم. .. ولكن إلى حد ما، لدىّ إحساس أنه لا يزال على قيد الحياة".

هز بوارو رأسه وقال: "نعم نعم! إنه على قيد الحياة، ولكن هل نصل إليه فى الوقت المناسب"، وقال مخاطبا جاب" أنا مثلك تماما أؤمن أنه لا يزال على قيد الحياة".

فى هذه اللحظة تعالى صوت صافرة القطار فأسرعنا إلى مقصورتنا، ثم بدأ القطار يهتز ويتحرك ببطء مغادرا المحطة.

كانت رحلة غريبة. لقد تجمع رجال سكوتلانديارد معا، وفُرِدَتْ أمام أعينهم خرائط شمال فرنسا، وبدأت أصابعهم تجرى على مواضع الطرق والقرى. وكان لكل رجل منهم رؤيته لما جرى لكن بوارو لم يثرثر معهم على خلاف عادته، وقبع فى مقعده يحدق فيما أمامه وقد ارتسم على وجهه تعبير ذكرنى بملامح الطفل الذى يحاول حل إحدى الفوازير، أما أنا فقد أخذت فى التحدث إلى نورمان الذى وجدته رفيقا طيب المعشر.

ولما وصلنا إلى دوفر أخذ سلوك بوارو يثير دهشتى فقد أمسك هذا الرجل الصغير بذراعى عندما صعدنا إلى سطح القارب وقال فى يأس بينما الريح تعربد فى الأجواء:" يا إلهى! هذا مرعب!".

صحت فيه:" كن شجاعا يا بوارو! ستنجح! ستجده! أنا متأكد من ذلك".

فأوضح لى الأمر قائلا:" آه يا صديقى! إنه هذا البحر السخيف الذى أثار توترى إنه دوار البحر! إنه أمر مرعب للغاية!".

قلت متراجعا عن حدتى:" أوه!".

وبمجرد أن بدأت أولى أصوات المحرك فى التعالى أخذ بوارو فى التأوه وقد أغلق عينيه.

قلت له:" إن الميجور نورمان لديه خريطة لشمال فرنسا إذا كنت تريد أن تطلع عليها".

لكنه هز رأسه فى ضيق وقال:" لا! لا! اتركنى يا صديقى، يجب أن أتغلب على ذلك لأن المعدة والعقل يجب أن يعملا معا فى تناسق، إن لافيرجويه لديه طريقة للتغلب على دوار البحر بأن تأخذ شهيقا وزفيرا ببطء وتدير رأسك من اليسار إلى اليمين وتعد حتى 6 بين كل نفس وآخر".

تركته يقوم بما قال لى وتوجهت إلى سطح المركب.

ولما وصلنا إلى ميناء بولونيا، ظهر بوارو مهندما ومبتسما، وقال لى هامسا:" إن طريقة لافيرجويه نجحت إلى حد مذهل!".

كانت أصابع جاب لا تزال تجرى على الخطوط التى تمثل الطرق على الخريطة ثم قال: "هراء! السيارة بدأت هنا من بولونيا ثم خرجت عن الطريق الرئيسى هنا" وأشار بإصبعه إلى مكان فى الخريطة وتابع: "الآن فكرتى تقول إنهم نقلوا رئيس الوزراء إلى سيارة أخرى، انظروا".

قال رجل المباحث الطويل:" حسنا! إننى أرجح أنهم هرّبوه عبر البحر فهناك احتمال بنسبة 10 إلى 1 أن يكونوا قد هربوه على ظهر إحدى السفن".

هز جاب رأسه موافقا على ذلك وقال:" هذا واضح جدا، ولقد صدرت الأوامر فى الحال بإغلاق كل الموانئ".

كان اليوم على وشك أن يبدأ عندما وصلنا إلى البر فى ميناء بولونيا، وهنا أمسك نورمان ببوارو من ذراعه وقال له:" إن هناك سيارة عسكرية تنتظرك سيدى".

إلا أن بوارو قال له:" شكرا يا سيدى ولكننى لم أقرر حتى هذه اللحظة أن أترك بولونيا".

سأله نورمان فى دهشة:" ماذا؟".

أجابه بوارو:" سوف ندخل الفندق المجاور للرصيف".

ثم قرن القول بالفعل وتوجه إلى الفندق وطلب غرفة خاصة فتبعناه نحن الثلاثة وقد سادتنا حالة من عدم الفهم والحيرة.

نظر بوارو إلينا نظرة خاطفة وقال: "أعلم أن المخبر الجيد لا يتحرك ببطء هكذا، أليس كذلك؟ لقد وصلنى ما تفكرون فيه، يجب أن يكون المخبر الجيد مليئا بالحيوية. يجب أن يجرى هنا وهناك، يجب أن يجثو على ركبتيه فى التراب على الطريق ويفحص إطارات السيارات بعدسة مكبرة، ويجب أن يجمع أعقاب السجائر وأعواد الثقاب المتساقطة، هذا هو ما تفكرون به، أليس كذلك؟".

ثم نظر إلينا بعينين متحديتين وقال:" لكننى أنا هيركيول بوارو أقول لكم إن ذلك ليس صحيحاً" وقال مشيرا إلى رأسه" إن مفاتيح حل اللغز تكمن هنا" وتابع: "سأقول لكم! لقد كنت أحتاج الآن إلى أن أكون فى غرفتى فى لندن، فالأمر كله يأتى من تلك الخلايا الرمادية الصغيرة فى رأسى، فهذه الخلايا تقوم بدورها فى هدوء وبكل سرية إلى أن أطلب منكم فجأة خريطة وأضع إصبعى على بقعة ما منها، وأقول لكم إن رئيس الوزراء هناك! هذه هى الطريقة السليمة!" وصمت قليلا ثم قال:" باستخدام الأسلوب المنهجى والمنطق يمكننا أن ننجز أى شىء! لقد كان الإسراع بالتوجه إلى فرنسا خطأ. فقد بدا الأمر وكأنه لعبة، إلا أننى، منذ الآن، سوف أتبع الطريقة الصحيحة على الرغم من أن ذلك قد يكون متأخرا جدا، والآن، التزموا الهدوء، يا أصدقائى، وألتمس منكم العذر!".

ولمدة 5 ساعات، جلس هذا الرجل الصغير بلا حراك يرمش بجفنيه مثل القطط، وبدت عيناه الخضراوان كما لو كانتا تزدادان اخضرارا. وبينما أخذ رجل سكوتلانديارد ينظر إلى ما يجرى باستخفاف، ظهرت على وجه الميجور نورمان علامات الضجر، بينما شعرت أنا نفسى بالوقت يمر ببطء قاتل.

وفى النهاية نهضت وتوجهت بأقصى قدر من الهدوء إلى النافذة وأخذت أتابع بكسل خروج السفن من الميناء، وأعمدة الدخان التى تصاعدت من السفن الراسية على الرصيف البحرى.

ثم انتبهت فجأة على صوت بوارو وهو يقول:" أصدقائى! هيا نبدأ!".

ولما استدرت لاحظت تغيرا كبيرا فى ملامح صديقى فقد أخذت عيناه تتألقان بالإثارة، بينما انتفخ صدره فى خيلاء.

وقال لنا:" لقد كنت أبله يا أصدقائى، لكننى استطعت أخيرا أن أبصر الضوء!".

اندفع الميجور نورمان إلى الباب وهو يقول:" سأطلب سيارة".

لكن بوارو قال له: "شكرا لك لن نحتاج إليها، والحمد لله أن الرياح قد هدأت".

سألته:" هل يعنى ذلك أننا سوف نمشى يا سيدى؟".

قال لى:" لا يا صديقى الشاب! أنا لست سان بيتر! سوف نعبر البحر بالقارب!".

جاءه سؤال: "سنعبر البحر؟!".

أجاب بوارو:" نعم! لكى نتبع الأسلوب المنهجى يجب أن ننطلق من نقطة البداية، ونقطة البداية فى هذه القضية هى إنجلترا لذلك سنعود إلى إنجلترا".

2

فى الساعة الثالثة وقفنا من جديد على رصيف شيرنج كروس، ولقد أصم بوارو أذنيه عن كل محاولاتنا لإقناعه بأن العودة إلى إنجلترا هى إهدار للوقت، وأصر على أن ذلك هو الطريق الصحيح لكشف الغموض، فى الطريق أخذ بوارو يتحدث مع نورمان فى صوت خفيض فيما كان هذا الأخير يقوم بإرسال بعض البرقيات من محطة دوفر.

وبفضل الصلاحيات الخاصة التى كان يتمتع بها نورمان فقد استطعنا الذهاب إلى كل مكان نريده فى وقت قياسى، وفى لندن كانت تنتظرنا سيارة عسكرية كبيرة بداخلها عدد من الرجال فى زى مدنى وقد سارع واحد منهم بإعطاء صديقى بوارو ورقة عليها كتابة بالآلة الكاتبة.

وفهم بوارو نظراتى فسارع بالإجابة عما بها من تساؤلات وقال:" هذه ورقة بها أسماء المستشفيات الريفية المتخصصة فى العظام والتى تقع غرب لندن لقد طلبت إعدادها أثناء وجودنا فى دوفر".

ثم بدأنا فى السير بسرعة فى شوارع لندن، فمررنا بطريق باث، ثم توجهنا إلى هامرسميث، وبعدها إلى تشيسويك وبرنتفورد، وهنا بدأت أدرك هدفنا. فبعدما مررنا بوندسور ثم آسكوت قفز قلبى فى صدرى. ففى آسكوت تعيش عمة لدانييلز وهنا عرفت أننا نسعى وراء دانييلز لا وراء أوميرفى.

وتوقفنا عند باب فيلا أنيقة، فقفز بوارو من السيارة ورن جرس الباب، ولاحظت عندها أنه قطب حاجبيه بصورة تنم عن عدم الرضا. ولما انفتح الباب دخل بسرعة وغاب للحظات قلائل ثم عاد من جديد وقفز داخل السيارة وهو يهز رأسه هزة سريعة قصيرة، وقتها ماتت كل الآمال فى قلبى. فحتى وإن كان بوارو قد حصل على دليل ضد دانييلز فما فائدته إذا لم يكن يمنحنا القدرة على استجواب شخص ما يمكنه أن يدلنا على المكان الذى يتم فيه احتجاز رئيس الوزراء فى فرنسا؟

كانت رحلة عودتنا إلى لندن متقطعة نوعا ما. فقد انحرفنا عن الطريق الرئيسى لأكثر من مرة، كما توقفنا ذات مرة عند أحد المبانى الصغيرة الذى لم أجد صعوبة فى أن أدرك أنه أحد المستشفيات الريفية. وفى كل مرة كان بوارو يمكث دقائق قليلة، إلا أنه بعد كل فترة توقف كنت أشعر أنه بدأ يستعيد الكثير من ثقته.

ثم همس بوارو بشيء إلى نورمان الذى أجابه قائلا:" نعم إذا استدرت ناحية اليسار فسوف تجدهم متوقفين عند الجسر".

بعدها دخلنا فى طريق فرعى، وفى ضوء الشمس الغاربة استطعت أن أرى سيارة أخرى متوقفة على جانب الطريق وكان بها رجلان بثياب غير رسمية، فترجل بوارو من سيارته وتبادل معهما حديثا قصيرا، ثم توجهنا بسيارتنا بعد ذلك إلى الشمال، وقد تبعتنا السيارة الأخرى على مقربة منا.

استغرقت الرحلة بعض الوقت. وبدا من الواضح أننا فى طريقنا إلى إحدى ضواحى لندن الشمالية، توقفنا عند باب منزل عالى البناء يقع قريبا من الطريق.

بقينا نورمان وأنا، فى السيارة، بينما توجه بوارو وأحد رجال المباحث إلى المنزل وقرعا الجرس، ففتحت الباب خادمة أنيقة المظهر، فقال لها رجل المباحث:" أنا من الشرطة ولدىّ أمر بتفتيش المنزل".

ندت عن الفتاة صرخة قصيرة ثم، ظهرت امرأة قصيرة حسنة المظهر فى أواسط العمر خلفها فى ردهة المنزل وقالت للخادمة:" أغلقى الباب يا إديث فأنا أشك فى أنهم لصوص".

إلا أن بوارو منع إغلاق الباب بحركة سريعة من قدمه ثم أطلق صافرة اندفع بعدها باقى رجال الشرطة إلى داخل المنزل وأغلقوا الباب خلفهم.

قضيت مع نورمان 5 دقائق ونحن نلعن تقاعسنا. وفى النهاية فُتِح الباب، وظهر الرجال ومعهم 3 معتقلين ؛ رجلان وامرأة. ذهبت المرأة ورجل منهما إلى السيارة، الثانية بينما جاء بوارو بنفسه بالرجل الثانى إلى سيارتنا.

قال لى بوارو:" سوف أستقل السيارة الثانية، ولكن عليك أن تعتنى بهذا الرجل، أنت لا تعرفه أليس كذلك؟ حسنا! دعنى أقدم لك مسيو أوميرفى!".

صحت وقد فتحت فمى عن آخره فى ذهول: " أو ميرفى!" ثم بدأت رحلتنا مرة أخرى. لم تكن يداه مقيدتان، ولكننى لم أتخيل أن يحاول الهرب، وقد جلس فى السيارة وهو ينظِر أمامه دون تركيز كما لو كان فاقد الوعى، وعلى أية حال، فقد كنا، نورمان وأنا، قادرَيْن على التصدى له.

المثير لدهشتى هو أنه استمر سيرنا إلى الشمال، أى أننا لم نكن فى طريق العودة إلى لندن، الأمر الذى زاد من حيرتى!

وفجأة أبطأت السيارة من سرعتها وعرفت أننا قريبون من مطار هِنْدُن، فأدركت على الفور هدف بوارو وهو أننا سوف نتوجه إلى فرنسا بالطائرة.

إن السفر بالطائرة أمر مسل إلا أنه من جانب آخر يبدو غير عملى، فإرسال برقية سيكون أكثر سرعة، وهو ما يهمنا الآن، لأن الوقت يمثل كل شىء فى حالتنا هذه. وبالتالى فيجب على بوارو أن يترك شرف القيام بعملية إنقاذ رئيس الوزراء للآخرين.

وبعد أن توقفت السيارة قفز الميجور نورمان من مكانه، بينما حل محله أحد المخبرين ذوى الملابس المدنية. ثم تبادل مع بوارو بضع كلمات بصوت خفيض لعدة دقائق، قبل أن

يبتعد عن المكان بسرعة.

وبدورى تركت السيارة وتعلقت بذراع بوارو وقلت له:" أهنئك يا صديقى القديم! هل أخبروك بالمكان الذى تم فيه إخفاء رئيس الوزراء؟، لكن انتظر، يجب أن ترسل برقية إلى فرنسا فى الحال، سوف تكون متأخرا جدا إذا ذهبت بنفسك".

نظر لى بوارو نظرات فاحصة لدقيقة أو اثنتين ثم قال لى:" للأسف يا صديقى إن هناك أشياء لا يمكن إرسالها بالبرقيات".

3

فى هذه اللحظة، عاد الميجور نورمان ومعه ضابط شاب فى زى القوات الجوية قدمه لنا نورمان على أنه:" الكابتن ليال الذى سيأخذكم إلى فرنسا، وهو يمكنه الإقلاع فى الحال".

قال الطيار الشاب لبوارو:" ارتد ملابس ثقيلة يا سيدى. يمكننى أن أعيرك معطفا إن أردت ذلك. " فى هذه اللحظة كان بوارو ينظر إلى ساعته الضخمة وقال لنفسه:" لا يزال هناك بعض الوقت! الوقت المناسب". ثم انحنى تقديرا للضابط الشاب وقال له:" شكرا سيدى لكن لست أنا الذى سيسافر معك بل إنه ذلك السيد المحترم".

ثم تنحى بوارو قليلا وأشار بأصبعه إلى شخص ما كان قادما من الظلام. لقد كان الرجل الثانى الذى تم اعتقاله من المنزل واستقل السيارة الأخرى. ولما سقط الضوء على وجهه شهقت فى ذهول من المفاجأة.

لقد كان رئيس الوزراء!

4

صحت فى بوارو والفضول يقتلنى:" بحق السماء! قل لى يا رجل كل شىء!" قلت ذلك بينما كنا، بوارو ونورمان وأنا، نستقل السيارة عائدين إلى لندن، ثم عدت أسأل" كيف استطاعوا تهريبه مرة أخرى إلى إنجلترا؟".

رد على بوارو بصوت جاف:" لم تكن هناك أية حاجة لتهريبه من جديد إلى إنجلترا، فرئيس الوزراء لم يغادر إنجلترا، فقد تم اختطافه فى الطريق من وندسور إلى لندن".

صحت فى ذهول:" ماذا؟".

قال بوارو:" سأوضح كل شىء، كان رئيس الوزراء فى السيارة وبجواره سكرتيره وفجأة شعر بقطعة قماشية مملوءة بالمخدر توضع على وجهه".

سألته:" من وضعها؟".

قال بوارو:" دانييلز صاحب اللغات المتعددة! ولما فقد رئيس الوزراء وعيه التقط دانييلز المايكروفون وطلب من أو ميرفى التوجه يمينا فأطاعه السائق دون أن يرتاب فى الأمر، وعلى مسافة قليلة فى ذلك الطريق غير المطروق ظهرت سيارة كبيرة متوقفة، وفى الغالب، كانت تبدو معطلة ثم أشار سائقها إلى أوميرفى أن يتوقف فأبطأ أوميرفى من سرعته فاقترب الغريب من السيارة، وأخرج دانييلز نصفه العلوى من السيارة، وعندها تكررت خدعة المخدر مرة أخرى ربما باستخدام مخدر سريع المفعول، وفى دقائق معدودة تم سحب الرجلين معدومى الحيلة إلى السيارة الأخرى، وحل محلهما اثنان من البدلاء!".

قلت:" مستحيل!".

قال بوارو فى بساطة:" لا! أما رأيت كيف يتم تقليد كبار الفنانين فى قاعات التمثيل؟ ليس هناك أمر أسهل من تقليد شخصية عامة. فدراسة شخصية رئيس الوزراء البريطانى أسهل من دراسة شخصية السيد جون سميث من كلافام على سبيل المثال، وبالنسبة لبديل أوميرفى، فإنه لم يكن من الممكن لأى شخص أن ينتبه إليه بعد مغادرة رئيس الوزراء، وعندها بدأ فى الابتعاد عن المشهد وذهب إلى شيرنج كروس حيث يتواجد أصدقاؤه، حيث دخل باعتباره أوميرفى ثم خرج باعتباره شخصاً مختلفاً تماما، وبذلك اختفى أوميرفى.

عدتُ أسأل بوارو:" لكن الشخص الذى لعب دور رئيس الوزراء رآه الكل!".

قال بوارو:" لم يره أى شخص يعرفه عن قرب، وقد عمل دانييلز قدر الإمكان على أن يمنع أى شخص من الاتصال المباشر برئيس الوزراء. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان وجه رئيس الوزراء مغطى بالضمادة الطبية، وكان سيتم تبرير أى تغير فى تصرفاته على أنه من أثر الصدمة التى تعرض لها بعد محاولة الاغتيال، كما أن حنجرة السيد ماك آدم ضعيفة، وكان يحرص على الصمت دوما قبل أى مؤتمر كبير توفيرا لقدرات صوته لإلقاء الكلمة فى المؤتمر. لقد كان التخطيط يقوم على أساس أن يظل رئيس الوزراء فى الصورة، حتى يصل إلى فرنسا حتى تبدو عملية الاختطاف مربكة ومحيرة، وهكذا اختفى رئيس الوزراء. لقد سارعت الشرطة الفرنسية بمحاصرة القنال إلا أن أحدا لم يشغل باله بالبحث فى تفاصيل الهجوم الأول. ولكى يتم حبك فكرة أن رئيس الوزراء قد اختطف فى فرنسا فقد تم تخدير وتقييد دانييلز بصورة مقنعة".

قلتُ لبوارو:" وماذا عن الرجل الذى لعب دور رئيس الوزراء؟".

أجاب بوارو:" تخلص من تنكره، وربما يتم اعتقالهما هو والسائق المزيف لمجرد الاشتباه، إلا أن أحدا لن ينتبه إلى الدور الذى لعباه فى هذه المسرحية. وبالتأكيد سيتم إطلاق سراحهما لعدم كفاية الأدلة".

فطرحت سؤالاً:" وماذا عن رئيس الوزراء الحقيقى؟".

أجابنى بوارو بقوله:" توجه هو و أوميرفى إلى منزل السيدة إيفرارد التى ادعى دانييلز أنها عمته، بينما لم تكن إلا سيدة ألمانية تدعى بيرتا إيبتال. وكانت الشرطة تبحث عنها منذ بعض الوقت، ولقد أسديتُ لهم أنا خدمة عظيمة عندما قلتُ إنه لا شىء يدين دانييلز! لقد كانت خطة ذكية، إلا أنه لم يحسب حساب هيركيول بوارو!".

أعتقد أنه ينبغى أن نغفر لصديقى بوارو هذه اللحظة من الغرور.

ثم خطر لى أن أسأله عن أمر ما فقلت: "ومتى بدأت تشك فى حقيقة الأمر؟".

قال:" عندما بدأت أعمل بالطريقة الصحيحة، أى من الداخل، لم أكن فى البداية ألقى بالا إلى مسألة إطلاق النار، إلا أننى عندما لاحظت أنها أدت إلى أن يذهب رئيس الوزراء إلى فرنسا ووجهه مغطى بالضمادات بدأت أفهم! وبدأت شكوكى تتأكد عندما سألت فى كل المستشفيات الريفية بين وندسور ولندن عن شخص له مواصفات رئيس الوزراء تلقى علاجا ذلك الصباح وكانت الإجابة بالنفى. بعدها صار الأمر أشبه بلعبة أطفال أمام عقل مثل عقلى!".

فى الصباح التالى، أطلعنى بوارو على برقية تلقاها حالا لم يظهر عليها المكان التى أرسلت منه ولا توقيع المرسل وكانت تقول:" فى الموعد".

وفيما بعد ظهرت الصحف الصادرة مساء ذلك اليوم وقد حملت فى عناوينها أخبار مؤتمر التحالف مع ترحيب حماسى بالكلمة التى ألقاها السيد ديفيد ماك آدم والتى تركت انطباعات عميقة.

- 9 -

اختفاء السيد ديفينهايم

كنا ننتظر أنا وبوارو صديقنا القديم جاب المفتش فى سكوتلانديارد ليتناول معنا الشاى ؛ وكنا نجلس على مائدة الشاى المستديرة ننتظر وصوله، وقد انشغل بوارو بترتيب الفناجين وأطباقها على المائدة حيث لم تتخلص السيدة مديرة المنزل من عادتها بإلقائها على المائدة بدلا من وضعها بنظام، وكذلك حرص على تلميع إبريق الشاى المعدنى بمنديل حريرى. كان البراد على الموقد وكان بجواره طبق أنيق ملئ بقطع من الشيكولاتة والتى لم يكن بوارو يحبها بل كان يسميها" السُم الإنجليزى".

وبعد فترة، سمعنا صوت طرقات على الباب ثم بعد ذلك دخل جاب الغرفة.

قال وهو يحيينا:" أتمنى ألا أكون قد تأخرت عليكم، لكننى لا أخفى عليكم كنت أثرثر مع ميلر الرجل الذى يتولى قضية ديفينهايم".

أرهفت أذنى، فطوال الأيام الثلاثة الماضية لم تخل الصحف من الأنباء التى تحدثت عن الاختفاء الغريب للسيد ديفينهايم أحد أبرز الشركاء فى مؤسسة ديفينهايم آند سالمون وهى مؤسسة مالية مصرفية معروفة. فيوم السبت الماضى خرج الرجل من المنزل ولم يره أحد منذ ذلك الحين، لذا كنت أتطلع إلى الحصول على التفاصيل المهمة من جاب.

قال له بوارو وهو يقدم له طبقا من الخبز والزبد: " كن دقيقا يا صديقى، ماذا تعنى بكلمة" اختفاء"؟ أى نوع من حوادث الاختفاء تقصد؟".

قلتُ وأنا أضحك:" وهل يتم تقسيم حوادث الاختفاء لأنواع مختلفة؟".

ابتسم جاب أيضا فنظر بوارو لكلينا بغضب ثم قال لجاب:" نعم، إن حوادث الاختفاء متنوعة! ويمكن تصنيفها إلى ثلاث فئات: الأولى والأكثر انتشاراً هى الاختفاء الإرادى، والثانية الأكثر قسوة هى فقدان الذاكرة، أما الثالثة فهى القتل والذى يتم فيه التخلص من المختطف بنجاح، فهل كنت تزعم أن هذه الفئات الثلاث كلها احتمالات ليست قائمة؟".

قال جاب:" تقريباً. أعتقد ذلك. ربما تفقد ذاكرتك ولكن هذا لن يمنع أى شخص من التعرف عليك خاصة إذا ما كنتَ شخصية معروفة مثل ديفينهايم. كما أن الجثث لا تختفى فى الهواء وإن آجلاً أو عاجلاً سيتم العثور عليها فى أماكن منعزلة، أو فى شاحنة من الشاحنات، وهذا يخرج احتمال القتل من القائمة. وبنفس الطريقة فإن ذلك المصرفى الهارب

مضطر إلى الاختفاء فى زمن التلغراف، وهو أمر صعب فإذا توجه إلى أية دولة أجنبية فإنه يمكن إغلاق الموانئ ومحطات القطار أما إذا قرر الاختفاء فى بلده فإن ملامحه ستظل معروفة لأى شخص يقرأ الصحف، أى أنه مضطر إلى مواجهة التقدم الحضارى".

لكن بوارو قال:" صديقى! لقد ارتكبتَ خطأ واحداً. فالشخص الذى يسعى إلى الهرب مع شخص آخر أو مع نفسه مجازياً يمكنه أن يحقق المستحيل إذا كان قد أعد لنفسه خطة محكمة، وحسب بدقة كل تفاصيل مهمته؛ لذلك فأنا لا أرى أى سبب يمنعه من خداع الشرطة".

علق جاب مازحا وهو يغمز لى:" لكن ليس خداعك أنت، أليس كذلك؟ لا يمكنه أن يخدعك يا سيد بوارو".

رد بوارو وقد أخفق فى أن يبدو متواضعاً:" وأنا أيضاً! لماذا لا؟ رغم أننى أتناول تلك القضايا بمنطق علمى بحت ودقة حسابية، وللأسف! لا تتوافر هذه الدقة إلا فى قلة نادرة من الجيل الجديد للمحققين!".

هنا اتسعت ابتسامة جاب وقال:" لا أدرى، فميلر الذى يعمل فى هذه القضية رجل ذكى، ويمكنك أن تتأكد من أنه لن يترك أية آثار أقدام، أو رماد سيجارة أو حتى فتات خبز دون أن يلاحظها، إنه يتمتع بعينين تريان كل شيء".

قال بوارو:" حسنا! لكننى لا أعتقد أن ذلك العصفور البنى الصغير اللندنى سيكون قادراً على حل قضية اختفاء السيد ديفينهايم".

صاح جاب مستنكراً:" لا تقل لى إنك تقلل من قيمة التفاصيل الدقيقة كمفاتيح توصلنا إلى حل القضية؟"

قال بوارو:" ومن قال ذلك؟ هذه الطريقة سليمة تماما ؛ ولكن الخطر يأتى من إهمال بعض التفاصيل المهمة، فكثير من التفاصيل قد يكون غير ضرورى حيث يكون واحد أو اثنان فقط ذات أهمية، لذلك فإن العقل هنا هو الفيصل والخلايا الرمادية فى أمخاخنا هى الشىء الوحيد الذى يجب أن نعتمد عليه، فالإحساس قد يضلنا وبالتالى فإننا يجب أن نبحث عن الحقيقة من الداخل لا من الخارج"، قالها وهو يشير إلى رأسه.

سأله جاب:" هل تعنى أنك سوف تكشف غموض القضية دون أن تغادر مقعدك يا سيد بوارو؟".

أجاب بوارو:" نعم، هذا ما أعنيه! فبمجرد أن تضع أمامى الحقائق، أستطيع أن أعتبر نفسى خبيراً بالقضية".

خبط جاب ركبتيه بيديه وقال:" تراهننى بخمسة دولارات على أنه يمكنك أن تضع يديك أو على الأقل تخبرنى كيف أضع يدى على السيد ديفينهايم حيًا أو ميتا خلال أسبوع واحد؟".

وافقه بوارو قائلا:" أوافق! وبكل روح رياضية. وهذه هى طبيعتكم أيها الإنجليز، والآن إلىّ بالحقائق".

بدأ جاب فى سرد الحقائق قائلا:" يوم السبت الماضى خرج السيد ديفينهايم بزيه الاعتيادى، وأخذ قطار الواحدة إلا الثلث المتجه من فيكتوريا إلى تشينجساید حيث منزله الريفى المفضل وسط الأشجار، وبعد الغداء قام بجولة فى الحقول وأعطى للمزارعين تعليمات عدة، وقد شهد الكل بأن تصرفاته كانت طبيعية جداً، وبعد أن تناول الشاى ذهب إلى حجرة زوجته وقال لها إنه سوف يتنزه قليلاً إلى القرية حيث سيقوم بإرسال بعض الخطابات مضيفاً أنه ينتظر حضور سيد يدعى لووين ليناقش معه بعض أمور العمل، وأخبرها أنه إذا جاء هذا السيد قبل عودته فعليهم أن يطلبوا منه الانتظار فى المكتبة. بعد ذلك خرج من المنزل من بابه الأمامى وشوهد وهو يقود سيارته فى مرح داخل الممر المؤدى إلى البوابة الخارجية حتى خرج منها ومنذ هذه اللحظة لم يره أحد فقد اختفى تماماً".

غمغم بوارو:" جيد جداً! الأمر كله لا يعدو أن يكون مشكلة صغيرة لطيفة، واصل يا صديقى العزيز".

تابع جاب القصة قائلا:" بعد ذلك بربع ساعة دق رجل طويل أسمر اللون له شارب كثيف الجرس، وقال إنه على موعد مع السيد ديفينهايم، وقال إنه السيد لووين وطبقا لتعليمات السيد ديفينهايم فقد تم إدخاله إلى المكتبة ومرت ساعة ولم يعد السيد ديفينهايم، وهنا دق الرجل الجرس وقال إنه لا يستطيع الانتظار أكثر من ذلك لأن عليه أن يلحق بالقطار المتجه إلى المدينة. اعتذرت السيدة ديفينهايم عن غياب زوجها الذى بدا لها غير مبرر لأن زوجها يعرف أنه ينتظر ضيفا فكرر الضيف أسفه ثم رحل".

" وكما يعرف الجميع فإن السيد ديفينهايم لم يعد. وفى صباح يوم الأحد علمت الشرطة بالأمر لكنها لم تستطع فعل أى شىء وبدا وكأن السيد ديفينهايم قد تلاشى فى الهواء بمعنى الكلمة، فهو لم يتوجه إلى مكتب البريد ولم يُشَاهَدْ فى القرية كما أكدوا فى محطة السكك الحديدية أنه لم يغادر البلدة مستقلاً أى قطار بينما لم تغادر سيارته المرآب، وإذا كان قد استأجر سيارة فإن سائقها بكل تأكيد كان سوف يأتى لكى يخبرنا بما يعرفه نظراً إلى كبر المبلغ المرصود كمكافأة لمن يدلى بأية معلومات. وحقيقةً، فقد كان هناك سباق سيارات صغير فى إنتيفيلد على بعد خمسة أميال من مكان الاختفاء، ومن المحتمل أن يكون السيد ديفينهايم قد توجه إليه دون أن يلاحظه أحد فى الزحام، إلا أننا نشرنا صورة ووصفاً كاملاً له فى كل الصحف، ولم يأت أى شخص ليدلى لنا بمعلومات عنه ؛ وصحيح أننا تلقينا العديد من الخطابات من جميع أنحاء إنجلترا إلا أن المعلومات التى كانت فيها لم تؤد إلى شىء".

" وفى صباح يوم الاثنين، ظهر أمر مهم، فخلف صورة للسيد ديفينهايم فى المكتبة كانت هناك خزانة وتعرضت للكسر والنهب. ولما كانت النوافذ محكمة الغلق من الداخل فقد طرحنا جانباً احتمال أن يكون الأمر عملية سطو عادية إلا إذا كان هناك شريك من داخل المنزل قد أعاد إغلاقها مرة أخرى. لكن يوم الأحد كان المنزل فى حالة من الفوضى،

وبالتالى لم يتم القيام بالأعمال المنزلية. أى أن السرقة وقعت يوم السبت ولم تُكْتَشَفْ حتى يوم الاثنين".

قال بوارو:" منتهى الدقة! وهل تم اعتقال السيد لووين؟".

ابتسم جاب وقال:" حتى الآن لا، ولكنه تحت رقابة مشددة".

هز بوارو رأسه وهو يقول:" وما الذى تمت سرقته من الخزانة؟ هل لديك أية فكرة؟".

قال جاب:" نحن حاليا نناقش الأمر مع الشريك الأصغر فى الشركة والسيدة ديفينهايم، ومن الواضح أنه كان هناك كمية محترمة من السندات، ومبلغ كبير جداً من الأوراق النقدية، وهذا يرجع إلى التعاملات المالية الكبيرة التى أجريت قبل الحادث مباشرة، كما كانت هناك ثروة صغيرة من المجوهرات حيث كانت السيدة ديفينهايم تحتفظ بكل مجوهراتها فى تلك الخزانة. كان شراء تلك المجوهرات عادة من عادات السيد ديفينهايم طوال السنوات الماضية فلم يكن يمر شهر إلا ويشترى لها قطعة مجوهرات نادرة مرتفعة القيمة".

قال بوارو وهو يفكر:" غنيمة كبيرة. والآن، ماذا عن السيد لووين؟ هل عرفتم ما العمل الذى كان سيقوم به مع السيد ديفينهايم ذلك المساء؟".

قال جاب:" حسناً! من الواضح أن الرجلين لم يكونا على علاقة طيبة، كان السيد لووين مضارباً صغيراً فى البورصة ومع ذلك فقد وجه ضربة أو ضربتين للسيد ديفينهايم فى سوق الأسهم على الرغم من أنهما لم يتقابلا إلا نادرا أو لم يتقابلا على الإطلاق، وقد كان السبب وراء ذلك الموعد هو أسهم يملكها رجل من أمريكا الجنوبية".

سأل بوارو:" هل كان ديفينهايم مهتما بأمريكا الجنوبية؟".

رد جاب قائلا:" أعتقد ذلك؛ فقد أشارت السيدة ديفينهايم إلى أن زوجها قضى معظم الخريف الماضى فى بيونس آيريس".

عاد بوارو يسأل:" هل كانت توجد أية مشكلات فى حياته العائلية؟ هل الزوجان على علاقة طيبة ببعضهما البعض؟".

أجاب جاب:" أستطيع أن أقول إن حياته العائلية كانت هادئة وخالية من أية تطورات، فزوجته لطيفة وإن كانت لا تتمتع بالذكاء، ويمكن القول إنها تافهة".

قال بوارو:" إذن ينبغى ألا نبحث عن الحل فى هذه المنطقة، هل كان له أعداء؟".

قال جاب:" لقد كان لديه الكثير من المنافسين فى عالم المال بالتأكيد فإن كثيراً منهم لا يحملون تجاهه مشاعر طيبة ؛ لكننى لا أعتقد أن أيا منهم قادر على التخلص منه، وحتى إن فعلوا فأين الجثة؟".

قال بوارو:" تماماً! وكما قال هاستنجز فإن الجثث تحب العودة إلى الأضواء بكل إصرار".

قال جاب:" بالمناسبة! لقد قال أحد المزارعين إنه شاهد شخصاً يحوم قرب جانب المنزل المطل على حديقة الزهور بينما كانت نافذة المكتبة الطويلة المطلة على الحديقة مفتوحة، وقد اعتاد السيد ديفينهايم أن يدخل ويخرج من المنزل بهذه الطريقة، إلا أن المزارع كان مشغولاً وقتها بحمولة خيار، ولا يستطيع أن يحدد ما إذا كان هذا الشخص هو السيد ديفينهايم أم لا كما لم يستطع أن يحدد التوقيت بدقة. بالتأكيد كانت قبل السادسة لأن هذا هو موعد انتهاء عمل المزارعين".

سأله بوارو:" ومتى غادر السيد ديفينهايم المنزل؟".

أجابه جاب:" فى حدود السادسة وخمس دقائق".

عاد بوارو يسأل:" وما الذى يقع بعد حديقة الزهور؟".

رد جاب:" بحيرة".

سأل بوارو من جديد:" وهل بها مرسى قوارب؟".

قال جاب:" نعم، هناك زورقان. أعتقد أنك تفكر فى احتمال الانتحار يا سيد بوارو؟ حسنا لا أمانع فى أن أخبرك بأن السيد ميلر سوف يتوجه غداً إلى هناك ويفتش تلك البقعة من المياه. هكذا يكون الرجال! "

ابتسم بوارو ابتسامة خاوية واستدار قائلاً لى: " هاستنجز! برجاء أعطنى نسخة جريدة (ديلى ميجافون) أتذكر أن بها صورة واضحة جداً للشخص المفقود".

أحضرت الجريدة المطلوبة وأخذ بوارو يدرس ملامح الرجل بعناية.

سأل بوارو قائلا:" همم! هل كان الرجل شعره طويل إلى حد ما، ومتموج بشارب كثيف ولحية دقيقة مدببة وحاجبان كثيفان وعينان داكنتا اللون؟"

قال المفتش جاب:" نعم".

عاد بوارو يسأل:" هل كان شعره ولحيته يتحولان إلى اللون الرمادى؟".

هز المفتش رأسه وقال:" حسنا سيد بوارو! ما الذى يدفعك لكى تقول كل ذلك؟ هل الأمر واضح كالشمس إذن؟".

قال بوارو:" على العكس! إنه غامض تماماً".

بدا السرور على وجه مفتش سكوتلانديارد.

لكن بوارو واصل كلامه قائلا:" الأمر الذى يعطينى الأمل فى حل القضية".

قال جاب متعجبا:" هه؟".

فأوضح بوارو:" أجد علامة جيدة عندما يبدو الأمر غامضاً ؛ فإذا ما رأيتُ أن القضية واضحة كالشمس شككتُ فى الأمر كله! لأن ذلك يدفعنى إلى الاعتقاد أن شخصا ما قد تعمد أن يجعلها واضحة! "

فهز جاب رأسه فيما يشبه الإشفاق وقال:" حسنًا! لكل شخص طريقة تفكيره! لكن ليس سيئاً أن تجد طريقك واضحاً".

قال بوارو بصوت خفيض:" أنا لا أرى! أنا أغلق عينى وأفكر".

تنهد جاب وقال:" حسناً! أنت لديك أسبوع كامل لتفكر خلاله".

فقال له بوارو:" وأنت سوف تخبرنى فوراً بأية تطورات فور حدوثها وحتى ما يسفر عنه مجهود الضابط المكافح ذى العينين الحادتين ميلر؟".

أجابه جاب:" بالتأكيد، فهذا ضمن الاتفاق".

ثم قال لى جاب وأنا أرافقه إلى الباب:" يبدو أن الأمر مخجل، أليس كذلك؟ مثل القيام بسرقة طفل!".

لم أستطع منع ابتسامتى وأنا أرافقه وظلت ابتسامتى على وجهى وأنا أعود إلى الغرفة مرة أخرى.

وما إن دخلت حتى سألنى بوارو وهو يلوح بأصبعه فى وجهى:" لقد سخرت من بابا بوارو، أليس كذلك؟ أنت لا تثق فى خلاياه الرمادية؟ آه! لا ترتبك! دعنا نناقش هذه المشكلة الصغيرة ؛ أعترف أنها قضية ناقصة إلا أن هناك نقطة أو اثنتين تثيران الانتباه".

قلتُ فى لهجة مميزة:" البحيرة!".

فأضاف بوارو:" والأكثر من البحيرة، هناك مرسى القوارب!".

نظرت إليه نظرة جانبية، فوجدته يبتسم فى غموض فأدركت أننى لن أظفر بشيء إذا ما سألته عن المزيد.

لم نسمع أى شىء من جاب حتى المساء التالى عندما عاد إلينا فى التاسعة مساءً وأدركت من ملامح وجهه أنه يحمل أنباء مهمة.

فقال بوارو وقد لاحظ ما لاحظته:" حسنًا يا صديقى! هل تسير الأمور على ما يرام؟ لكن لا تقل لى إنكم عثرتم على جثة السيد ديفينهايم فى البحيرة فأنا لن أصدقك".

فرد جاب:" لم نجد الجثة ؛ لكننا وجدنا ثيابه، نفس الثياب التى كان يرتديها يوم اختفائه، فما الذى تقوله فى ذلك؟".

سأله بوارو:" هل فقدت ملابس أخرى من المنزل؟".

رد جاب:" لا، لقد أخبرنا الخادم أن كل شيء على ما يرام فيما يتعلق بهذه النقطة حيث أكد أن دولاب الملابس كان مرتباً. لكن هناك المزيد فقد اعتقلنا السيد لووين، لقد قالت لنا خادمة مهمتها إغلاق نوافذ غرفة النوم إنها قد شاهدت لووين يتجه نحو المكتبة عبر حديقة الزهور فى حوالى السادسة والربع، وكان ذلك قبل عشرة دقائق من مغادرته المنزل".

سأل بوارو:" وماذا قال هو عن ذلك؟".

قال جاب:" أنكر فى البداية ولما أصرت الخادمة تظاهر بأنه نسى أن يقول إنه خطا عبر النافذة ليتأمل بعض الأنواع الغريبة من الزهور وهى قصة ضعيفة! كما جاء دليل آخر ضده ؛ فقد اعتاد السيد ديفينهايم أن يرتدى خاتماً ذهبياً تزينه ماسة فى الإصبع الصغير بيده اليمنى. حسناً، كان هناك شخص يدعى بيلى كيليت يحاول رهن هذا الخاتم فى لندن مساء السبت، وهذا الشخص معروف لدى الشرطة حيث حاول الخريف الماضى وتحديدا قبل ثلاثة أشهر أن يسرق ساعة أحد السادة المحترمين، ويبدو أنه حاول أن يرهن الخاتم فيما لا يقل عن خمسة أماكن مختلفة ويبدو أنه نجح فى النهاية ثم ذهب ليتناول الشراب بعد ذلك فارتاب أحد رجال الشرطة فى أمره وتم اعتقاله إثر ذلك. ولقد ذهبت مع ميلر إلى بو ستريت، وشاهدناه هناك وقد تخلص من آثار الشراب وأصبح فى كامل وعيه ثم استخلصنا منه قصة حياته بعد أن أوضحنا له أنه قد يكون متورطاً فى جريمة قتل، وهذه هى قصته وهى قصة غريبة".

" لقد كان فى سباق سيارات إنتيفيلد يوم السبت وإن كنت أعتقد أن عمله كان النصب لا المراهنة، وعلى أية حال، لقد كان حظه عاثراً. وأخذ يسير ببطء فى طريقه إلى تشينجساياد، ثم توقف قليلاً لكى يرتاح قبل دخول البلدة بقليل. بعد ذلك بقليل لاحظ رجلاً قادماً فى الطريق وقال إنه كان رجلاً داكن البشرة تبدو عليه سمات الاحترام له شارب كثيف أنيق المظهر".

" كان كيليت نصف مختفٍ عن الطريق خلف كومة من الحجارة. وقبل أن يصل إليه وقف ذلك الرجل وأخذ ينظر بطول الطريق وعرضه ولما تأكد من خلوه من المارة أخرج شيئاً صغيراً من حافظة نقوده، وألقاه على حاجز الطريق فسقط ذلك الشيء وأصدر صوتا خافتاً أثار فضول ذلك المختبئ خلف كومة الحجارة فخرج وبعد بحث قصير عثر على الخاتم! هذه قصة كيليت يبقى فقط أن نقول إن لووين قد نفاها تماما وبالتأكيد فإنه لا يمكن الوثوق فى رواية شخص مثل كيليت فهناك احتمال أن يكون كيليت قد قابل السيد ديفينهايم على الطريق وسرقه وقتله".

هز بوارو رأسه وقال:" هذا غير محتمل يا صديقى، فلم تكن لديه أية وسيلة لإخفاء الجثة التى لا بد وأن تكون قد تم العثور عليها الآن. ثانياً: الطريقة المكشوفة لرهن الخاتم لا تدل على أنه قد قتل ديفينهايم لكى يسرقه. ثالثاً: من النادر أن يكون اللص المتسلل قاتلاً. رابعاً: لأنه كان فى السجن منذ يوم السبت فإن وصفه الدقيق للسيد لووين يزيد عن كونه مصادفة".

وافق جاب بهزة من رأسه وقال:" أنا لا أقول إنك لست على حق لكن مع ذلك فأنت لا يمكنك أن تحصل من هذه القصة على دليل إدانة. ما يثير حيرتى هو أن لووين لم يجد طريقة أكثر مهارة من تلك ليتخلص من الخاتم".

هز بوارو كتفيه استنكاراً وقال:" حسناً! بعد كل شىء ؛ إذا كان قد تم العثور عليه فى الجوار لقلنا إن السيد ديفينهايم نفسه هو الذى ألقاه! "

صحتُ:" لكن لماذا انتزعه من الجثة من الأصل؟".

قال جاب:" هناك سبب لذلك بالتأكيد. هل تعرف ماذا خلف البحيرة؟ بوابة صغيرة تؤدى إلى التل ويمكن بالسير لمسافة لا تزيد على ثلاث دقائق أن تصل إلى مكان لحرق أوراق الأشجار، هل تتخيل ذلك؟".

تساءلت صائحاً:" يا إلهى! هل تريد أن تقول إن تلك المحرقة القادرة على تدمير الجثة لم تستطع أن تدمر الخاتم؟".

رد جاب:" بالضبط".

قلتُ:" أعتقد أن ذلك يفسر كل شىء! يا لها من جريمة بشعة!".

وفى توافق، نظر كلانا إلى بوارو الذى بدا غارقاً فى التفكير حيث قطب جبينه كما لو كانت قوة حديدية تعتصرها وشعرت كما لو أن قدراته العقلية تحاول أن تدافع عن مكانتها، ترى ماذا ستكون كلماته الأولى؟ ولم يتركنا بوارو لحيرتنا طويلاً فقد تنهد ثم هدأت انفعالاته ونظر إلى جاب وسأله:" هل لديك أية فكرة يا صديقى عما إذا كان للسيد والسيدة ديفينهايم غرفة نوم مشتركة؟".

بدا السؤال غير مناسب بصورة مثيرة للضحك، وتبادلت النظرات مع جاب فى صمت، ثم انفجر جاب فى الضحك وقال:" يا إلهى يا سيد بوارو! لقد توقعت أنك سوف تقول أمراً مذهلاً! وبخصوص سؤالك فأنا بالتأكيد لا أعرف".

عاد بوارو يسأل فى إلحاح شديد:" هل يمكنك أن تتحرى الأمر؟".

رد جاب:" بالتأكيد! إذا كنت تريد ذلك بالفعل".

قال بوارو:" شكراً يا صديقى سأكون ممتنا لك إذا ما أجبت لى عن ذلك السؤال".

حدق فيه جاب طويلاً إلا أن بوارو بدا وكأنه نسى وجودنا ثم نظر لى وهز رأسه فى أسف وهو ينظر إلىّ وغمغم:" يا لصديقى القديم! لقد كانت الحرب فوق طاقته!" ثم خرج من الغرفة بكل تهذيب.

وبينما بدا بوارو غارقًا فى أحلامه أمسكت قطعة من الورق، وأخذت أسلى نفسى بتدوين بعض النقاط عليها، وفجأة تعالى صوت صديقى، وقد امتلأ بالنشاط واليقظة بعد أن عاد من بحر أفكاره الخيالية وقال:" ماذا تفعل يا صديقى؟".

قلتُ:" كنت أدون بعض النقاط التى بدت لى رئيسية فى هذا الموضوع".

قال مُرَحِّبًا بما أفعل:" لقد بدأت تتبع المنهج العلمى أخيراً!".

قلت وأنا أخفى سعادتى:" هل أقرؤها عليك؟".

قال:" بالتأكيد".

فتنحنحتُ وقلتُ:" أولاً: كل الأدلة تشير إلى أن لووين هو الذى حطم الخزانة. ثانياً: إنه يحمل ضغينة للسيد ديفينهايم. ثالثاً: إنه قد كذب فى شهادته الأولى عندما قال إنه لم يغادر المكتبة. رابعاً: إذا قبلنا رواية كيليت فإن لووين متورط بلا أدنى شك".

توقفت قائلاً:" هل هذا جيد؟"، وقد شعرت أننى وضعت يدى على كل النقاط الرئيسية فى القضية.

نظر لى بوارو فى إشفاق وهز رأسه فى أدب وقال: " يبدو أنك يا صديقى المسكين لم تنل بعد نعمة التفكير المنهجى، لقد أهملت التفصيل الرئيسى كما أن منطقك غير سليم".

سألته:" كيف؟".

قال:" دعنى أحلل نقاطك الأربع، الأولى: لم يعرف السيد لووين أنه ستتاح أمامه الفرصة لكى يكسر الخزانة. فقد جاء فى مقابلة عمل ولم يكن يعرف مسبقاً أن السيد ديفينهايم سيكون غائباً لإرسال الخطابات وبالتالى سيكون بمفرده فى المكتبة".

قلت مقترحاً:" ربما انتهز الفرصة".

قال نافياً:" والأدوات؟ ليس من عادة أهل المدينة أن يحملوا معهم أدوات كسر الخزائن بالمصادفة! كما أن المرء لا يمكنه أن يكسر الخزانة بسكين مثلاً!".

قلتُ:" حسناً! ماذا عن النقطة الثانية؟".

رد على قائلا:" أنت تقول إن لووين كان يحمل ضغينة للسيد ديفينهايم. أى أنك تقصد أن لووين كان يحقد على ديفينهايم رغم أنه قد وجه له ضربة أو ضربتين فى البورصة حقق بهما مكاسب شخصية. الطبيعى فى مثل تلك الأمور أنك لا تحمل أية ضغينة ضد رجل حققت مكاسب على حسابه، بل الطبيعى أن يكون الأمر بالعكس فإذا كان هناك حقد فمن الطبيعى أن يكون السيد ديفينهايم هو الحاقد".

قلت له:" حسناً، لكننا لا نستطيع أن ننكر أنه قد كذب فى أمر عدم مغادرته المكتبة؟".

قال بوارو:" لا، ربما كان خائفاً. تذكر أن الملابس المفقودة تم العثور عليها فى البحيرة منذ وقت قصير، وبالطبع وكما هى العادة كان سوف يبذل مجهودا أكبر ليقول لنا الحقيقة".

سألته:" والنقطة الرابعة؟".

قال بوارو:" أتفق معك فى ذلك. فإذا كانت قصة كيليت صحيحة فإن لووين متورط بالفعل".

سألته من جديد:" هل هذا يعنى أننى وضعت يدى على واحدة من الحقائق المهمة؟".

قال لى:" ربما، لكنك أغفلت نقطتين بالغتى الأهمية وبالتأكيد تحملان مفاتيح الحل".

سألته فى لهفة:" ما هما؟".

قال:" الأولى هى المشاعر التى دفعت السيد ديفينهايم إلى شراء المجوهرات طوال السنين الماضية، والثانية رحلته إلى بيونس آيريس الخريف الماضى".

قلت له متعجبا:" بوارو، هل تمزح؟".

نفى ذلك وقال:" أنا جاد. آه! لكنى أتمنى ألا ينسى جاب الأمر الصغير الذى سألته عنه".

إلا أن المفتش تذكر تلك المأمورية على سبيل المرح، وبالفعل فقد وصلت برقية لبوارو فى الحادية عشرة من صباح اليوم التالى فقرأتها بناء على طلبه وكانت تقول:

" لكل من الزوج والزوجة غرفة منفصلة منذ الشتاء الماضى".

صاح بوارو:" أها! والآن نحن فى منتصف يونيو! لقد وضح كل شيء!".

حدقتُ فيه.

سألنى:" ليس لديك أموال فى بنك ديفينهايم آند سالمون يا صديقى، أليس كذلك؟".

قلت له متعجبًا:" لا! لماذا؟".

فقال لى:" لأننى كنت سأطلب منك أن تسحبهم بسرعة قبل أن يداهمك الوقت".

سألته:" لماذا؟ ماذا تتوقع؟".

قال:" أتوقع ضربة ساحقة فى الأيام القليلة القادمة وربما أقرب. لقد تذكرت، يجب أن نرد الهدية لجاب. رجاءً! أحضرْ قلما ونموذجا واكتب (أنصحك بسحب كل أموالك من الشركة المتعلقة بالقضية) سيثير ذلك حيرته، وسوف تتسع عيناه وتتسع وتتسع ولن يفهم الأمر حتى غد أو ربما بعد غد! ".

ظل الشك يساورنى إلا أن صباح اليوم التالى قد دفعنى إلى أن أعرب عن تقديرى واحترامى لقدرات صديقى الفذة.

فقد حملت كل صحف ذلك اليوم عناوين عريضة تتحدث عن الانهيار المفجع لبنك ديفينهايم آند سالمون. لقد أخذ اختفاء رجل المال الشهير أبعاداً أخرى على ضوء الإعلان عن الوضع المالى للبنك.

وبينما كنا فى طريقنا إلى الإفطار دق الباب، واندفع جاب قادماً وقد حمل فى يده اليسرى إحدى الصحف بينما أمسك فى يده اليمنى البرقية التى أرسلها له بوارو، وهى البرقية التى وضعها على المائدة بعنف أمام صديقى وقال:" كيف عرفت يا بوارو؟ كيف عرفت؟".

ابتسم بوارو بهدوء وقال:" آه! بعد برقيتك يا صديقى وصلت إلى حالة اليقين التام! فمنذ البداية كما لابد وأنك لاحظت فقد بدا لى أن حادثة سرقة الخزانة كانت أمراً مثيراً للانتباه. مجوهرات وأموال سائلة وأسهم، وبدا واضحاً أن كل ذلك قد تم إعداده لمن؟ حسناً كان السيد الطيب ديفينهايم يسعى إلى أن يكون" رقم واحد" كما تقولون فى أمثلتكم! وبالتالى بدا لى وكأن الأمر معد له! بعد ذلك نأتى إلى رغبته فى شراء المجوهرات فى السنين الماضية! يا للبساطة! المال الذى اختلسه حوله إلى المجوهرات التى ربما أبدلها بمجوهرات مزيفة من الزجاج، وبعد ذلك وضعها فى مكان آمن باسم آخر حتى يتسنى التمتع بتلك الثروة بعدما يبتعد الآخرون عن طريقه. وبعد ذلك اكتملت خطته فضرب موعداً للسيد لووين (الذى لم يكن فى الماضى حريصا بالقدر الكافى عندما وجه ضربة أو ضربتين لهذا الرجل الكبير)، ثم صنع السيد ديفينهايم ثقباً فى الخزانة، وأمر بأن تتم استضافة الزائر فى المكتبة، ثم خرج من المنزل، إلى أين؟".

هنا توقف بوارو، ومد يده يتناول بيضة مسلوقة أخرى ثم عقد حاجبيه وغمغم:" هذا بالفعل لا يحتمل! كل دجاجة تضع بيضة بمقاس مختلف! كيف يمكننا أن نضبط شكل مائدة الإفطار؟ على الأقل يجب أن يقوم البائعون فى المتاجر بترتيب البيض وفق الحجم!".

قال جاب فى ضجر:" لا تكترث للبيض الآن ولتجعل الدجاجات تبيض بيضات مربعة الشكل إذا أرادت ذلك، أخبرنا أين توجه رجلنا بعد أن خرج من مزرعته، هذا إذا كنت تعرف؟!".

قال بوارو:" حسنا! لقد توجه إلى المكان الذى اختبأ فيه، ربما كانت هناك مشكلات فى خلاياه الرمادية إلا أنها خلايا من الدرجة الأولى!".

عاد جاب يسأل:" هل تعرف أين يختفى؟".

أجابه بوارو:" بالتأكيد! إنه مكان عبقرى!".

فقال له جاب فى توسل:" أخبرنا بحق الله!".

جمع بوارو كل قشر البيض من طبقه، ووضعه فى طبق البيض، ثم قلب قشرة بيض فارغة فوقه ولما فرغ مما يفعله نظر إلى الشكل الناتج وابتسم معجباً بدقة عمله ثم نظر إلينا وهو يبتسم فى مودة وقال:" هيا يا صديقاى، أنتما الآن من رجال المخابرات. اسألا نفسيكما السؤال الذى وجهته لنفسى: (إذا كنت أنا ذلك الشخص، فأين يجب أن أختبئ؟) هاستنجز، ماذا تقول؟".

قلتُ:" حسنًا! أعتقد أننى لن أفر مباشرة، وسأبقى فى لندن أتنقل فى مترو الأنفاق وفى الحافلات وهناك احتمال 10 إلى 1 أن يعرفنى أحد! إن الأمان فى الزحام".

فتحول بوارو بنظره إلى جاب متسائلاً.

قال جاب:" لا أوافق على ذلك. سأهرب على الفور. هذه هى فرصتى الوحيدة. لقد كان لدى الكثير من الوقت لكى أضع خطتى، ولدى زورق ينتظرنى أتوجه به إلى أبعد بقاع العالم عن موقع الأحداث قبل أن تنفجر المشكلة ويبدأ الصياح!".

ثم نظر كلانا إلى بوارو وقلنا فى صوت واحد:" ماذا تقول يا سيدى؟"

ظل على صمته لدقيقة قبل أن تظهر على وجهه ابتسامة ويقول:" إذا كنت أريد أن أختبئ من الشرطة، فأين سأختبئ؟ فى السجن!".

ارتفعت صيحة:" ماذا؟".

قال بوارو:" أنتم تريدون السيد ديفينهايم لتضعوه فى السجن لذلك لن تفكروا فى أنه فى السجن من الأصل! ".

سأله جاب:" ماذا تعنى؟".

رد بوارو:" لقد قلت لى إن السيدة ديفينهايم ليست امرأة ذكية، ومع ذلك فأعتقد أنك إذا أخذتها إلى بو ستريت وواجهتها بالمدعو بيلى كيليت فسوف تتعرف عليه! فعلى الرغم من أنه حلق شاربه ولحيته وحاجبيه الكثيفين وقَصَّر شعره إلا أن المرأة يمكنها دائما التعرف على زوجها فيما يمكن خداع بقية العالم!".

تساءل جاب مندهشاً:" بيلى كيليت؟ ولكنه معروف للشرطة!".

رد بوارو:" ألم أقل لك إن ديفينهايم كان رجلاً ذكياً؟ لقد أعد خطته ببراعة، وفى الخريف الماضى لم يكن فى بيونس آيريس بل كان يُعِدُّ شخصية بيلى كيليت" الذى تم الاشتباه به منذ ثلاثة أشهر" لذلك لم تشك الشرطة فيه عندما حان الوقت، وكانت الأمور تسير بالنسبة له عادية تماماً فكان يتمتع بالمال وبالحرية حتى. ..".

قاطعه جاب:" ماذا؟".

واصل بوارو حديثه قائلاً:" بعد ذلك اضطر إلى أن يرتدى لحية وشعراً مستعارين إلا أنه كان يخلعهما عند النوم، وبعد الاستيقاظ كان يضطر لارتدائهما من جديد فالنوم بلحية مستعارة ليس أمراً مجيباً! وبالتالى اضطر إلى ترك غرفة نومه مع زوجته، وقلت لى إنه فى الشهور الستة الأخيرة أو تحديداً منذ عودته من بيونس آيريس كان لكل منهما هو و زوجته غرفة نومه المنفصلة. هنا صرت متأكداً تماماً! لقد بدأت الأمور تتضح. أما عن المزارع الذى تخيل أنه رأى سيده يحوم حول جانب المنزل فقد كان على حق حيث كان السيد ديفينهايم يتجه إلى المرسى حيث أخذ ثيابه التى بالتأكيد قد أخفاها جيداً عن خادمه الذى يعتنى بثيابه، ثم ألقى بالثياب الأخرى فى البحيرة، وسارع بتنفيذ باقى خطته برهن الخاتم

بصورة مكشوفة أثارت فيما بعد ريبة رجل الشرطة، فوجد نفسه آمناً فى قسم شرطة بو ستريت حيث لم يتخيل أحد أنه موجود هناك!".

تمتم جاب" مستحيل!".

فقال صديقى:" اسأل السيدة".

فى اليوم التالى كان هناك خطاب مسجل بجانب طبق الإفطار الخاص ببوارو وفتحه فخرجت منه خمسة دولارات فانعقد حاجبا صديقى ثم قال:" آه! يا إلهى! ماذا سأفعل بها؟ أنا فى أشد حالات الندم! أهكذا يا جاب؟ أه يا لها من فكرة! سوف نتناول طعام العشاء معا نحن الثلاثة! إننى أشعر بالخجل. أشعر وكأننى سرقت طفلاً! ماذا بك يا صديقى تضحك بهذه الطريقة؟!".

- 10 -

مغامرة النبيل الإيطالى

كان لدىّ أنا وبوارو الكثير من الأصدقاء والمعارف من خارج الدوائر الرسمية، ومن أبرزهم دكتور هوكر وهو جار لنا يعمل طبيباً. وقد كان من عادة جارنا أن يمر علينا فى بعض الأمسيات فيتجاذب أطراف الحديث مع بوارو الذى كان الطبيب من أشد المعجبين بعبقريته. وكان الطبيب نفسه رجلاً بسيطاً، ولا يشعر بالريبة تجاه أى شيء فى الحياة، لذلك أعجب بقدرات بوارو التى حُرِمَ هو نفسه منها.

وفى واحدة من تلك الأمسيات فى بداية يونيو، جاءنا الطبيب فى نحو الثامنة والنصف، واتخذ مقعداً مريحاً ثم بدأ النقاش حول موضوع مثير وهو شيوع طريقة السم بالزرنيخ فى ارتكاب جرائم القتل. ولم تمر ربع ساعة حتى انفتح باب حجرة الجلوس، ثم اندفعت امرأة تبدو عليها علامات الارتباك إلى الداخل.

قالت المرأة:" أوه! دكتور، أنت مطلوب! يا له من صوت مريع! لقد أفزعنى، حقا لقد أفزعنى!".

كانت هذه المرأة هى الآنسة رايدر مديرة منزل دكتور هوكر. كان السيد هوكر غير متزوج، وكان يعيش فى منزل قديم كئيب المنظر على بعد عدة شوارع. وكانت الآنسة رايدر المعروفة بهدوئها ورباطة جأشها تعانى فى تلك اللحظات من اضطراب واضح.

سألها الطبيب:" ما هو هذا الصوت المريع؟ ماذا يكون؟ وما هى المشكلة؟".

قالت الآنسة رايدر:" كانت مكالمة هاتفية يا دكتور، رددت عليها فجاءنى صوت يقول (النجدة، النجدة أيها الطبيب. لقد قتلونى!) وبعد ذلك بدأ الصوت يخفت فسألت (من يتكلم؟) فجاءنى الرد هامسا يقول ما بدا لى أنه فوسكاتيني أو ريجنتس كورت".

رد الطبيب متعجبًا:" ريجنتس كورت! إن كونت فوسكاتينى لديه شقة فى ريجنتس كورت. يجب أن أذهب حالاً. تُرى ماذا حدث؟".

سأله بوارو:" أهو أحد مرضاك؟".

أجابه الطبيب:" لقد ذهبت إليه قبل أسابيع قلائل حيث كان يمر بوعكة صحية بسيطة. إنه إيطالى لكنه يتكلم الإنجليزية بطلاقة. أعتقد أننى يجب أن أودعك الآن يا سيد بوارو،

وأتمنى لك ليلة طيبة إلا إذا. ..".

ثم صمت فلاحظ بوارو تردده، فقال له مبتسماً: " أعلم ما تفكر فيه. يسعدنى أن أصحبك إلى هناك"، ثم نظر إلىّ وقال:" هاستنجز، اذهب وأحضر لنا سيارة أجرة".

من المعتاد ألا تجد أى سيارة أجرة عندما تكون فى حاجة إلى واحدة منها ؛ لكننى استطعت الإمساك بإحداها فى النهاية. وفى لحظات كنا فى طريقنا إلى ريجنتس كورت. كان ريجنتس كورت حياً سكنياً جديداً يقع بجوار طريق سان جون، وقد تم بناؤه حديثاً لذلك كان يتمتع بأفضل الخدمات والمرافق.

فى مدخل البناية لم يكن هناك أحد، فدق الطبيب جرس المصعد فى صبر نافد، فلما وصل المصعد، وفتح الباب العامل الذى يشغله بادره الطبيب قائلا:" الشقة 11 كونت فوسكاتينى، لقد وقعت حادثة ما هناك كما فهمت".

حدق العامل فيه قليلاً ثم قال:" إنها المرة الأولى التى أسمع فيها عن ذلك، فقد خرج السيد جريفز خادم الكونت منذ حوالى نصف ساعة، لكنه لم يقل شيئاً عن هذا الأمر".

فسأله الطبيب:" هل الكونت وحده فى الشقة؟".

رد العامل:" لا يا سيدى. معه سيدان مهذبان يتناولان معه طعام العشاء".

سألته فى إلحاح:" كيف يبدوان؟".

كنا الآن فى المصعد، وقد أخذ يرتفع بسرعة نحو الطابق الثانى حيث تقع شقة الكونت. ورد العامل:" لم أرهما بنفسى يا سيدى. ولكننى فهمت أنهما أجنبيان".

ثم فتح لنا باب المصعد وخرجنا إلى الممر وكانت الشقة 11 فى الجهة المقابلة لنا فتوجهنا لها، ودق الطبيب الجرس إلا أن أحدا لم يرد كما لم نسمع أى صوت فى الداخل، فعاد الطبيب يدق الجرس مرة واثنتين، وكنا نسمع صوت الجرس يدق فى الداخل ؛ لكننا لم نسمع أى صوت يدل على وجود حياة فى الشقة.

تمتم الدكتور:" لقد أصبح الأمر خطيراً" ثم استدار ناحية عامل المصعد وسأله:" هل هناك مفتاح آخر لذلك الباب؟".

رد عامل المصعد:" هناك مفتاح مع مدير المبنى بالأسفل".

فقال الطبيب:" أحضره! وأعتقد أنه من الأفضل أن تبلغ الشرطة".

فوافقه بوارو بهزة من رأسه.

ثم عاد عامل المصعد ومعه مدير المبنى الذى سألنا:" هلا أوضحتم لى أيها السادة ما معنى كل ذلك؟".

قال الطبيب:" بالتأكيد. لقد تلقيت مكالمة هاتفية من كونت فوسكاتينى قال فيها إنه تعرض لاعتداء وإنه يموت. وأنت تفهم أننا لا نريد إهدار أى وقت ؛ هذا إذا كنا لم نصل

متأخرين بالفعل".

فأعطانا مدير المبنى المفتاح دون أية كلمة أخرى ودخلنا كلنا الشقة.

سرنا فى البداية داخل ردهة مربعة صغيرة، وعلى اليمين منها كان هناك باب نصف مفتوح نبهنا مدير المبنى إليه بإيماءة من رأسه وهو يقول:" غرفة الطعام".

دخل دكتور هوكر فى البداية، ثم تبعناه، وبمجرد أن دخلنا الحجرة أطلقتُ شهقة، فقد كان فى وسطها مائدة مستديرة عليها باقى طعام العشاء، وحولها ثلاثة مقاعد كانت قد تحركت بطريقة تشير إلى أن من كانوا يجلسون عليها قاموا لتوهم، وفى ركن الحجرة كانت هناك منضدة للكتابة، وعليها جلس رجل. كانت يده اليمنى تقبض على الهاتف فيما سقط جسده كله للأمام كما لو أنه تلقى ضربة قوية على رأسه من الخلف.

لم يكن سلاح الجريمة ببعيد حيث كان هناك تمثال من الرخام وضح من مظهره أنه وُضِعَ فى مكانه على عجل بينما كانت الدماء لا تزال تغطى قاعدته.

لم يستغرق الطبيب دقيقة فى فحصه للجثة وقال: " إنه ميت كالحجر. لا ريب أنه مات من فوره حتى إننى فى منتهى الدهشة من أنه قد تمكن من إجراء المكالمة الهاتفية. إننى أفضل ألا أحرك أى شىء من مكانه حتى تأتى الشرطة".

ثم بدأنا فى تفتيش المكان بناء على اقتراح من مدير المبنى، إلا أن النتيجة كانت معروفة مسبقًا، فلم يكن من المتوقع أن نجد الجناة قد اختبأوا فى المكان بينما كل ما يجب عليهم فعله فى ذلك الوقت هو الفرار منه.

عدنا مجدداً إلى حجرة الطعام، ووجدنا بوارو الذى لم يرافقنا فى جولتنا يفحص مائدة الطعام بكل انتباه فشاركته فى فحصه. كانت المائدة مستديرة مصنوعة بحرفيّة من خشب الماهوجنى، وفى وسطها استقرت مزهرية مليئة بالورد على سبيل الزينة بينما تراصت بعض المناشف ذات النقوش الجميلة على سطح المائدة. كان هناك طبق من الفاكهة، إلا أن أطباق حلوى ما بعد الطعام لم تُمَسّ كما أن فناجين القهوة لا تزال ممتلئة، حيث كان اثنان منهما بهما قهوة ثقيلة بينما كان بالآخر قهوة باللبن، ووضح أن أحد الرجال قد دخّنَ سيجارة بينما دخّنَ آخر سيجارتين، وعلى المائدة كان هناك صندوق فضى وآخر على شكل قوقعة سلحفاة بهما تصطف السجائر.

أخذت أعدد هذه الأشياء لنفسى إلا أننى وجدت نفسى مجبراً على الاعتراف بأن أيا منها لا يلقى أى ضوء على الموقف، لذلك كنت أتساءل عما وجده بوارو فى تلك الأشياء إلى الدرجة التى تدفعه للتركيز فيها بهذه الطريقة، وبالفعل فقد سألته:" ما هذا؟".

قال:" خطأ. خطأ صغير ارتكبه الجانى".

ثم توجه بسرعة إلى المطبخ الصغير المجاور، وألقى نظرة ثم هز رأسه.

ثم توجه إلى مدير المبنى وقال له:" سيدى. رجاء أخبرنى عن الأسلوب الذى تتبعونه فى تقديم الوجبات هنا".

تقدم المدير إلى فتحة صغيرة فى الحائط وقال موضحا:" هذا هو مصعد الخدمات وهو يصل حتى المطابخ أعلى البناية. يتم طلب الوجبات بالهاتف فيتم إرسال الأطباق بالمصعد وبنفس الطريقة يتم إرسال الأوانى المتسخة والفارغة. يمكنك أن تفهم الآن سيدى أنها طريقة آمنة كما أنها تجنبك متاعب تناول الطعام فى المطاعم العامة".

وافقه بوارو ثم قال:" إذن الأطباق التى تم تناول الطعام فيها الليلة موجودة فى المطابخ أعلى البناية. هل تسمح لى بالصعود هناك؟".

قال المدير:" أوه بالطبع، إذا كنت تريد! سوف يصحبك روبرت عامل المصعد إلى هناك ويقوم بتعريفك إلى العاملين هناك، لكننى أخشى ألا تجد أى شيء مفيد هناك فهم يقومون بتنظيف وإعداد مئات الأطباق وكلها تختلط ببعضها".

لكن بوارو أصر على طلبه وصعدنا معا إلى المطابخ وبدأنا فى سؤال الرجل الذى أخذ طلب الشقة 11 فقال:" لقد كان الطلب من قائمة الطعام لثلاثة أشخاص وكان عبارة عن حساء جيليانى وفيليه من سمك السول النورماندى وشريحتين من اللحم البقرى وأرز سوفليه. الوقت؟ لا أذكر الوقت تحديدا لكن يمكن القول إنها كانت فى حدود الثامنة. لا! معذرة لقد تم غسل الأطباق والأوانى كلها الآن لسوء الحظ. لعلكم تفكرون فى البصمات كما أفترض؟"

قال بوارو وعلى وجهه ابتسامة غريبة:" ليس بالضبط! أنا مهتم أكثر بشهية الكونت فوسكاتينى. هل أكل من كل الأطباق؟"

رد عامل المطبخ:" نعم. ولكننى لا أستطيع أن أحدد المقدار الذى أكله. لقد كانت كل الأطباق متسخة بينما كانت الأوانى كلها فارغة، لكننى أحب أن أقول هنا شيئا، لقد كان الأرز السوفليه استثناء فقد تبقت كمية كبيرة منه".

قال بوارو وقد بدا أنه سعيد بتلك المعلومة:" آه!".

وقال بصوت خفيض ونحن ننزل إلى الشقة من جديد:" أعتقد أننا نتعامل مع رجل يتبع الأسلوب المنهجى".

سألته:" هل تقصد القاتل أم كونت فوسكاتينى؟"

قال بوارو:" لقد كان هذا الأخير بلا شك رجلاً فى منتهى النظام. فبعدما طلب النجدة وشعر بدنو أجله وضع سماعة الهاتف فى مكانها".

رمقت بوارو بنظرة طويلة، فلقد بدأت كلماته الأخيرة بالإضافة إلى أسئلته تعطينى فكرة ما.

فقلت له:" هل تشير إلى أن القتل تم بالسم، وأن الضربة على الرأس كانت للتضليل؟".

لم يرد بوارو واكتفى بالابتسام.

دخلنا الشقة مرة أخرى. حيث كان مفتش شرطة المنطقة قد وصل ومعه اثنان من رجاله، فأبدى ضيقه من رؤيته لنا. إلا أن بوارو سارع بتهدئته وأخبره أنه صديق لأحد مفتشى سكوتلانديارد، وهو جاب، وأن معنا تصريحاً بالبقاء. ويبدو أن بقاءنا كان من حسن حظنا. فبعد أن دخلنا بأقل من خمس دقائق اندفع داخل الحجرة رجل فى أواسط العمر تبدو عليه ملامح القلق والانفعال.

كان هذا هو جريفز رئيس خدم الكونت الراحل وكانت الرواية التى قصها علينا مثيرة.

ففى صباح أمس طلب رجلان رؤية سيده، وقد كان هذان الرجلان من إيطاليا، وكان أكبرهما فى الأربعينات من عمره، وقدم نفسه على أنه سنيور أسكانيو، فيما كان الثانى شاباً يرتدى ثيابا أنيقة، وهو فى نحو الرابعة والعشرين من العمر.

استعد كونت فوسكاتينى جيدا لهذه الزيارة، وأرسل جريفز فى مهمة تافهة. وهنا توقف الرجل وبدا مترددا فى إكمال القصة، إلا أنه فى النهاية قال إنه شعر بالفضول لمعرفة سبب الزيارة، وبالتالى لم يذهب فى تلك المأمورية على الفور وتباطأ فى محاولة لسماع أى شيء مما كان يجرى.

لكن الحديث كان يدور فى صوت منخفض وبالتالى لم يحقق النجاح الذى كان يريده، إلا أنه استطاع الإلمام بأنهم يناقشون أمراً مالياً، وكان الأمر كله يدور حول تهديد ما، لكن كان مجرد حديث ودى، وفى النهاية ارتفع صوت الكونت قليلاً واستطاع السيد جريفز أن يسمع كلماته بوضوح وكان يقول:

" لا وقت لدىّ للمزيد من المناقشات الآن أيها الرجلان. سوف نتناول معا العشاء فى الثامنة من مساء الغد ونكمل حوارنا".

هنا سارع جريفز إلى القيام بما كلفه به سيده خشية أن ينكشف أمره. وفى هذا المساء وصل الرجلان فى تمام الثامنة. وخلال العشاء تحدثوا حول أمور عدة كالسياسة والطقس والمسرح، ولما دخل جريفز الحجرة ليقدم القهوة قال له سيده إنه يمكنه أن ينصرف الآن، ويستطيع أن يحصل على راحة فى المساء كذلك.

سأل المفتشُ جريفز:" هل هذا سلوك معتاد من الكونت عندما يكون لديه ضيوف؟".

نفى جريفز ذلك وقال:" لا يا سيدى. ليس سلوكاً معتاداً، وهذا ما جعلنى أعتقد أنه سيناقش مع السيدَيْنِ عملاً غير معتاد".

وانتهت رواية جريفز بأن قال إنه انصرف فى نحو الثامنة والنصف والتقى مع أحد الأصدقاء وتوجه بصحبته إلى قاعة" متروبوليتان ميوزك" الموسيقية فى منطقة إدجوير روود.

وبالتالى، فهو لم ير أحد السيدين وهما يغادران الشقة. إلا أن توقيت الجريمة كان واضحاً، حيث كانت هناك ساعة على منضدة الكتابة وقد توقفت عند الساعة الثامنة وسبع وأربعين دقيقة بعدما سقطت ذراع فوسكاتينى عليها فأوقفتها عند ذلك التوقيت الذى يتفق مع التوقيت الذى تلقت فيه الآنسة رايدر مكالمة الاستغاثة.

فحص طبيب الشرطة الجثة التى كانت الآن موضوعة على طاولة. ولأول مرة رأيت وجه الكونت ؛ وهو وجه ذو بشرة زيتونية، وأنف طويل، وشارب ضخم، بينما انفرجت شفتاه الحمراوان عن أسنان ناصعة بصورة مدهشة. ولم يكن وجهًا لطيفًا أبدا.

قال المفتش وهو يطوى مفكرته:" حسنًا. تبدو القضية واضحة. فكل ما ينبغى علينا فعله هو وضع أيدينا على سنيور أسكانيو، وأعتقد أنه يمكننا العثور على عنوانه فى أوراق المتوفى".

وبالفعل كما سبق أن قال بوارو إن الرجل كان فى منتهى النظام، فقد كان مكتوبًا بخط أنيق فى ورقة صغيرة" سنيور باولو أسكانيو، فندق جروسفنر".

أجرى المفتش مكالمة هاتفية ثم استدار لنا ووجهه يحمل ابتسامة عريضة وقال:" فى الوقت المناسب. لقد عثرنا على رجلنا وهو ينوى أن يأخذ قاربًا إلى أوروبا. حسنا أيها السادة هذا كل ما يمكننا أن نفعله هنا. قد يكون الأمر راجعاً إلى عملية ثأر إيطالية وقد لا يكون كذلك".

وفى مواجهة ذلك الازدراء، فعلنا ما يجب أن نفعله وغادرنا الشقة. وبينما نحن فى طريقنا قال دكتور هوكر بصوت تملؤه الإثارة:" تمامًا مثل بدايات الروايات، أليس كذلك؟ إثارة حقيقية لم يكن المرء ليصدقها لو قرأها فى رواية".

لم يتكلم بوارو فقد كان يفكر فى عمق، وطوال الأمسية لم يتكلم إلا قليلاً.

فسأله دكتور هوكر وهو يربت على ظهره:" ماذا يقول كبير المخبرين. هه؟ ألم تجد أى شيء فى هذا الأمر يجعل خلاياك الرمادية تعمل؟".

قال له بوارو:" هل تعتقد أننى لم أجد شيئا؟"

سأله دكتور هوكر:" وماذا يمكن أن يوجد؟".

رد بوارو قائلا:" على سبيل المثال هناك النافذة".

قال دكتور هوكر:" النافذة؟ لكنها كانت مغلقة فلا يمكن لأحد أن يدخل أو يخرج منها، لقد لاحظت ذلك".

فسأله بوارو:" ولماذا لاحظت ذلك؟".

بدت على دكتور هوكر أمارات الحيرة فسارع بوارو بتوضيح الأمر قائلاً:" لقد كنت أشير إلى الستائر. لم تكن الستائر مسدلة وهو أمر غريب. كما أن هناك القهوة، ولقد

كانت ثقيلة جداً".

قال دكتور هوكر:" وماذا فى ذلك؟".

قال بوارو:" أقول: ثقيلة جداً، فإذا ربطنا ذلك بأنهم أكلوا كمية ضئيلة من الأرز السوفليه فإننا يمكننا أن نصل إلى. . . ماذا؟"

ضحك دكتور هوكر وقال:" يا إلهى! أنت تهزأ بى!".

لكن بوارو قال:" أنا لا أهزأ بك. هاستنجز يعرف أننى جاد جدا".

قلتُ:" أنا عن نفسى لست أدرى ما تهدف إليه. ومع ذلك، فأنا لا أعتقد أنك تشك فى الخادم، هل تشك فيه؟ قد يكون متفقا مع العصابة ووضع مخدراً فى القهوة. أعتقد أنهم سيختبرون مصداقية أقواله التى دافع بها عن نفسه".

قال بوارو:" بلا شك يا صديقى، وإن كنت أعتقد أن ما سيقوله سنيور أسكانيو للدفاع عن نفسه هو الذى يستحق الاهتمام".

عدت أسأل:" هل تعتقد أن لديه ما يدافع به عن نفسه؟".

أجابنى بوارو:" هذا ما يقلقنى. لكن ليس لدىّ أدنى شك فى أننا سوف نحصل على ما يضيء لنا الطريق فى هذا الجانب".

كانت جريدة ديلى نيوزمنجر تُطْلِعُنا على الأحداث المتتابعة.

لقد تم اعتقال سنيور أسكانيو ووُجِّهَتْ له تهمة قتل كونت فوسكاتينى. وعند اعتقاله نفى معرفته بالكونت، كما نفى أن يكون قد توجه إلى حى ريجنتس كورت، لا فى ليلة الحادث، ولا فى صباح اليوم السابق لها، أما الشاب الذى كان معه فقد اختفى تماماً. وكان سنيور أسكانيو قد وصل وحده من أوروبا قبل يومين من ارتكاب الجريمة وفشلت كل الجهود لتعقب الشاب.

وعلى الرغم من ذلك فلم تتم محاكمة أسكانيو. فقد توجه السفير الإيطالى بنفسه إلى قسم الشرطة، وشهد بأن سنيور أسكانيو كان معه فى مقر السفارة منذ الثامنة وحتى التاسعة فى تلك الليلة، وبالتالى تم إسقاط التهم الموجهة إليه. وكنتيجة طبيعية لهذا الأمر ظن الناس أن القضية سياسية. لذلك تم إغلاقها.

أبدى بوارو الكثير من الاهتمام بكل تلك النقاط. لكننى شعرت بالدهشة إلى حد ما عندما أخبرنى ذات صباح أننا ننتظر زائرا فى الحادية عشرة، ولم يكن ذلك الزائر إلا أسكانيو نفسه.

سألتُ بوارو:" هل يريد أن يأخذ مشورتك؟".

أجابنى قائلا:" إطلاقا. أنا من يريد أخذ مشورته".

عدت أسأل:" حول ماذا؟"

أجاب بوارو:" جريمة ريجنتس كورت".

سألته مجددا:" هل تريد أن تُثْبِتَ أنه هو من فعلها؟".

نفى بوارو ذلك قائلا:" لا يمكن محاكمة الشخص على نفس الجريمة مرتين يا هاستنجز. حاول أن تدرك الأمر. آه. . هذا هو جرس صديقنا".

لم تمر دقائق قليلة حتى دخل سنيور أسكانيو. كان رجلاً صغير الحجم نحيفا، تلمع فى عينيه نظرة غامضة، وقد ظل واقفاً وهو يتنقل بنظراته المتشككة بينى وبين بوارو، ثم سأل: من هو السيد بوارو؟".

أشار صديقى بهدوء إلى صدره معرفا بنفسه، ثم قال له:" اجلس سيدى. لقد وصلتك رسالتى. أنا مُصِرٌ على الوصول إلى حل ذلك اللغز، ويمكنك أن تساعدنى بصورة ما. لقد قمتَ بصحبة أحَد رفاقك بزيارة الراحل كونت فوسكاتينى صباح الثلاثاء التاسع من هذا الشهر".

بدت على وجه الإيطالى سمات الغضب وقال:" لم أفعل أى شيء من هذا القبيل، ولقد أقسمت فى المحكمة. ..".

قاطعه بوارو قائلاً:" بكل تأكيد. لقد أقسمتَ، لكنى لدىّ فكرة صغيرة توحى بأنك أقسمت كذباً".

صاح أسكانيو:" هل تهددنى؟ هراء! ليس لدىّ ما يدعونى إلى الخوف منك. لقد تمت تبرئتى".

قال بوارو:" بالضبط. ولأننى لستُ معتوهًا فأنا لا أهددك بحبل المشنقة بل بالتشهير. التشهير! فأنا أرى أنك لا تحب هذه الكلمة. ولدىّ فكرة عن أنك لن تحبها. تعال يا سيدى، ففرصتك الوحيدة هى أن تكون صريحاً معى، لن أسألك عن سر الحماقة التى دفعت بك للمجىء إلى إنجلترا، فقد جئتَ لغرض واحد وهو مقابلة كونت فوسكاتينى".

قال الإيطالى بغضب هادر:" هو ليس بكونت!".

علق بوارو على ذلك قائلاً:" لقد لاحظت ذلك. فلم يرد اسمه فى روزنامة جوته. لا يهم. لكن لقب كونت يفيد جداً فى مهنة الابتزاز".

قال أسكانيو:" أعتقد أننى يجب أن أكون صريحاً تماما مثلك. فأنت لديك الكثير من المعلومات".

قال بوارو:" لقد أعْمَلْتُ خلاياى الرمادية لكى أستنتج الكثير. هيا يا سيد أسكانيو، لقد زرت المتوفى صباح الثلاثاء؛ أليس كذلك؟".

رد أسكانيو:" نعم. لكننى لم أذهب إلى هناك فى المساء التالى. لم تكن هناك حاجة إلى ذلك. سأخبرك بكل شيء. لقد وصلت إلى ذلك الوغد معلومات مهمة عن رجل يشغل منصباً

مهماً فى إيطاليا، وقد طلب مبلغاً مالياً كبيراً لكى يعيد الأوراق التى فيها تلك المعلومات. فجئت إلى إنجلترا لكى أرتب الأمر، وذهبت لألقاه فى ذلك الصباح وكان بصحبتى شاب من موظفى السفارة. لقد كان الكونت أكثر عقلانية مما تخيلت، وعلى الرغم من ذلك فقد دفعت له مبلغا كبيرا من المال".

سأل بوارو:" عذرا. ولكن كيف دفعته له؟".

أجابه الإيطالى:" بالعملة الإيطالية الصغيرة بنظام سلم واستلم. دفعت له المال، وحصلت على الأوراق، ولم أره ثانية".

سأله بوارو مُجَدّدا:" ولماذا لم تقل كل ذلك عندما تم اعتقالك؟".

رد الإيطالى قائلا:" بسبب موقعى الحساس كنت مجبراً على أن أنفى أية علاقة لى به".

قال بوارو متسائلاً:" وكيف ترى وقائع تلك الليلة؟".

قال أسكانيو:" أعتقد أن أحداً انتحل شخصيتى. لقد عرفت أنهم لم يجدوا أية أموال فى الشقة".

نظر إليه بوارو، ثم هز رأسه، ثم غمغم قائلا:" غريب. كلنا لدينا هذه الخلايا الرمادية الصغيرة، لكن قلة منا فقط هم من يستطيعون استخدامها. صباحك سعيد يا سيد أسكانيو. أنا أصدق قصتك. إنها تماماً مثلما تخيلت، فقط كنت أريد أن أتأكد".

وبعدما ودع ضيفه عاد بوارو وجلس على مقعده ذى الذراعين ونظر إلىّ مبتسماً.

ثم قال لى:" ابداً، أبداً لن تستخدم تلك الخلايا التى أنعم الله عليك بها. حاول أن تتذكر الكلمات التى قلتها أنا بصوت خفيض ونحن نغادر الشقة فى تلك الليلة. لقد أشرت إلى أن ستائر النافذة لم تكن مسدلة. ونحن فى شهر يونيو، وفى الثامنة لا يزال ضوء النهار موجوداً، ويبدأ الضوء فى الزوال بعدها بنصف ساعة، ماذا تقول فى ذلك؟ أرى ما يدلنى على أنك ستصل إلى الحل يوماً ما. والآن لنكمل. كانت القهوة ثقيلة جداً بينما كانت أسنان كونت فوسكاتينى ناصعة البياض وهو ما يتنافى مع كون القهوة تلوث الأسنان. نفهم من هذا أن الكونت لم يشرب القهوة، إلا أن القهوة كانت فى كل الفناجين. فما الذى يدفعنا إلى القول إن الكونت شرب القهوة بينما هو لم يشربها؟".

هززت رأسى وأنا فى كامل حيرتى.

فقال بوارو:" حسنًا! سوف أساعدك. ما هو الدليل الذى يؤكد لنا أن أسكانيو ورفيقه أو أى اثنين آخرين ذهبا إلى الشقة فى تلك الليلة؟ لم يرهما أحد يدخلان ولم يرهما أحد يخرجان. لدينا شهادة رجل واحد وأدلة من بعض الأشياء غير الحية".

قلت له:" هل تقصد؟".

أجابنى:" أعنى السكاكين والشوك والأطباق والأوانى الفارغة. آه لكنها كانت فكرة ذكية! جريفز لص ووغد. لكن يا له من رجل صاحب عقلية منظمة! لقد سمع جزءاً من الحوار فى ذلك الصباح، وأدرك منه أن أسكانيو سيكون فى موقف ضعيف إذا حاول الدفاع عن نفسه. وفى الثامنة من مساء اليوم التالى أخبر سيده بأن هناك من يريده على الهاتف فجلس كونت فوسكاتينى على منضدة الكتابة ومد يده إلى الهاتف فجاءه جريفز من الخلف، وضربه بالتمثال الرخامى ثم أسرع إلى الهاتف وطلب عشاء لثلاثة أشخاص. جاء العشاء! فأعد المائدة ولوث الأطباق والشوك والسكاكين وما إلى ذلك بالطعام ؛ لكن كان عليه أن يتخلص من الطعام أيضاً. لم يكن رجلاً صاحب عقلية منظمة فقط لكنه كان أيضا صاحب معدة عالية القدرات. لكنه بعدما تناول اللحم كله كان الأرز السوفليه كثيراً! لقد دخن سيجاراً وسيجارتين كى يزيد من حبكة الخطة. آه، لقد كان دقيقاً. بعد ذلك حرك عقارب الساعة إلى الثامنة وسبع وأربعين دقيقة ثم كسرها وأوقفها، لكنه نسى شيئا واحدا وهو أن يسدل الستائر، ففى حفلات العشاء الحقيقية تكون الستائر مسدلة. ثم أسرع بالخروج، ولما قابل عامل المصعد أخبره عن الضيفين بعدها أسرع إلى أقرب هاتف واتصل بالطبيب فى الساعة الثامنة وسبع وأربعين دقيقة وطلب حضور الطبيب مقلداً صوت سيده المحتضر وهو يصرخ. كانت فكرة ناجحة للغاية خاصة أن أحدا لم يفكر فى التأكد مما إذا كانت هناك مكالمة هاتفية قد أجريت من الشقة 11 فى ذلك التوقيت أم لا".

قلتُ ساخراً:" إلا هيركيول بوارو كما أظن".

لكنه قال مبتسماً:" ولا حتى أنا يا صديقى. سوف أتأكد من ذلك الآن ؛ لكننى كنت أريد فقط أن أبرهن لك على فكرتى فى البداية. وسترى أننى على حق. ثم بعد ذلك سيقوم جاب، الذى كنت قد أوضحت له ملامح من فكرتى، بإلقاء القبض على جريفز المحترم. وإننى لأتساءل حقا عن حجم المال الذى أنفقه".

لقد كان بوارو على حق. إنه دائما على حق.

- 11 -

قضية الوصية المفقودة

كانت المشكلة التى طرحتها علينا آنسة" فيوليت مارش" فرصة جيدة لنتخلص من روتين الحياة اليومية. أخذ بوارو ملاحظات سريعة من الآنسة التى طَلَبَتْ منه تحديد موعد فوافق وحدد لها موعداً فى الحادية عشرة من صباح اليوم التالى.

وصلت فى الموعد المحدد تماماً، وكانت طويلة جميلة ترتدى ملابس بسيطة ؛ لكنها أنيقة، وكانت تتعامل بطريقة صارمة. كان من الواضح أنها امرأة شابة أُجْبِرَتْ على أن تخوض غمار الحياة. عن نفسى لم أكن أحب ما يسمى طراز (المرأة الجديدة) وعلى الرغم من مظهرها الجيد إلا أننى لم أستطع أن أتعاطف معها.

قالت مُخَاطِبَةً بوارو بعدما جلست:" مشكلتى من نوع غير معتاد يا سيد بوارو. وعلىّ أن أحكى من البدايةِ وأخبرك بالقصة كاملةً".

قال بوارو:" إذا سمحت يا آنستى".

بدأت تحكى وقالت:" أنا يتيمة. كان والدى أحد شقيقين هما ابنا أحد المزارعين فى ديفونشاير. كانت المزرعة فقيرة وقد هاجر الأخ الأكبر أندرو إلى أستراليا حيث عمل هناك بجد، واستطاع بعدما حقق نجاحا فى الزراعة أن يصبح ثرياً. الأخ الأصغر روجر (والدى) لم يكن لديه أى ميل للزراعة فقام بتعليم نفسه وحصل على وظيفة محاسب فى شركة صغيرة، وتزوج سيدة تكبره فى السن قليلا، وكانت ابنة فنان فقير. توفى والدى وأنا فى السادسة من العمر. وعندما بلغت الرابعة عشرة لحقت به أمى فأصبحت كل علاقاتى مقتصرة على عمى أندرو الذى عاد من أستراليا حديثا، واشترى ضيعة صغيرة تسمى كرابترى مانور فى بلدته. وكان فى منتهى العطف تجاه ابنة أخيه الصغيرة اليتيمة فقد أخذنى لكى أعيش معه وعاملنى كما لو كنت ابنته".

" كانت كرابترى مانور، على الرغم من اسمها، هى فى الواقع مزرعة صغيرة. كانت الزراعة فى دم عمى، وكان شديد الاهتمام بأساليب الزراعة الحديثة. وعلى الرغم من أنه كان حنوناً بالنسبة لى إلا أنه كانت لديه بعض الأفكار العتيقة حول كيفية تنشئة المرأة. وهو نفسه لم يحصل إلا على قدر ضئيل من التعليم، أو لم يحصل على أى شيء منه على الإطلاق، ودائماً ما قلل من قيمة ما كان يصفه بأنه" معرفة الكتب". وكان يعارض تعليم

المرأة على وجه الخصوص، ففى رأيه أن على الفتاة أن تتعلم كيفية القيام بالأعمال المنزلية وحلب الأبقار؛ أن تتعلم كيف تكون مفيدة لبيتها، وألا تهدر وقتها فى التعلم من الكتب. لقد كان يريد أن يربينى على تلك الأفكار، الأمر الذى أثار إحباطى وضيقى الشديدين، وظهرت علىّ علامات التمرد الصريح. أعرف أننى ذكية وأننى غير مؤهلة للأعمال المنزلية، ولقد تناقشنا كثيراً (عمى وأنا) فى هذا الأمر، وعلى الرغم من أننا كنا مرتبطين ببعضنا البعض إلا أن كلا منا كانت له إرادته المنفصلة. ولحسن الحظ حصلت على منحة دراسية وببعض الخطوات الناجحة استطعت رسم طريقى فى الحياة. بدأت المشكلة عندما صممت على أن أذهب إلى جيرتون، فلم يكن لدىّ إلا أموال بسيطة تركتها لى أمى، وكنت مصرة على الاستفادة من القدرات التى وهبها الله لى. دخلت فى مناقشة طويلة ونهائية مع عمى، وخلالها وضع الحقائق أمامى بكل وضوح. قال إنه ليس له أى أقارب وقد عزم أن يجعلنى وريثته الوحيدة. وكما قلت لكم كان ثرياً جداً. لكننى أصررت على" أفكارى الجديدة" وقلت له إننى لا أتطلع إلى الحصول على أى شيء منه. كنت مهذبة لكننى حاسمة. كما قلت له إننى يجب أن أظل مرتبطة به ؛ لكننى أريد أيضاً أن أشق طريقى الخاص فى الحياة. وافترقنا على هذا الأساس وكانت آخر كلماته لى:" أنت مولعة بقدراتك العقلية. أنا لم أتلق فى حياتى تعليماً مدرسياً. لكننى مع ذلك سأضع قدراتى فى مواجهة قدراتك يوما ما. وعموما لا أحد يرى إلا ما سيراه!".

" كان هذا منذ 9 سنوات. كنت أمضى معه العطلة الأسبوعية بصورة شبه منتظمة، وكانت علاقتنا طيبة جدا على الرغم من أن آراءه لم تتغير، فلم يلتفت إلى مكانتى الجديدة ولا إلى شهادتى العلمية. وفى السنوات الثلاث الأخيرة أخذت صحته فى التدهور حتى توفى قبل شهر".

" الآن أصل إلى سبب زيارتى. لقد ترك لى عمى وصية غريبة، ووفق ما ورد فيها فإن ضيعة كرابترى مانور وكل ما تضمه تكون ملكى لمدة عام من تاريخ الوفاة (لعل ابنة شقيقى الذكية تستطيع أن تثبت مواهبها فى تلك الفترة)، فيما يذهب المنزل وكل ممتلكات عمى الأخرى إلى المؤسسات الخيرية".

قال بوارو:" أعتقد أن وقع ذلك عليك كان قاسياً إلى حدٍ ما يا آنستى وخاصة أنك الشخص الوحيد الذى يرتبط معه برابطة الدم".

قالت:" لم أنظر إلى الأمر من هذه الزاوية. لقد حذرنى عمى بصورة صريحة ؛ لكننى اخترت طريقى لذلك فأنا لا أشعر بالضيق للطريقة التى اختار توزيع ثروته بها، فله مطلق الحرية فى أن يترك أمواله للشخص الذى يعجبه".

سألها بوارو:" هل تم إعداد الوصية بواسطة محام؟".

ردت قائلة:" كلا. كانت مطبوعة على ورقة وقد شهد عليها رجل وزوجته كانا يعيشان فى المنزل، ويقومان على خدمة عمى".

عاد بوارو يسأل:" هل هناك إمكانية للطعن فى تلك الوصية؟".

قالت:" لن أحاول أبدا أن أقوم بذلك".

فقال لها متسائلا:" أنت ترينها إذن محاولة من عمك لتحدى قدراتك؟".

أجابته قائلة:" هذا ما فكرت فيه تماما".

فقال بوارو وهو يفكر:" هذا يفسر الأمر بالتأكيد. لكن هل يمكن أن يكون هناك مبلغ من المال، أو وصية ثانية مختفية هنا أو هناك فى الضيعة، وأراد عمك أن يختبر قدرتك على العثور عليها خلال ذلك العام؟".

قالت موافقةً على ذلك:" بالضبط سيد بوارو، وأعتقد أنك بمواهبك الرائعة ستكون قادراً على كشف هذا الأمر".

قال بوارو:" حسنا! حسنا. هذا لطف منك. كل خلاياى الرمادية تحت أمرك. لكن ألم تبحثى أنت بنفسك؟".

أجابت بقولها:" فقط بصورة عابرة ؛ لكننى أشعر بالتقدير لعمى ؛ لأنه حسب أن المهمة ستكون سهلة".

سألها بوارو:" هل معك الوصية أو نسخة منها؟".

وضعت الآنسة مارش وثيقة على المنضدة فأسرع بوارو والتقطها وأخذها وهو يهز رأسه.

وقال:" تم إعدادها منذ 3 سنوات فى 25 مارس، بل وتم ذكر التوقيت أيضا وهو الحادية عشرة صباحًا. إنه أمر مُوحٍ جدًا. هذا يضيق كثيرا دائرة البحث. بالتأكيد إن ما يجب أن نبحث عنه هو وصية أخرى. وصية أخرى تم إعدادها بعد نصف ساعة من كتابة تلك الوصية وتحوى ما يلغى هذه الوصية. حسنا يا سيدتى هذه مشكلة. وكان لطفا وذكاء منك أن حضرتِ إلى هنا. سأكون فى منتهى السعادة وأنا أكشف لك حقيقة هذا الأمر. وعلى الرغم منَ أن عمك كان رجلا ذا قدرات عقلية إلا أن خلاياه الرمادية لا يمكن أن تكون بنفس كفاءة خلاياى".

حقا، غرور بوارو كان واضحا جدا!

قال بوارو:" من الجيد أننى لست مشغولاً بشيء عاجل الآن. سنتوجه (هاستنجز وأنا) إلى ضيعة كرابترى الليلة. أعتقد أن السيد والسيدة اللذين كانا يقومان بخدمة عمك لا يزالان هناك؟".

أجابته قائلة:" نعم وهما أسرة بيكر".

فى الصباح التالى كنا فى المزرعة. وصلنا إليها فى ساعة متأخرة من الليلة السابقة، وكان السيد بيكر وزوجته فى استقبالنا بعدما تلقيا برقية من الآنسة مارش تخبرهما فيها

بقدومنا. كانا زوجين لطيفين. كان وجه الزوج مليئاً بالتجاعيد يشوبه حمرة خفيفة مثل النبات الذابل، بينما كانت زوجته بدينة، وتتمتع بالهدوء المعروف به أهل ديفونشاير.

كنا متعبين من أثر الرحلة، إلى جانب قطع ثمانية أميال بالسيارة من المحطة إلى الضيعة، لذلك توجهنا إلى الفراش بعد أن تناولنا طعاما من الدجاج المشوى، وفطيرة التفاح والحلوى المشهورة بها ديفونشاير. والآن وقد انتهينا من تناول إفطار جيد فقد جلسنا فى غرفة منعزلة كان يستخدمها الراحل مارش كغرفة للمعيشة وغرفة مكتب. كانت هناك مكتبة مواجهة للحائط، وقد ازدحمت بالأوراق والوثائق التى كانت مُرَتَّبَةً ومُصَنَّفَةً بصورة جيدة، كما كان هناك مقعد وثير من الجلد يبدو أنه كان المقعد المفضل لمالك المكان. وبطول الحائط المقابل كانت هناك أريكة مغطاة بالقطن كما كان هناك مقعدان صغيران مغطيان أيضا بالقطن بنفس ذلك الطراز القديم.

قال بوارو وهو يشعل واحدة من سجائره الصغيرة: " حسنا يا صديقى! يجب أن نضع الخطة التى سوف تعتمد عليها حملتنا. لقد أعددت بالفعل تصورًا عامًا للمنزل ؛ لكننى أعتقد أن مفاتيح الحل تكمن فى هذه الغرفة. يجب أن نفتش فى تلك الأوراق بدقة ؛ لكننى لا أعتقد أننا سنعثر على الوصية فيها إلا أننى أعتقد أن ورقة بريئة المظهر يمكنها أن تدلنا على مكان تلك الوصية. لكن فى البداية يجب أن نحصل على معلومة. من فضلك رن الجرس".

فعلتُ ما طلب منى وأخذ بوارو يلف ويدور فى الحجرة وهو ينظر إلى ما حوله فى رضا.

قال بوارو:" لقد كان السيد مارش رجلا صاحب نسق ومنهج. انظر كيف رتب الأوراق، ووضع لكل منها تعريفًا فى بطاقة عاجية. ها هو مفتاح الجزء الخاص بالوثائق والأوراق المتعلقة بالصين. انظر كيف قام بوضع كل ما يخص الصين فى هذا الجزء. إن هذا أمر يسعد القلب. لا يوجد أى شيء شاذ عن موضعه. ..".

ثم صمت فجأة وتسمرت عيناه على مفتاح المكتبة نفسها حيث كان هناك مظروف متسخ مثبت فيه. قَطّبَ بوارو جبينه بشدة وسحب المفتاح من القفل فوجدنا عليه الكلمات التالية" مفتاح أعلى المكتبة" وكانت تلك الكلمات مكتوبة بخط غير منمق على عكس الطريقة المنمقة التى كانت متبعة فى باقى المفاتيح.

قال بوارو وهو لا يزال مقطبا جبينه:" ملحوظة غريبة. أكاد أقسم إن هذا الأمر لا يمت بصلة للسيد مارش. ولكن أى شخص آخر كان فى ذلك المنزل؟ فقط هناك الآنسة مارش وهى إذا لم أكن مخطئا تحب النظام والترتيب أيضًا".

هنا جاء بيكر مستجيبا لرنة الجرس.

قال له بوارو:" هلا أحضرت زوجتك ؛ لأننى أود أن أطرح عليكما بعض الأسئلة؟".

غادر بيكر الحجرة وفى لحظات عاد ومعه السيدة بيكر وهى تمسح يدها فى مريلة الطهى التى ترتديها وقد علت وجهها ابتسامة كبيرة.

فى كلمات محدودة وواضحة أوضح بوارو طبيعة مهمته، وقد أبدى الزوجان الكثير من التعاطف.

وقالت الزوجة:" لا نريد أن نرى آنسة فيوليت وهى عاجزة عن التمتع بما هو ملكها. من القاسى جداً أن تذهب كل تلك الثروة إلى المستشفيات".

استمر بوارو فى إلقاء الأسئلة، وكان السيد بيكر وزوجته يذكران تماماً كل ما جرى بشأن الوصية، فقال السيد بيكر إنه أُرْسِلَ إلى المدينة المجاورة لكى يشترى نموذجى وصية.

قال بوارو فى حدة:" نموذجان؟".

أجابه السيد بيكر:" نعم يا سيدى. ولقد افترضت أنا أن ذلك على سبيل الاحتياط فربما أتلف واحداً فيكون لديه الآخر، كما أننى متأكد من أننا وقعنا على وصية واحدة".

سأله بوارو:" فى أى وقت من اليوم كان ذلك؟".

أخذ بيكر يحك رأسه مفكراً إلا أن زوجته كانت أسرع منه وقالت له:" لماذا التفكير؟ أنا متأكدة من أن ذلك كان بعد أن وضعت اللبن على الكاكاو مباشرة، وهو ما أفعله يوميا فى الحادية عشرة صباحاً. ألا تتذكر؟ لقد عدنا بعد ذلك لنجد الخليط يغلى على الموقد".

فقال بوارو:" وبعد ذلك؟".

أجابت السيدة بيكر:" بعد ذلك بنحو ساعة كان علينا أن نعود للسيد من جديد فقد قال لنا:" لقد ارتكبت خطأ ومزقت الوصية لذلك سيكون عليكما أن توقعا من جديد وأرجو المعذرة" وهو ما فعلناه. بعد ذلك، أعطى السيد كلا منا مبلغا جيدا من المال وقال: " لم أترك لكما أى شيء فى الوصية، ولكن كل يوم أعيش فيه معكما سوف أمنحكما مبلغا مماثلا بما يجعلكما تعيشان حياة رغدة بعدما أرحل"، وكان يبدو عليه التصميم على ما يفعله".

ظهرت على بوارو علامات التفكير، ثم سألهما من جديد:" بعدما وقعتما على الوصية الثانية؟ هل تعرفان ماذا فعل السيد مارش؟".

جاءه الرد:" ذهب إلى القرية لكى يشترى بعض سجلات الحسابات".

لم يبدُ فى ذلك ما يمكن أن يكشف الغموض، فانتقل بوارو إلى جانب آخر، وأمسك مفتاح المكتبة وسأل:" هل هذا خط سيدكما؟".

ربما أكون قد تخيلت ما حدث، إلا أن لحظة أو اثنتين مرتا قبل أن يقول بيكر:" نعم يا سيدى. هذا خطه".

قلتُ فى نفسى مفكرا:" إنه يكذب. لكن لماذا؟"

كان بوارو يواصل أسئلته وسمعته يقول:" هل قام سيدكما بتأجير المنزل؟ هل أقام به أى غرباء خلال السنوات الثلاث الأخيرة؟".

جاءه الرد بالنفى.

فعاد يسأل:" ولا زوار؟".

جاءه الرد:" لا. عدا آنسة فيوليت".

جدد بوارو سؤاله:" لم يدخل أى غرباء تلك الحجرة؟".

قال السيد بيكر:" لا يا سيدى".

لكن زوجته ذكرته قائلة:" لقد نسيت العمال يا جيم".

ثم أوضحت لنا السيدة الأمر، وقالت إنه قبل عامين ونصف العام حضر عدد من العمال إلى المنزل للقيام ببعض الإصلاحات ؛ لكنها لم تستطع أن تتذكر تحديدا طبيعة تلك الإصلاحات، وكل ما كانت تذكره هو أن تلك الإصلاحات لم تكن ضرورية وكانت فقط بناء على رغبة مفاجئة من سيدها. لقد أمضى العمال بعض الوقت فى حجرة المكتب، وقاموا ببعض الأشياء التى لا تعرفها ؛ لأن سيدها لم يسمح لها ولا لزوجها بدخول الحجرة أثناء العمل. وللأسف لم يستطيعا أن يتذكرا اسم الشركة التى قامت بالإصلاح وكل ما يذكرانه هو أنها كانت من مدينة بلايماوث.

قال بوارو وهو يفرك يديه بعدما غادر الزوجان بيكر الغرفة:" نحن نتقدم يا هاستنجز. من الواضح أنه أعد وصية أخرى، ثم أحضر العمال من بلايماوث لكى يقوموا بإعداد مكان لإخفائها، وبدلا من أن نحفر الأرض ونثقب الجدران سنتوجه إلى بلايماوث".

وبقليل من المجهود حصلنا على المعلومات التى نريدها، فبعد محاولة أو اثنتين عرفنا اسم الشركة التى تعامل معها السيد مارش.

لم تكن الشركة قد استبدلت عمالها منذ سنوات، واستطعنا الوصول إلى اثنين من الذين عملوا فى منزل السيد مارش، ولقد تذكرا ما قاما به جيدا. وقال أحدهم، ويدعى كوجان وهو ضخم الجثة كئيب المنظر له شارب رمادى إنه من بين العديد من المهام الرئيسية التى تم تكليف العمال بها كان هناك عمل متعلق بأحجار المدفأة إذ كان عليهم أن يصنعوا تجويفا أسفلها. وقد أعدوا ذلك المخبأ بصورة من المستحيل أن يكشفها أحد، على أن يكفى الضغط على ثانى حجر من آخر المدفأة لكى تتحرك الأحجار كلها من مكانها. وقال إن العمل كان معقداً جدا، وكان السيد قلقاً جدا بشأنه.

عدنا إلى ضيعة كرابترى بروح معنوية عالية، وبمجرد أن أغلقنا باب الحجرة سارعنا بوضع المعلومات التى حصلنا عليها موضع التنفيذ. كان من المستحيل بالفعل أن نلحظ أية علامات فى المدفأة إلا أننا ضغطنا بالطريقة التى وصفها لنا العامل، وظهر لنا تجويف كبير.

مد بوارو يده بلهفة فى التجويف. لكن فجأة تحولت ملامح وجهه من السعادة الكاملة إلى الذهول، فكل ما وجده فى التجويف كان قطعاً متفحمة من الورق المقوى، وعدا ذلك كان المخبأ خالياً.

صاح فى ذهول:" يا إلهى! لقد سبقنا أحدهم".

فحصنا ما تبقى من الورق بكل انزعاج، وبدا من الواضح أنها ليست ما كنا نبحث عنه، فقد كان هناك جزء عليه توقيع الزوجين بيكر إلا أنه لم يكن هناك أى شيء يوضح ما كان فى الوصية من بنود.

جلس بوارو القرفصاء. كان مظهره كفيلاً بأن يدفعنى إلى الضحك لو لم نكن نعانى مرارة الهزيمة. وقال بكل غضب:" أنا لا أفهم. من الذى دمر الوصية؟ وإلاما كان يهدف؟".

قلت مقترحاً:" السيد والسيدة بيكر؟".

قال متسائلاً:" لماذا؟ لا توجد لهما مصلحة فى ذلك؟ فمن مصلحتهما أن يبقى المكان مع آنسة مارش بدلاً من أن يذهب إلى أحد المستشفيات، وهو ما يعنى عدم بقائهما فيه. من هو المستفيد من إحراق الوصية؟ أحد المستشفيات؟ ولكن من سيشك فى تلك المؤسسات؟".

عدت أقول من جديد:" ربما غَيّرَ السيد رأيه ودمرها بنفسه".

عاد بوارو يقف على قدميه وهو ينفض الغبار عن سرواله بعناية معروفة عنه وقال:" ربما. إنها واحدة من الملاحظات الذكية التى تصدر عنك يا هاستنجز. حسنا. لا يوجد المزيد مما يمكن القيام به هنا. لقد فعلنا كل ما يمكن لإنسان أن يفعله. لقد نجحنا فى إثبات ذكائنا أمام ذكاء الراحل أندرو، ولكن للأسف لم تستفد ابنة شقيقته من ذلك النجاح".

وبعدما توجهنا بالسيارة إلى المحطة استطعنا اللحاق بالقطار المتجه إلى لندن فى اللحظة الأخيرة، وطوال تلك المسافة لم نتبادل الحديث فقد كان بوارو حزيناً ومحبطاً ؛ ومن جانبى كنت متعباً فانزويت على نفسى فى أحد أركان القطار. وفجأة وبينما نحن نتحرك خارجين من تونتون أطلق بوارو صرخة حادة.

قال لى:" أسرع يا هاستنجز! استيقظ واقفز! أقول لك اقفز!".

وقبل أن أعرف أين أنا كنا واقفَيْن على رصيف المحطة بلا أغطية رؤوس، وبلا أمتعتنا، فيما اختفى القطار فى الظلام. كنت مغتاظا إلا أن بوارو لم يبد أى اهتمام بذلك.

صاح:" لقد كنت أحمق! فى منتهى الحماقة! لن أتفاخر مجدداً بخلاياى الرمادية!".

قلت وأنا ما زلت أشعر بالضيق:" سيكون أمراً جيداً فى كل الأحوال! لكن هل هذا كل شيء؟".

لكن كما هى عادته حينما يكون فى طريقه إلى إثبات واحدة من أفكاره، لم يبد بوارو أى اهتمام بما أقول.

كان يقول:" سجلات الحسابات. لقد تجاهلتها تماما. نعم. لكن أين؟ أين؟ لا يهم، فأنا لن أكون مخطئًا. يجب أن نعود على الفور".

كان القول أسهل من الفعل إلا أننا استطعنا العثور على قطار بطىء كان متجها إلى إيكستر، ومن هناك استأجر بوارو سيارة، وعدنا إلى ضيعة كرابترى فى الساعات الأولى من الصباح، وتجاهلت دهشة آل بيكر عندما وجدانا نوقظهما من النوم، فيما اتجه بوارو من فوره إلى حجرة المكتب مواصلا تجاهله لكل من حوله.

كان يصيح داخل الحجرة:" أنا لست فى منتهى الحماقة فقط بل أنا فى قمة الحماقة أيضا" وكان هذا تنازلاً واضحًا من بوارو ثم التفت إلىّ وقال:" والآن انظر!".

وتوجه إلى المكتبة ونزع منها المفتاح وأخذ المظروف الملتصق به فحدقت فيه بغباء. كيف يمكنه أن يجد وصية كبيرة مهمة فى مثل هذا المظروف الصغير؟ لكنه فتح المظروف بكل حرص، وفرده على الطاولة، ثم أشعل عود ثقاب، وقربه من الوجه الداخلى للمظروف، فبدأت كلمات شاحبة فى الظهور.

صاح بوارو فى انتصار:" انظر يا صديقى!".

نظرت فوجدت أسطراً قليلة تقول إنه ترك كل شيء لابنة شقيقه فيوليت مارش، وكانت بتاريخ 25 مارس فى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا وقد شهد عليها ألبرت بايك وهو بائع حلوى وجيسى بايك وهى زوجته.

فهمستُ قائلا:" هل هذه الوصية قانونية؟".

قال بوارو:" على حد علمى لا يوجد قانون يمنع كتابة الوصية بالحبر السرى. إن رغبة صاحب الوصية واضحة، والمُوصَى إليها هى قريبته الوحيدة المتبقية على قيد الحياة. لكم كان ذكيًا! لقد توقع كل خطوة سيقوم بها من سيبحث عن الوصية، وقد كنت أنا أحمق بائسًا. لقد أحضر نموذجى وصية، ثم جعل الزوجين بيكر يوقعان عليهما، وبعد ذلك كتب الوصية على ظهر ذلك المظروف بقلم به حبر سرى. ثم أحضر بائع الحلوى وزوجته إلى المنزل تحت أية ذريعة لكى يوقعا الوصية، ثم ألصق المظروف بالمفتاح وبعد ذلك جلس يضحك فى سره. فإذا نجحت ابنة شقيقه فى كشف حيلته فهى عندئذ أثبتت صحة اختيار طريقها فى الحياة، واستخدمت التعليم الذى حصلت عليه لتصل إلى الوصية لذا فهى تستحق ماله".

قلت فى بطء:" لقد خانتها قدراتها، أليس كذلك؟ يبدو أن ذلك ليس عدلاً، لقد فاز العجوز بالفعل".

رد بوارو نافيًا وقال:" لا يا هاستنجز. إن ذكاءك هو الذى خانك. لقد تصرفت آنسة مارش بذكاء، واستخدمت التعليم العالى الذى نالته عندما سارعت بوضع الأمر بين يدى. لقد

لجأت إلى خبير كما ينبغى فى مثل تلك الأمور. لقد أثبتت بالفعل أنها تستحق الأموال".

وكم تعجبت من تلك الطريقة التى فكر بها العجوز أندرو مارش!

أجاثا كريستي

تُعرف أجاثا كريستى فى كل أنحاء العالم باسم "ملكة الغموض"، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية وهى تعد أكثر كاتبة نُشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات ، ولم يفُقها فى المبيعات إلا كتب شكسبير، وقد قامت بتأليف ثمانين كتاباً، ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة فى الجريمة، كما قامت بتأليف تسع عشرة مسرحية، وست روايات تحت اسم مارى ويستماكوت .

ولقد كتبت أجاثا كريستى روايتها الأولى *"السر الغامض فى ستايلز"* قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، والتى كانت تعمل خلالها فى الجيش كممرضة . وقد قامت فى هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو، ذلك المحقق البلجيكى ضئيل الجسم الذى صار أشهر محقق فى روايات الجرائم بعد شيـــرلـــوك هـــولمز، وقد نشرت الرواية بواسطة دار نشر Bodley Head فى عام 1920.

وفى عام 1926، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام، قامت أجاثا كريستى بتأليف روايتها العظيمة *"من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟"*، تلك الرواية التى كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر Collins والتى أسست علاقة ربطت بين الكاتبة والناشر دامت لخمسين عاماً ونتج عنها ما يزيد على سبعين رواية ، كما كانت رواية *"من الذى قتل السيد روجر أكرويد ؟"* هى أولى رواياتها التى يتم تمثيلها مسرحيًا ـ تحت عنوان *Alibi* ـــ واستمر عرضها بنجاح على مسرح " ويست إند" فى "لندن" لمدة طويلة، وقد تم افتتاح مسرحية *"مصيدة الفئران"* ـــ أشهر مسرحياتها على الإطلاق ـــ فى عام 1952، وهى المسرحية المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض فى التاريخ .

وقد منحت أجاثا كريستى لقب "فارسة صاحبة مقام رفيع" فى عام 1971 ، وتوفيت عام 1976 . ومنذ ذلك الحين ظهرت عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التى حققت أعلى المبيعات *Sleeping Murder* وظهرت لاحقًا فى نفس عام وفاتها. بعد ذلك نُشرَت السيرة الذاتية لها ، ثم مجموعة القصص القصيرة *Miss Marple›s Final Cases* و*Problem at Pollensa Bay* و*While the Light Lasts*، وفى عام 1998 تم تحويل أول مسرحية لها وهى *Black Coffee* إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو " تشارلز أوزبورن " .

جدول المحتويات

- 1 - مغامرة" نجمة الغرب "
- 2 - مأساة مارسدون مانور
- 3 - مغامرة الشقة الرخيصة
- 4 - لغز هانترز لودج
- 5 - سرقة السندات ذات المليون دولار
- 6 - مغامرة المقبرة المصرية
- 7 - سرقة مجوهرات" جراند متروبوليتان "
- 8 - اختطاف رئيس الوزراء
- 9 - اختفاء السيد ديفينهايم
- 10 - مغامرة النبيل الإيطالى
- 11 - قضية الوصية المفقودة

أجاثا كريستي